

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
مرحلة الماجستير
شعبة الأدب والبلاغة والنقد

سماتُ الخطابِ النبويِ للمرأةِ وسياقاتُه دراسةٌ بلاغيةٌ في الخصائصِ والمزايا في صَحيحِ مسْلم

بحث مقدمٌ لنيلِ درجةِ الماجستير في البلاغةِ والنقد

إعداد الطالبة
تهاني بنت إسماعيل هاشم هوساوي
الرقم الجامعي (٤٣٠٠٨٢٣٣)

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود توفيق محمد سعد "حفظه الله"
أستاذ البلاغة والنقد

في قسم الدراسات العليا العربية جامعة أم القرى

١٤٣٧هـ-٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

" سماتُ الخطابِ النبوي للمرأة وسياقاتهُ دراسةٌ بلاغيةٌ في الخصائص والمزايا "

دراسةٌ مقدمةٌ لنيلِ درجةِ الماجستير في البلاغة والنقد بقسم الدراساتِ العليا العربية بكلية اللغة العربية ، بجامعة امِ القرى لعام ١٤٣٧هـ ٢٠١٦ م ، تتناول الدراسة خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة ،وسياقات ذلك الخطاب في دراسة تحليلية ، بهدف الوقوف على سماته البلاغية سعيا إلى الإفادة منها في خطاب المرأة في وقتنا الحاضر .

واقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في ثلاثة فصول في كل فصل ثلاثة مباحث :

<u>الفصل الأول : الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليف</u>

المبحث الأول : الخطابُ النبوي للمرأةِ في شانها العام في سياقاتِ التكليف
المبحث الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في شانها الخاص في سياقات التكليف
المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ

<u>الفصل الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التثقيف النفسي</u>

المبحث الأول : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها العام ،في سياق التثقيفِ النفسيّ
المبحث الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها الخاص ، في سياق التثقيفِ النفسيّ
المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التثقيف النفسيّ

<u>الفصل الثالث:الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي</u>

المبحث الأول : المجال الروحي والتعبدي
المبحث الثاني : المجال الخلقي والاجتماعي
المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي :

*****

وتكون المبحث الأول والثاني في كل فصل من عنصرين :

الأول : مجالات الخطاب وما اشتملت عليه من الأحاديث النبوية

الثاني : التحليلُ البلاغيُ لنصِ الخطابِ ، بينما اشتمل المبحث الثالث في كل فصل على تحديد للسمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة

ثم قدمت الدراسة مجموعة من النتائج والتوصيات

الباحثة	المشرف على الرسالة	عميد الكلية
تهاني إسماعيل هوساوي	أ.د محمود توفيق محمد سعد	أ.د عبد الله القرني

Abstract

"Prophetic Speech Attributes Of Women And The Contexts In Sahih Muslim, Rhetorical Study"

Study submitted for a master's degree in rhetoric and criticism of Graduate Studies Arabic Department of the Faculty of Arabic language at Umm Al-Qura in University 1437H =2016G, the study addresses the Prophet speech, peace be upon him to women, and contexts that speech in an analytical study, in order to stand on the rhetoric features to benefit from them in Women's speech at the present time.

The subject required to divide the study into three chapters, each chapter includes three sections:

Chapter One: the Prophet's discourse of women in contexts of commissioning:

First theme: the Prophet's discourse to women in that year in contexts of commissioning.

Second theme: the Prophet's discourse to women in private that in contexts of commissioning.

Third theme: identifying colleges and features rhetoric in the speech of women in the Prophet's contexts of commissioning.

Chapter II: The Prophet's discourse to women in psychological education contexts:

First theme: the Prophet's discourse to women in that year, in the context of psychological education.

Second theme: the Prophet's discourse to women in private that, in the context of psychological education.

Third theme: identifying colleges and features rhetoric in the speech of the Prophet of women in psychological education contexts.

Chapter III: The Prophet's discourse to women in commissioning contexts coupled with psychological education:

First theme: the spiritual realm and worshipful.

Second theme: the moral and social field.

Third theme: identifying colleges and features rhetoric in the speech of women in the Prophet's commissioning contexts coupled with psychological education.

The first and second theme in each chapter included two elements:

First: the fields of speech and what included of hadith.

Second: rhetorical analysis of speech text, while the third section in each chapter included identify of the attributes of the rhetoric in the speech of the Prophet to women.

The study presented a set of findings and recommendations

Researcher	supervisor of the message	Dean of College
TAHANI ISMAIL HAWSAWI	MAHMOUD TAWFIQ SAAD	PH.DR.Abdullah Al-Qarni

الإهداء...إلى

أبي الحبيب..و أمي الحبيبة

ومن غيرهما فجر ينابيع الخير في داخلي

جداتي..عمي وعمتي..أخوالي وخالاتي

إخوتي..أزواجهم وزوجاتهم..أبنائهم و بناتهم

عائلتي الكبرى...التي لا يلذ عيشي إلا بها

زوجي...وابناي...باسل وبهاء

أسرتي الصغيرة..عالمي الجميل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن خيرَ الكلامِ كتابُ الله وأحسنَ الهدي هدي محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ وأتم التسليم خير من أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة .. وبعد

برزتْ في الأونةِ الأخيرةِ الدعوةُ إلى تجديدِ الخطابِ الديني، بعد أنْ التحمتِ الثقافاتُ بعضها ببعضٍ أو كادتْ ، وباتَ الدعاةُ يكرسون جهودهم للحفاظِ على الهُوّية الإسلامية والحرصِ على أصولِ الدين وآدابه من التشويهِ ، سواءً من قبلِ أعدائه أو على أيدي فئاتٍ من المستغربين من أبنائه.

وبما أنه ليس ثمةَ طريقةٌ إلى ذلك غيرُ انتهاجِ أسلوب راسخٍ رصينٍ في الحوار ، مبني على أسسٍ فعالة مستنبطةٍ من منابعها الزاخرةِ الغنية ، في كتاب اللهِ وأقوال نبيه المصطفى ، ﷺ كان لزاماً على أي دراسةٍ لأساليب الخطاب أن يتجة إلى هذين المصدرين الرئيسين .

وقد ركّز الخطاب الديني على عددٍ من الموضوعات ، وامتاز بجملةٍ من الخصائصِ والصفات ، وظَهرت المرأةُ أحدُ أقطاب هذا الخطاب ، بما لها من موضوعات خاصة وسماتٍ مميزة .

وإذا كانتِ البلاغةُ المطابقة ، وكان النبي على الله عليه وسلم أبلغ من تحدث العربية وكان للمرأة سمات تختص بتكوينها ورسالتها وواجباتها وحقوقها فإنّ بنا حاجةً إلى أنْ نتبيّن منهاج النبيّ ﷺ في خطابه المرأة سواء فيما يتعلق بها وسائر أخواتها المسلمات أو فيما يتعلق بِشَأن المرأة المخاطبة الخاص . كيف كان يرعى هذه الحال في بيانه ، فيصُوغه بما يتناسبُ معه ؟

سؤال تطرحه هذه الدراسة لتستكشف سمات الخطاب النبوي للمرأة بما فيه من خصائص بلاغية وتصويرية ، علنا نجتني من تلك الخصائص البلاغية والتصويرية فيضًا من المزايا والعطايا التربوية ، فنتخذ نهجه الخطابي ﷺ أسوة في خطابنا المرأة بما يتناسبُ مع حالها ، اقتداءً بِه عليه الصلاة والسلام .

ولما كان هذا ولم أكن على طول بحثٍ وسؤالٍ لأعثر على دراسة علمية متخصصة ترصُد السّمات البيانية لهذا الخطابِ النبوي آثرتُ أن أعمد إلى الخطاب النبوي للمرأة في صحيح مسلم ، أستجليه بمنهاج علميّ يضبطُ حركة البحث إلى غاياته .

غيرَ أن من الدراساتِ ذات العلاقة بموضوع البحثِ غير قليل ،ولاسيما في مجال التربية الإسلامية ، ولاشك أن الباحثة ستستفيد من ذلك كلّه، فالعلم رحم بين أهله، وللسابقِ فضل على اللاحق بما هدى ، وأهدى ؛كيما يكونُ أسوةً لنا في خطابها في عصرنا هذا، علّنا نصلُ بها إلى بعضٍ مما وصل بها نبينا عليه الصلاة والسلام ببليغِ خطابهِ وحكيمِ بيانه وما أوتي من جوامعِ الكلم .

ويعتمد منهاجُ البحثِ على النظر البلاغيّ في الأساليب ، منهجًا أسلوبيًا هدى إليْه عبد القاهرِ في كتابه "دلائل الإعجاز"

وهذا المنهج وإن كان مناطه "النص/الأسلوب " فإنه لا يغفل السياقات الخارجية بقدر ما يُعين لحظُها على حسن البصر بالأسلوب واستنباط الخصائص التركيبية والفنون التصويرية وما يتولد عنها من المزايا .

وهذا المنهج هو الذي هدى إليه الإمامُ عبد القاهرِ في كتابه دلائل الإعجاز . يقُول يرحمه الله:

(لا يكفي في علمِ الفصاحةِ أن تنصبَ لها قياساً وأن تصفَها وصفاً مُجملاً وتقولَ فيها قولاً مُرسَلاً . بل لا تكون من معرفتها في شَيْءٍ حتى تُفَصِّلَ القولَ وتُحَصِّلَ وتضعَ اليدَ على الخصائصِ التي تعرضُ في نظمِ الكلمِ وتعدَّها واحدةً واحدةً وتسمَّيَها شيئاً شيئاً .

وتكون معرفتُك معرفةَ الصَّنَع الحاذقِ الذي يعلمُ علمَ كلِّ خيطٍ منَ الأبريسَم الذي في

الدِيباج وكلَّ قطعةٍ منَ القطع المَنْجورة في الباب المُقَطَّع وكلَّ آجُرَّةٍ منَ الآجُرّ الذي في البناء البديع)[1]

ويقُول أيضًا: (واعلمْ أنك لا تَشْفي الغُلّة ولا تنتهي إلى ثلجِ اليقينِ حتى تتجاوزَ حدَّ العلمِ بالشيء مُجملاً إلى العلم به مفصَّلاً وحتّى لا يُقْنِعَك إلاّ النظرُ في زواياهُ والتّغلغلُ في مكامنه وحتى تكون كمن تتبَّعَ الماءَ حتّى عرفَ منْبَعَه وانتهى في البحثِ عن جوهرِ العُود الذي يصنع فيه إلى أن يعرفَ منبتَه ومَجرى عُروقِ الشجرِ الذي هو منه .)[2]

ويقُول : (لا بدَّ لكلِّ كلامٍ تستحسنُه ولفظٍ تستجيدهُ من أن يكونَ لاستحسانِك ذلك جهةٌ معلومةٌ وعلةٌ معقولةٌ . وأن يكونَ لنا إلى العبارةِ عن ذاك سبيلٌ وعلى صحةِ ما ادّعيناهُ من ذلك دليلٌ)[3]

فهذا الذي جرى به بيان عبد القاهرِ هوَ الأصلُ المنهجيُ الذي يجري عليْه النظر البلاغيّ في الأساليب ،وهو الذي اصطفيته منهاجًا أضبطُ به حركةَ البحثِ في هذا الموضوع ، وهو منهج نحتاج إلى الأخذ به في دراساتنا البلاغية في القرآن والسنة خاصة وفي البيان العربي عامة ، ويمكن اجمال منهاج البحث في التالي :

- اعتمدتُ المنهج الاستقرائي ـ قدر الإمكان ـ في حصر الأحاديث التي خاطب بها رسول الله ﷺ المرأة في صحيح مسلم ، مع مراعاة تحقق معنى الخطابية ، ووجود الظواهر البلاغية .
- اعتمدت في الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي دونَ الاشتغالِ بتدوين ما قِيل عنِ البلاغةِ النبوية، وأصول الخطاب في أسفارِ العلماء ،غير أن اطلاعي على ذلك كان من مقتضيات الدراسة والبحث .

---

١ دلائل الإعجاز (في علم المعاني)عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)(٣٧) ، قرأه وعلق عليه ، محمود شاكر، مصر،القاهرة ،مكتبة الخانجي ط٥ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

(٢) السابق (٢٠٦)

(٣) السابق (٤١)

- تناولت في البحث ثلاثة محاور رئيسة هي المحور البلاغي لإظهار السمات البلاغية في الخطاب ، والمحور الديني لبيان شرح الحديث عند علماء الحديث ،ومحور الدراسات اللسانية في أدوات التماسك و الانسجام.
- تناولت في تحليل الحديث بلاغة التركيب وبلاغة التصوير والبديع ،وهي وان بدت أبواباً مُشْرعة واسعة في علوم البلاغة ، إلا أنها في بيان النبوة محدودة مؤطرة واضحة المعالم ،مما يسر البحث فيها وضيقه و حدده .
- اعتمدت في تخريج الأحاديث على كتب الصحاح الستة ، وعلى مسند أحمد باعتباره شيخ أئمة الحديث ، وقد رجعت إلى صحيح ابن حبان في موضعين اثنين فقط ،حيث انفرد مسلم بالحديث عن باقي كتب الصحاح
- اعتمدت في بيان الأحكام التشريعية ،وكذلك المقصد الكلي للحديث على كتب الشروح المعتمدة ، شروح صحيح البخاري ، ومسلم ، وشروح سنن أبي داوود والترمذي وشروح موطأ الإمام مالك .
- أشرت إلى الفروق اللفظية والنظمية للروايات في الهامش عند اللفظة نفسِها في السياق المقامي من تحليل الخطاب ، معتمدة على الصحاح الستة ثم ألمحت إلى ما قد يحدث من جراء ذلك من اختلافات في الدلالة غير أن اعتمادي على كتب شروح الحديث التي بدورها عنيت بتلك الفروق أسهم في التقليص من تلك الاختلافات
- قمت في بداية كل مبحث بتصنيف النصوص إلى مجالات وقمت بسردها بالضبط والتشكيل ،ورقمتها مسلسلاً كل فصل على حده
- قمت (بعنونة) تحليل النصوص في عناوين جانبية ثابتة ومرتبة وذلك على مرحلتين

المرحلة الأولى مرحلة تحليل وتأويل وتعليل تحت مسمى تحليل الخطاب وتشتمل على ،المعجم اللغوي والسياق والمقصد ،وبلاغة التراكيب والبناء ،ثم

الترابط و الانسجام وهي عناصر وان بدت متفرقة ،فهي متسلسلة يفضي كل منها إلى الآخر ،

والمرحلة الثانية مرحلة اجمال الكليات ،وضبط الجزئيات تحت مسمى تحديد السمات الكلية

- اعتمدت في بيان المعجم اللغوي على معجم لسان العرب ومقاييس اللغة ، ثم لبيان الفروق الدقيقة اعتمدت على معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ولبيان دلالتها في القرآن الكريم استعنت بمعجم ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
- في بيان المعجم اللغوي اكتفيت بالألفاظ التي هي من بيان النبوة ،وليست من كلام المخاطبات أو الرواة ، ووضعت في تهميشها جذر الكلمة يستثنى من ذلك معجم الفروق اللغوية فقد جعلت التهميش برقم الكلمة في المعجم .
- في محور الدراسات اللسانية اكتفيت برصد عناصر التماسك والترابط وتحديدها دون الوقوف على وظائفها الدلالية ؛حرصا على الإطار البلاغي الذي انبثقت منه أسئلة الدراسة .
- ربطت بين عناوين الأحاديث في كل مبحث من مباحث الفصلين الأولين بجامع مشترك مستنبط من المقصد أو السياق ،الفصل الأول الخطاب التكليفي جامعه المشروعية والفصل الثاني الخطاب التثقيفي جامعه الترغيب أو الترهيب أو التحري والاستجواب للترهيب ، ماعدا الفصل الثالث الذي اقترن فيه الترغيب بالترهيب .
- رجحتُ وذكرتُ رأيي معللاً عندما يسوغ المقام إلى ذلك.
- حددت السمات البلاغية في نهاية كل فصل وكررت من السمات ما استوجب تكراره مع اختلاف الشواهد.
- حددت في الخاتمة ما تفرد به كل سياق عن السياقات الأخرى في السمات والمزايا.

- جعلت في التوصية ربطاً بواقعي المهني ، وسعياً للإفادة من موضوع البحث ومثيله على أوسع نطاق ممكن.
- رتبت المراجع والمصادر ترتيباً أبجدياً مبتدئة بالعنوان ثم اسم المؤلف ، ثم المحقق "إن وجد" ثم الناشر ومكان النشر ورقم الطبعة والتاريخ ، وما نقص عن ذلك من بيانات أشرت له بالرموز المتعارف عليها .

****

هذا وقد اقتضى موضوع البحث أن تشتمل خطة الدراسة على ثلاثة فصول في كل فصل ثلاثة مباحث يتصدرها التمهيد وتعقبها الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، وجدول لفهرسة الموضوعات ، وها هي مفصلة على النحو التالي :

التمهيد : وتناولت فيه مفهوم الخطاب ، وتقسيم الخطاب إلى سياقين تكليف وتثقيف ، ويتفرع كل سياق إلى خطاب في الشأن العام وخطاب في الشأن الخاص .

الفصل الأول : الخطاب النبوي للمرأة في سياقات التكليف

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الخطابُ النبوي للمرأةِ في شانها العام في سياقاتِ التكليف

أولا : مجالات الخطاب وما اشتملت عليه من الأحاديث النبويةِ

و قمت فيه باستقراء وسرد الأحاديث التي خاطب النبي صلى الله عليه و سلم بها المرأة في صحيح مسلم ، وتصنيف الخطاب فيها إلى مجالات ، وموضوعات عُليا تدور حولها.

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ :

وقد اتخذت في ذلك منهاجاً يقوم على مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة التحليل ، التي تهتم بتحليل الجملة واختيار المفردات التي لها أثر في تحقيق سمات الخطاب وبيان ما في الخطاب من ثروة لغوية ، ثم بيان علاقات التراكيب والتصوير وسمات التعبير البديعي ، ثم إبراز عوامل السبك والتماسك النصي في الخطاب.

المرحلة الثانية : تخليص الكليات ، بذكر الأسلوب العمدة في النص الذي يقوم عليه النص والذي لو اسقط من النص لسقطت كثيراً من مدلولات الخطاب ، ثم ذكر الأساليب المساعدة ، وخصائص الألفاظ ، و سمات التصوير والبديع والمعاني .

المبحث الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في شانها الخاص في سياقات التكليف

وكان العمل فيه على نحو ما ذكرت في المبحث الأول .

أولا : مجالات الخطاب :

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ

حصر السمات البلاغية الواردة في السياق بشكل عام ومدى مطابقتها لمقتضى الحال من حيث المدلول البلاغي وموضوع الخطاب و حالة المخاطبة .

الفصل الثاني : الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التثقيف النفسي

وفيه ثلاثة مباحث : جرى العمل فيها على نحو ما كان في الفصل الأول :

المبحث الأول : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها العام ،في سياق التثقيفِ النفسيِّ

المبحث الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها الخاص ، في سياق التثقيفِ النفسيِّ

المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التثقيف النفسيِّ

الفصل الثالث:الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التكليف مقترناً بالتثقيف النفسي

وفيه ثلاثة مباحث : جرى العمل فيها على نحو ما كان في الفصل الأول:

المبحث الأول : المجال الروحي والتعبدي

المبحث الثاني : المجال الخلقي والاجتماعي

المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي .

وختاماً ..

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه حمداً كما يحب ربنا ويرضى ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم قدرته ، يليق بكرمه وجوده وفضله ومنه ، فقد أكرمني ومنَّ على بهذه النعمة العظيمة الجليلة وهيأ لي من أسبابها ما يعجزني شكره ،إنها رحلة مع خير الهدي ،هدي محمد صلى الله عليه و سلم في بحر من العلم مقرب إلى نفسي ،بحر التذوق البلاغي .

رحلة شيقة هنيئة ،هجرت لها بيتي وعائلتي، ومهنتي، ورحت أتفيء ظلال هدي الحبيب وأتنقل بين ردهات بيته ،أصخي لخطابه أزواجه الأطهار وأمهات المؤمنين الأخيار

وصحابته الكرام ،أرتوي عذب الحديث ،وأنتشي أطيب السير ،وألتقط درراً من البيان من تراكيب وصور، أطرب حينا وأبكي أخرى ،وأدهش في الثالثة وما ذاك إلا تلذذاً وتأثرا بروعة ذلك الخطاب ،الذي تبرج فتياً سخياً في كافة أحوال المرأة المخاطبة

وبعد ..

فإني لأعتقد جازمة أن حروفي في هذا البحث عطشى ،وأنها مازالت ـ رغم اجتهادي ـ لم تبلغ الحد الأدنى من الارتواء ،وأني ويعلم الله تعالى مازلت كلما عاودت النظر فيها والتأمل ،أجدني أضيف حرفاً وأمحو آخر ، أتسأل وأتعجب ، لمَ عبر بكذا ولمْ يقل كذا لمَ قدم ولمَ أخر ، لم صرح ولمَ شبه أو كنى ومثل ، ولا أظن قارئُ البحث إلا كذلك ،سيجد فيه من القصور ما وجدت ،بل ربما شرعت أمامه أبواب من المبهمات والتساؤلات ما الله به عليم ، وإن كان لي من عذر قد يلتمس لي فهو من جهة ،إن باب التحليل البلاغي باب شاسع وبحر خضم ،للحرف فيه دلالة ، فما بالنا باللفظة أو التركيب ، أو تعدد الأساليب. غير أن مما يسر لي ذلك الصعب وجعلني أقدم على خوض غماره ، هو تحديد البحث حول بلاغة المصطفى ﷺ دون سواها وهي بلاغة عليا ،أصيلة متناولة تجفو عن التعقيد والالتواء ،بعيدة كل البعد عن تلك الأخاديد التي يلتذ بالميل إليها بعض البلاغيين

ومن جهة أخرى فإن التأمل البلاغي في خطاب المرأة تحديدا ،في الكتاب والسنة طريق لم يسلك ،ومجهل لم يطأ ،بل هو مورد من العلم عذب لم يورد ، فكنت والأمر كذلك أرجع في التأمل البلاغي وتحديد السمات إلى سياق الحال ،للخطاب والمخاطبة ـ رغم شحه في المصادر ـ دليلي في ذلك كتب شروح الحديث ، ولم أكن أجنح للخروج عنها أو التأول دون الاستعانة بالقرائن مما ثبت من خصائص التراكيب ودلالات المعاني والأساليب ، وأنى يكون لي ذلك وما هو إلا قبس من مشكاة النبوة .

فهذا عذري ومعذرتي ، وما واجهته من صعوبات مكنني الله منها فله الحمد والمنة ،وهو جَهد المقل ولا ريب ؛ فهو خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }(النجم٣-٤)،فحسبي فيه خطوات وأمل.. أدعو الله تعالى أن ينفعني بها والمسلمين والمسلمات ، ويقيني بها لفحات نار جهنم.

ثم أني في هذا المقام.. أتوجه بوافر من الشكر وعظيم الحب والولاء إلى والدي الكريمين الذين كانت لهما اليد الأولى في رعايتي وتوجيهي وسائر أخوتي إلى الجد والمثابرة واستثمار الوقت فيما ينفع ويفيد ،فأسأل الله العظيم لهما ، أن يطيل عمرهما على طاعته ،وأن يجزيهما الدرجات العلى من الجنة

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى رفيق الرحلة زوجي الغالي الذي كانت له يدٌ حانية، تذلل الصعاب وتعين على المطالب ، تشيد وتذكر بفضل طلب العلم وطالبه ،بارك الله له في عمره وعمله ويسر له كل عسير.

واخص بالشكر كل من ساندني ودعمني معنويا أو عملياً من أساتذة أفاضل وصديقات مكرمات فاخص منهم أستاذاتي الفاضلات في كلية التربية أ.د أنجب غلام نبي محمد قطب أستاذ مساعد النحو ، أ.د أنصاف علي ذاكر بخاري أستاذ مساعد الأدب ،فقد حظيت منهما بفيض من التقدير والرعاية ما أسهم في تثبيت خطايا على طريق البحث والدراسة وأ. بلقيس بنت يونس عيسى فلاته مديرة مكتب الإشراف التربوي بمكة سابقاً ، لما كان لها من دور بارز في شحذ همتي ،وتذليل الصعاب المهنية التي واجهتني.

كما أتوجه بوافر من والامتنان للأختين القديرتين : يسرى إبراهيم بكر فلاته و بثينة إسماعيل هاشم هوساوي ،لما تكرمتا به من تعاون مثمر في مراجعة البحث وتخريج أحاديثه .

ثم لا يفوتني أن اشكر أستاذي الفاضل أ.د السعيد بن عبد المجيد النوتي الذي تكرم بإرشادي إلى أسماء عدد من المراجع ،و الأستاذ الدكتور سمير بن سليمان أحمد نتو رئيس قسم الدراسات العربية سابقاً لما تفضل به من تعاون بناء لا ينكر إثناء دراستي المنهجية.

وأتوجه في هذا المقام بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى المشرف على البحث شيخنا الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد الذي تعاهدني ، وبحثي ، بالصقل والتهذيب والتشذيب ، وتحمل كثرة السؤال والمراجعة ، يسد الثغرات ، ويقيل العثرات جزاه الله عني وعن طلبة العلم في بلدي كل خير .

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بقبول الرسالة ومناقشتها وإثرائها بتوجيهاتهم وملاحظاتهم .

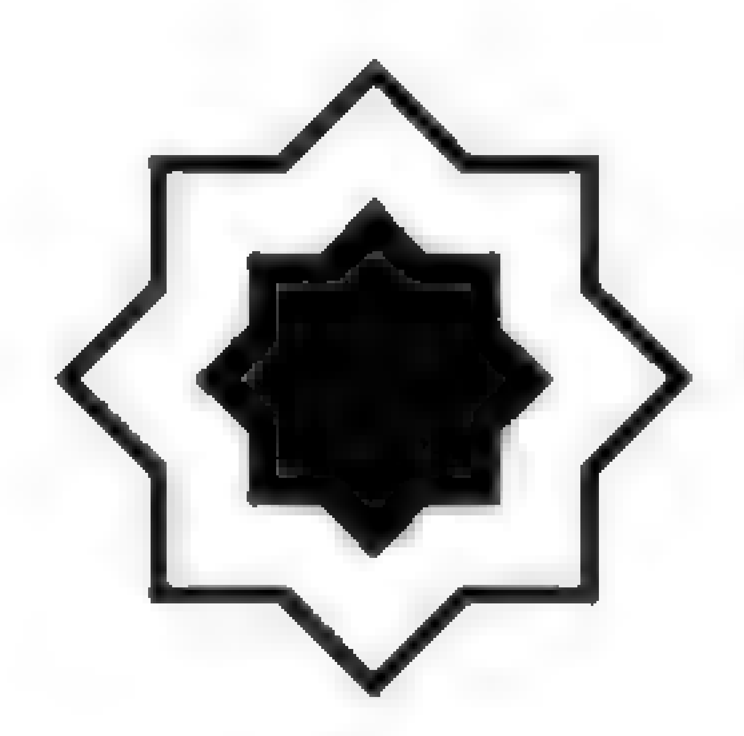
- أ.دهاني فراج أبو بكر (مقرراً)
- أ. د حميد سمير عباس (مناقشاً)
- أ . د رباب بنت صالح جمال (مناقشا)

وصلِّ اللهم وسلمْ على سيد البلغاء و خاتمِ الأنبياءِ ،ورحمة لله للعالمين ، سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحْبه و سلمْ أجمعين .

الباحثة / نهاني بنت إسماعيل هاشم هوساوي

مكة المكرمة

١٤٣٧/٦/١٩هـ



التمهيد

مفهومُ الخطاب ومسافاته

لأن كلمة " خطاب " عند المحدثين من علماء اللسانيات أخذت أبعاداً واتجاهات متعددة تفترق أكثر مما تتفق كان لزاماً عليّ تحديدُ مفهوم الخطاب المعني بالبحث في هذه الدراسة .

الخطاب كما عرفه ابن منظور مراجعة الكلام ،وقد خاطبه بالكلام مخاطبة ،وخطاباً ، وهما يتخاطبان و الأصل من الخَطْبُ : الشّأنُ أو الأمر صَغُر أو عَظُم و قيل :هو سَبَبُ الأمْر. يقال : ما خَطْبُك ؟ أي ما أمرُك؟ والخَطْبُ: الأمر الذي تَقَع فيه المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ(١)

والذي يظهر لي أن إطلاق الخطاب على نوعٍ من الكلام (٢)هو من باب المجاز السببي ،لأنه كلامٌ في شأنٍ و خطبٍ وأمرٍ معلومٍ لولاه لم يكن .

والخطاب تكلِيم ،وهو " تعليق الكلام بالمخاطب فهو أخص من الكلام " " وأما قولنا فلان يخاطب نفسه ويكلم نفسه فمجاز وتشبيه بمن يكلم غيره" (٣).

لذلك قيل أن الخطاب ،" أصله أن يكون لمعين وقد يترك على غير معين "(٤)لقرينة ،فإذا تعين وبني على المشافهة والمفاعلة كانت مخاطبة ومحاورة و" المخاطبة ، مُفاعَلَة ،من الخِطاب والمُشاوَرَة " (٥)وإلا فهو خطاب ومراجعة لأمر الكلام .

وثمة فارقٌ بين "الخطاب و النص" ففي مادة "نصص: النَّصُّ: رفْعُك الشيء، ونَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ ، والمَنَصَّةُ: ما تُظْهَرُ عليه العروسُ

---

(١) ينظر : لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن منظور (٧١١هـ) مادة (خ.ط.ب) - بيروت ، دار صادر ط ٣ ، ط ٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م.

(٢)وذلك " أنه ليس كل كلام خطابا للغير فإذا جعلت الكلام في موضع المصدر فلا فرق بينه وبين التكليم وذلك أن قولك كلمته كلاما وكلمته تكليما سواء " ينظر: الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري (٥٤٢) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ،ط١، القاهرة – مصر، ١٩٥٢م.

(٣) السابق نفسه

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة :للخطيب القز ويني ،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ)،(٤٧) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض مكتبة المعارف ط١ ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م

(٥) لسان العرب ، لابن منظور مادة (خ.ط.ب)

لتُرَى،وقد نَصَّها وانتَصَّت هي،و نَصَّ الحديث إلى فلان أي رفَعَه، وكذلك نصَصْتُه إليه"[1]

فاتضح من خلال ذلك أن النص هو إسناد أمر الكلام إلى مصدر ، وكل خطاب اسند إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو نص .

وجاء خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأةِ متضمناً سياقي التكليفِ[2]والتثقيف النفسي[3]

كما هو الشأن في الخطابِ التشريعي عامةً ، وكثيراً ما اقترن السياقان في الخطاب الواحدِ كل ذلك مدعاة لحسن التأمل وطول التدبر ، وقد يظهر التكليف في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة ويبدو جلياً ، فيكون لذلك مقصدٌ تشريعي وسمةٌ بلاغية ، والعكس كذلك عندما يبرز التثقيف النفسي في الخطاب النبوي ، وكذلك قد يقترن السياقان في النص الواحد.

وخطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة سواء كان في سياق التكليف أو التثقيف النفسي ، جاءت بعض نصوصه تخاطب المرأة في شأن عام بكافة النساء لا تختص به المخاطبة عينها ، وبعضها الأخر يخاطب المرأة في شأن خاص بالمخاطبة لا يشركها فيه غيرها من النساء.

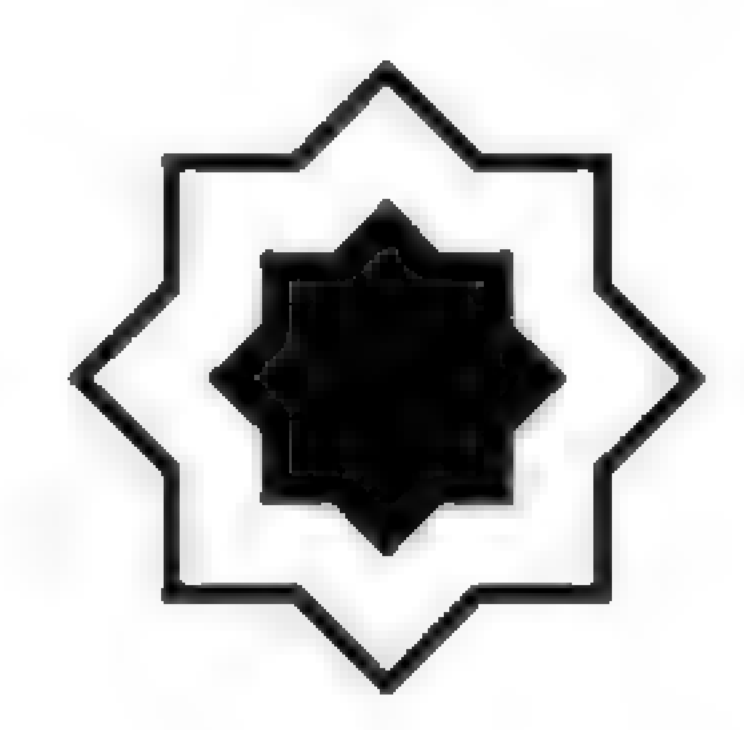
لذا جعلت الدراسة في ثلاثة فصول ، فصل للتكليف وآخر للتثقيف ، وفصل ثالث يجمع بينهما ، كما اشتمل كل فصل على ثلاثة مباحث حتى تشمل أحوال المخاطبات في السياقين ، وفي المبحث الثالث تحديد السمات والخصائص موضوع الدراسة ، مفصلة ذلك فيما يلي سائلة المولى القديرالعون والتوفيق .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور مادة :(ن.ص.ص)

(٢)المراد بالسياق التكليفي سياق الأحكام ومشروعيتها من أمرٍ ونهي

(٣) " مفهوم التثقيف النفسي في هذه الدراسة هي المحفزات والمهيئات التي تلفت المستمع أو القارئ إلى أوامر الله جل شانه ونواهيه وأخباره ، فتحثه أو تحذره لترغبه أو ترهبه بما انطوت عليه من الخصائص والكيفيات البلاغية ، وصور المعنى ، وما يترتب عليه من مزايا " ،ينظر: معالم التثقيف النفسي (٢٢) وائل العمري ، رسالة ماجستير



الفصل الأول

الفصل الأول

الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التكليفِ
وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها العام ،في سياقاتِ التكليف

المبحث الثاني : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها الخاص،في سياقاتِ التكليف

المبحث الثالث : تحديد الكليات والسمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ

المبحث الأول

الخِطابُ النَبويَ للمرأةِ في شأنها العام في سياقاتِ التكليف
أولا : مجالاتُ الخطابِ وَ ما اشْتملت عليه من الأحاديث النبويّة
ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أولا : مجالاتُ الخطابِ :

خاطب النبي ﷺ المرأة خطاباً تكليفياً عاماً يعني بتوجيهها إلى القيام بفعل أو ترك اخر ، يبنى الكلام فيه على صورة من صور الطلب [1]وكان خطابه في مجالين :

أ- المجال الروحي الإيماني[2].

ب- المجال التعبدي [3]

أ- الأحاديث النبويةُ في المجال الروحي الإيماني :

١. عن جابر بن عبد الله قال: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية. وقال لأسماء بنت عميس "ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة" قالت: لا. ولكن العين تسرع إليهم. قال "ارقيهم" قالت: فعرضت عليه. فقال "ارقيهم".[4]

٢. عن عائشة. قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق. يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله. حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ. ثم دعا. ثم دعا. ثم قال "يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والأخر عند رجلي. فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطه. قال وجب طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان". قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه. ثم قال "يا عائشة! والله! لكأن ماءها نقاعة الحناء. ولكأن نخلها رؤوس الشياطين". قالت فقلت: يا رسول الله! أفلا أحرقته؟

---

(١) يندرج تحت ذلك صيغ الأمر والنهي والأساليب الدالة على معانيهما ، ينظر : صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ،د. محمود توفيق محمد سعد(١٣) ـ مصر ، شبرا ، مطبعة الأمانة ط١٤١٣،١ هـ ١٩٩٣ م

(٢) وأعني به الجانب الذي يبرز التكليف بالتعلق القلبي بالخالق جل في علاه

(٣) وأعني به جانب العبادات والتزام الطاعات والبعد عن النواهي والمحرمات

(٤) أخرجه مسلم في السلام باب :اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ [٢١٩٨] مسند الإمام احمد [١٤٥٧٣] الطبراني [٣٧٦]

قال "لا. أما أنا فقد عافاني الله. وكرهت أن أثير على الناس شرا. فأمرت بها فدفنت".(١)

ب- الأحاديث النبويّةُ في المجال التعبدي :

٣. عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ».(٢)

٤. عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لاِمْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ سَمَّاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَنَسِيتُ اسمهَا « مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّى مَعَنَا ». قَالَتْ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلاَّ نَاضِحَانِ فَحَجَّ أبو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضِحُ عَلَيْهِ قَالَ « فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِى فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً ».(٣)

٥. عن أسماء. قالت: قلت: يا رسول الله ! إن أمي قدمت علي. وهي راغبة (أو راهبة) أفأصلها ؟ قال: "نعم".(٤)

٦. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ - رضى الله عنه - قَالَ بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّى تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّى بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ - قَالَ - فَقَالَ « وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا

---

(١) أخرجه مسلم في السلام باب السّحْر [٢١٨٩] ، و البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده [٣٢٦٨] ،وفي الأداب باب قوله تعالي (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...) [٦٠٦٣] وفي الطب باب هل يستخرج السحر [٥٧٦٥] وباب السحر [٥٧٦٦] [٥٧٦٣] ، وفي الدعوات باب= = باب تكرير الدعاء [٦٣٩١] ،و ابن ماجة في الطب باب السحر [٣٥٤٥] و في مسند أحمد [٢٤٣٠٠][٢٤٣٤٧][٢٤٣٤٨][٢٤٦٥٠] والنسائي في السنن

(٢)أخرجه مسلم كتاب صفه القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة [٢٨٢٠] والبخاري كتاب تفسير القران باب (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك)[٤٨٣٧](قال أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا) و في مسند أحمد [٢٤٨٤٤]

(٣) وفي مسند أحمد [٢٠٢٥]، وأخرجه البخاري في العمرة باب عمرة في رمضان[١٧٨٢] وفي كتاب جزاء الصيد باب حج النساء[١٨٦٣] (و أخرجه مسلم كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان [١٢٥٦] بلفظه ، والنسائي في السنن الكبرى كتاب المناسك باب فضل العمرة في رمضان [٤٢٠٩]

(٤) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ولو كانوا مشركين [١٠٠٣] وأخرجه البخاري كتاب الجزية باب إثم من عاهد ثم غدر[٣١٨٣] كتاب الأدب باب صلة المرأة أمها ولها زوج [٥٩٧٩] سنن أبي داود كتاب الزكاة باب الصدقة علي أهل الذمة [١٦٦٨] وفي مسند احمد [٢٦٩١٥][٢٦٩٢٩] [٢٦٩٤٠][٢٦٩٩٤]

صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا قَالَ « صُومِى عَنْهَا ». قَالَتْ إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ « حُجِّى عَنْهَا ».[1]

٧. عن عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا أَرَادَ النَّبِىُّ -ﷺ- أَنْ يَنْفِرَ إِذَا صَفِيَّةُ عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَئِيبَةً حَزِينَةً. فَقَالَ « عَقْرَى حَلْقَى إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا ». ثُمَّ قَالَ لَهَا « أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ ». قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ « فَانْفِرِى ».[2]

٨. عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا أَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ فَقَدِمَتْ وَلَمْ تَطُفْ بِالْبَيْتِ حَتَّى حَاضَتْ فَنَسَكَتِ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا. وَقَدْ أَهَلَّتْ بِالْحَجِّ. فَقَالَ لَهَا النَّبِىُّ -ﷺ- يَوْمَ النَّفْرِ « يَسَعُكِ طَوَافُكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ ». فَأَبَتْ فَبَعَثَ بِهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّنْعِيمِ فَاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الْحَجِّ.[3]

٩. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِى سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِى سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِى سَوَادٍ فَأُتِىَ بِهِ لِيُضَحِّىَ بِهِ فَقَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ هَلُمِّى الْمُدْيَةَ ». ثُمَّ قَالَ « اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ ». فَفَعَلَتْ ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ ثُمَّ قَالَ « بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ». ثُمَّ ضَحَّى بِهِ.[4]

١٠. عن عائشة. قالت: خرجت سودة، بعد ما ضرب عليها الحجاب، لتقضي حاجتها. وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسما. لا تخفى على من يعرفها. فرآها عمر بن الخطاب. فقال: يا سودة! والله! ما تخفين علينا. فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي. وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله! إني خرجت. فقال لي عمر: كذا وكذا. قالت فأوحي إليه. ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه. فقال "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن".[5]

---

(١) في مسند أحمد [٢٣٠٣٢].وأخرجه مسلم كتاب الصيام باب قضاء الصيام عن الميت [١١٤٩]الترمذي كتاب الزكاة باب ماجاء في المتصدق يرث صدقته [٦٦٧]النسائي في السنن الكبرى كتاب الفرائض في ميراث الابنة الواحدة المنفردة [٦٢٨٣] سنن أبي داود كتاب الزكاة باب من تصدق بصدقة ثم ورثها [١٦٥٦] كتاب الوصايا باب في الرجل يهب الهبة [٢٨٧٧]

(٢) أخرجه البخاري كتاب الآداب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم تربت يمينك وعقري حلقي [٦١٥٧] ،ومسلم كتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض[١٢١١] ابن ماجه كتاب المناسك باب الحائض تنفر قبل أن تودع [٣٠٧٣] وفي مسند أحمد[٢٦٣٠٠] النسائي في الكبرى كتاب المناسك باب الإباحة للحائض أن تنفر إذا كانت قد أفاضت يوم النحر[٤١٧٧]

(٣) أخرجه مسلم كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام[١٢١١] ،وفي مسند احمد[٢٤٩٣٢]

(٤) في مسند أحمد [٢٤٤٩١]مسلم كتاب الأضاحي باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير [١٩٦٧] أبي داود كتاب الضحايا باب مايستحب من الضحايا

(٥) أخرجه مسلم كتاب السلام باب إباحة الخروج للنساء لقضاء الحاجة[٢١٧٠]،وأخرجه البخاري كتاب تفسير القران باب قوله تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) الأحزاب ٥٣ [٤٧٩٠] في مسند احمد[٢٤٢٩٠]

١١. عن أم عطية. قالت: دخل علينا النبي ﷺ ونحن نغسل ابنته. فقال "اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر. واجعلن في الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فآذنني" فلما فرغنا آذناه. فألقى إلينا حقوه. فقال "أشعرنها إياه"[١]

١٢. عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِى. وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِى لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِى كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّى لَحُبْلَى. قَالَ « إِمَّا لاَ فَاذْهَبِى حَتَّى تَلِدِى ». فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ « اذْهَبِى فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ ». فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِىَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِىَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِىُّ اللَّهِ -ﷺ- سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ « مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.[٢]

١٣. عن عَائِشَةَ - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ ».(٣)

١٤. عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا فَقَتَلَهَا بِحَجَرٍ - قَالَ - فَجِىءَ بِهَا إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- وَبِهَا رَمَقٌ فَقَالَ لَهَا « أَقَتَلَكِ فُلاَنٌ ». فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا

(١)أخرجه البخاري كتاب الجنازة باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر[١٢٥٣]وباب مايستحب أن يغسل وترا[١٢٥٨] [١٢٥٩] [١٢٥٤]،و مسلم كتاب الجنائز باب غسل الميت [٩٣٩] ، سنن أبي داود في الجنائز باب كيف غسل الميت [٣١٤٣] ، سنن الترمذي في الجنائز باب ماجاء في غسل الميت[٩٩٠] ، سنن النسائي كتاب الجنائز - غسل الميت بالماء والسدر [١٨٨١] ،سنن ابن ماجة في الجنائز باب ماجاء في غسل الميت[١٤٥٨] ، مسند أحمد [٢٧٢٩٧]
(٢)مسلم كتاب الحدود باب من اعترف علي نفسه بالزنا [١٦٩٥]النسائي كتاب الرجم [٧١٤٨]
(٣) في مسند أحمد [٢٥٤٦٣]مسلم كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها[١٣٣٣] الترمذي أبواب الحج باب ماجاء في كسر الكعبة [٨٧٥] النسائي كتاب مناسك الحج - بناء الكعبة[٢٩٠٣] والبخاري كتاب الحج باب فضل مكة وبنيانها[١٥٨٦]

أَنْ لاَ ثُمَّ قَالَ لَهَا الثَّانِيَةَ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لاَ ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّالِثَةَ فَقَالَتْ نَعَمْ. وَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بَيْنَ حَجَرَيْنِ.(١)

---

(١) في مسند أحمد[١٢٧٤٨]البخاري كتاب الطلاق باب الاشاره في الطلاق والأمور[٥٢٩٥] وأخرجه مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات[١٦٧٢]ابن ماجه كتاب الديات باب يقتاد من القاتل كما قتل [٢٦٦٦] وأبي= =داود كتاب الديات باب يقاد من القاتل[٤٥٢٩] الترمذي أبواب الديات باب ماجاء فيمن رضخ رأسه بصخره[١٣٩٤] ،النسائي كتاب القسامة- القود بغير حديدة[٤٧٧٩]

ثانيا : التحليلُ البلاغيُ لنصِ الخطابِ
الأحاديث النبويةُ في المجال الروحي الإيماني

١. مشروعية الرقية .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأسماء بِنْتِ عُمَيْسٍ « مَا لِى أَرَى أَجْسَامَ بَنِى أَخِى ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ ». قَالَتْ لاَ وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ « ارْقِيهِمْ ». قَالَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ « ارْقِيهِمْ »..

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي[١] للخطاب : يخاطب رسول الله صلى الله عليه و سلم زوج أبي بكر أسماء بنت عميس رضي الله عنهما في شان أبنائها وما بدت عليه أجسامهم من ضعف وإعياء ، ويأمرها بالرقية بعد أن أرجعت سبب ما هم عليه إلى العين وكيف أنها تسرع إليهما ،وأسماء بنت عميس الخثعمية ، تعرف بزوج الفضلاء فهي زوج الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ولدت له محمدا وعبد الله وعوناً ،ثم زوجٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وولدت له محمد بن أبي بكر ثم زوجة لعلي رضي الله عنه وولدت له يحيي بن علي .

وقيل أن المراد ببني أخي ، ابني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتفقدهما بعد استشهاد أبيهما فكان السؤال عما يعاينه من حالتهما .

---

(١) هو ما يسمى بسياق المقام ، أو سياق الحال ، أو سياق الموقف وهو " مجموع الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ، ابتداء من المرسل والوسط حتى المرسل إليه وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر" ينظر : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، عبد القادر عبد الجليل (٢١٤) عمان ،دار صفاء ٢٠٠٢مـ ١٤٢٢هـ

(٢)ينظر : تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ، محمد تقيّ العثماني(٤/ ١٩١) ، دمشق، دار القلم ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦مـ

المقصد الكلي[١] لنص الخطاب : هو بيان جواز الرقية ، واستحبابها من العين [٢]و أن العين حق يُتأذى بها وأن الرقى تنفع فيها إذا قدر الله ذلك [٣]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : ضارعة من الضَّرِيعُ وهو: نبات أخضَر مُنْتِنٌ خفيف يابس يَرْمي به البحرُ وله جوْفٌ، وهو مَرْعَى سَوْءٍ لا تَعْقِدُ عليه السائمةُ شَحْماً ولا لحماً، وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها [٤] قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ الغاشية٦والمعنى أنها نحيفة ضعيفة[٥] وعند أبي هلال العسكري الضراعة : من الضَّرع وهو معرض لحالبه والشارب منه فالضارع هو المنقاد الذي لا يبدي امتناعاً[٦] ومن هنا يتضح قيمة العدول إلى لفظة " ضارعة " دون ضعيفة أو هزيلة ، فالضارعة منقادة للحلب والضرْع حتى أصبح بها من الخفة و اليَبس مالا يسمن ولا يغنى من جوع ، إضافة إلى أن بها من معاني العلة والمرض مالا يوجد مع مجرد الوصف بالضعف والهزال .

و"الحاجة " من حوج حاجَةُ والحائِجَةُ : وهي المَأْرَبَةُ ، والحَوْجُ: الطَّلَبُ والفَقْرُ والمُحْوِجُ: المُعْدِمُ من قوم مَحاوِيجَ والجمع حوائج ، قال الفرزدق:

ولي ببلادِ السِّنْدِ، عندَ أميرِها حوائجُ جمّاتٌ، وعِندي ثوابُها

وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْ عَفَّ خَفَّ، على الوُجُوهِ، لِقاؤُهُ وأَخُو الحَوائِجِ وجْهُه مَبْذُولُ[٧]

"والمعنى هل هم يحتاجون إلى غذاء يقويهم ؟"[٨] فعبر "بالحاجة " عن المأربة أو الفقر أو المرض للعموم ،لان فقد الطعام سبب من أسباب الضعف لا كلَّ أسبابِهِ .

---

(١)هو ما يفهم من الكلام بدلالة المنطوق وسياقاته ففي قوله تعالى : " فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا"الإسراء ٢٣ المقصد الكلي ،تحريم الأذى للوالدين وهو ما يفهم من الكلام بدلالة المنطوق وسياقه وفي ذلك إشارة إلى ما يعرف بعلم الدلالة طرقة وأقسامه .ينظر : علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمنهج علماء الأصول في فهم النص، محمد محمد يونس علي (٢١٤) لبنان ، بيروت دار المدار الإسلامي ٢٠٠٦

(٢)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (١٩١/٤)

(٣) ينظر : المسالك في شرح موطأ مالك ، لابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (٤٣٩/٧) قراءة وتعليق محمد بن الحسين السليماني ، عائشة بنت الحسين السليماني وقدم له ، الشيخ يوسف القرضاوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

(٤)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة : (ض.ر.ع)

(٥)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (٤/ ١٩١)

(٦)ينظر: الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري (٢٥٠)

(٧)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ح.و.ج)

(٨) تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (١٩١/٤)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

سبق خطاب التكليف أسلوب استفهام للوقوف على حقيقة ما كان التكليف منوطاً به " مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة " ولكن الاستفهام من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عن حقيقة ما لاح له هو، وليس عن حال من يستفهم عنهم "لأنه اعتبر حال نفسه"[١] أولاً، فمال إلى السؤال ،تأكداً و تيقناً ، فقال " مالي أرى"وياء المتكلم فاعلاً ، ولم يقل "مال أجسامهم " قال الزمخشري في شأن سليمان لما تفقد الهدهد في قوله تعالى: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ" سورة النمل ٢٠ هو "على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره ، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له "[٢]و يؤخذ من ذلك التثبت من المرض ومعرفة أسبابه مشروع قبل مباشرة الرقية وهو لا يتنافى مع الأيمان بنفعها ومعرفة أن " سبيل الرُقى سبيل سائر العلاج والطب "[٣]

" تصيبهم الحاجة "[٤] في الجملة أسلوب استفهام حذفت أداته ، والمعنى هل ينقصهم الغذاء حتى تسبب لهم في المرض والضعف ، ولا شك أن نقص الطعام في مستوى من مستوياته وخاصة عند صغار السن يتحول إلى مرض ،مما جوّز التعبير بلفظ تصيبهم من "المصاب والبلاء"[٥]وهو ما أنكره رسول الله صلى الله عليه و سلم ورفضه ، ومن أهم القيم التربوية المستقاة من ذلك ،حرصه صلى الله عليه و سلم على صحة صغار السن ومتابعة أحوالهم ،لان قوة البدن وصحته من أهم ما يدل على السلامة العامة والخلو من الأمراض بمشيئة الله .

---

(١) في تفسير قوله تعالى (فقال ما لي لا أرى الهدهد) ولم يقل ما للهدهد لا أراه، أحكام القرآن ،ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (٤٧٩/٣)تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ط٣ ـ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣

(٢)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله الزمخشري، (٤٤٥/٤)تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، الرياض – مكتبة العبيكان ،ط١،١٤١٨هـ ١٩٩٨م

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك ،لابن العربي (٤٣٩/٧)

(٤) في مسند الإمام أحمد (١٤٩٤٧) أَتُصِيبُهُمْ حَاجَةٌ ».إثبات أداة الاستفهام المحذوفة في " تصيبهم"

(٥)قال تعالى " تصيبهم بما صنعوا قارعة "الرعد ٣١

الفصل بين جملتي الاستفهام : (مالي أرى ، وتصيبهم الحاجة) وذلك لكمال اتصالهما[١] لأن الجملة الثانية جاءت بياناً للأولى ، وذلك أن الجملة الأولى جاءت استفهاماً عن سبب ضعف أجسامهم ، أما الجملة الثانية فهي استفهام عما إذا كانت حاجتهم إلى الطعام هي السبب في ضعف أجسامهم ، فوجب ترك الوصل بينهما لتكاملهما ، ثم كان الجواب بالنفي عن الجملة الثانية التي هي بيان للأولى .

"ارقيهم " التكليف بالرقية بصيغة الأمر استحباباً ، وفيه أمور منها :

- بيان الإباحة [٢] بعد أن كان النهي عن رقي أهل الشرك والجاهلية ، التي يستمدون فيها بالشياطين[٣]
- إذكاءً للتربية الروحية والإيمانية لدى المرأة المسلمة ، في تأكيد اليقين بقدرة الخالق عز وجل ، وضرورة الالتجاء إليه في كل أحوال الضعف والحاجة
- ومن ثم كلفها بالرقية ولم يقم بالرقية عنها فهو من وجهة أولى ، توجيهٌ للاعتقاد فلا حاجز ولا وسيط بين العبد وخالقه ، ومن وجهة أخرى ، تربية النفس على ممارسة الرقية وتيسر أمر أدائها والاعتياد على ذلك دون الحاجة إلى الغير.

ثم كرر الأمر عليها بعد أن عرضت عليه الرقية التي سترقيهم بها من كتاب الله[٤]وقوفاً على أهمية الالتزام بمشروعية الرقية والبعد عن البدع المضَلِّة.

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

النظر في علم لغة النص وما يسمى بالتماسك النصي وأدواته ظاهرية وخارجية ، مما يتحتم الوقوف عنده على أي باحث يتصدى لتحليل الخطاب أو لدراسة النص، ويعد الخطاب النبوي بما حواه من عوامل الانسجام و التماسك النصي ،قبلة الباحثين ومنهل الرواد في هذا المجال ، ومن هنا كان حري بدراسة الخطاب النبوي للمرأة الكشف عن هذه العوامل التي بها تكمل المزية والفضل ، وبها يتبرج المعنى ويبرز ما انطوى عليه من خصائص وسمات .

---

(١) ينظر :الإيضاح ،للخطيب القزويني(١٦٩)
(٢) ينظر : السابق (١٦٠)
(٣) ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقي (٤ / ١٨٨)
(٤) تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (١٩١/٤)

وسنقف هنا مع رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي التي تضمنها الخطاب النبوي للمرأة ،ما يرجع منها إلى السبك وما يرجع منها إلى الحبك[1] التي ورد منها :
الإحالة أو "المرجعية "(بالضمائر والإشارة والاسم الموصول) والحذف، و العطف ، والشرط، التكرار
الطباق والمقابلة ،والفصل ،والإضراب ،والسؤال والجواب ،الترادف والمقارنة ، والتفضيل، والتوكيد
وفي هذا الخطاب من عوامل التماسك النصي ما جعله لحمة واحدة منسجمة متسقة ، ومن أهم تلك العوامل :
الإحالة بالضمائر : وتبرز وظيفة الإحالة في الإشارة إلى ما سبق أو ما سيأتي عن طريق الضمائر مما يحدث ربطاً وانسجاماً بين الأحداث
وبذلك تعد الضمائر من أبرز أدوات السبك والتماسك النصي فهي تأتي نيابة عن الكلمات من جهة ما تقوم به مع غيرها من أدوات السبك في بيان دلالة الكلمات والربط بين أجزاء النص المقامية أو المقالية ، القبلية أو البعدية [٢]
وقد ظهر ذلك جلياً في هذا النص عند استعمال ضمير المتكلم في (مالي ـ والضمير المستتر في أرى) ثم ترابط ضمائر الغيبة في (أجسامهم ـ تصيبهم ـ ارقيهم)
الفصل بين جملتي الاستفهام : (مالي أرى ، وتصيبهم الحاجة) وذلك لكمال اتصالهما [٣]لان الجملة الثانية جاءت بياناً للأولى ، وذلك أن الجملة الأولى جاءت استفهاماً عن سبب ضعف أجسامهم ، أما الجملة الثانية فهي استفهام عما إذا كانت حاجتهم إلى الطعام هي السبب في ضعف أجسامهم ، فوجب ترك الوصل بينهما لتكاملهما ، ثم كان الجواب بالنفي عن الجملة الثانية التي هي بيان للأولى .
الحذف : في حذف مفعول " عرضت عليه " والمعنى الرقية من القرآن وفي حذفه دلالة تعينه ،فلن تعرض عليه غيره ، وقد نفي الإسلام التعلق بغير الله وكان الصحابة رضوان الله عليهم ـ والمرأة المسلمة ـ أول من التزم التشريع وأقره

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

---

(١) من المعايير النصية ، السبك و هو التماسك النحوي و الحبك وهو التماسك الدلالي
(٢) ينظر : السبك النصي في القران الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام) للباحث أحمد حسين حيال (٦٢)، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير مقدمة لكلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ، بإشراف الدكتور محمد عليوي الشمري، عام ٢٠١١
(٣)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٦٩)

المرتكز البياني في نص الخطاب هو أسلوب الأمر الذي يستخدم في الأصل لطلب القيام بالفعل استعلاء من باب الوجوب أو الندب أو الإباحة كما أنه يخرج إلى معانٍ أخرى يحكمها السياق كالتسوية والتهديد والتسخير (١)

وجاء التكليف في الخطاب بصيغة الأمر " ارقيهم " من باب الندب والإباحة .

وقد سبق التكليف بالاستفهام ، الذي سوغ للتكليف ودعم أسبابه ، وبين الحاجة إليه .

ثم جاء التكرار إقراراً وتأكيداً للتكليف بعد التثبت التيقن من إجادة القيام به.

وقد كانت الألفاظ سهلة ممعنة في الوجازة .

أما المعاني فهي معانٍ تميل إلى الواقعية ، مستمدة من حاجة النفس الإنسانية إلى الاستشفاء والاعتقاد والتعلق بما ينفعها في ذلك ، فأرشدها إلى منهج المسلم في عقيدته الإسلامية ، وهو جانب روحي مهم في حياة المسلم ، وقف التشريع عنده أولاه عناية بالغة ،وقد تناول الخطاب النبوي للمرأة المسلمة هذه المعاني بأيسر الطرق وأوجز التراكيب بدأ بالاستفهام التقريري وانتهاءً إلى الأمر الطلبي

---

(١)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٦١)

٢. مشروعية الإيمان بوقوع السحر على رسول الله صلى الله عليه وسلم

- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ - قَالَتْ - حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ. فَقَالَ الَّذِى عِنْدَ رَأْسِى لِلَّذِى عِنْدَ رِجْلَىَّ أَوِ الَّذِى عِنْدَ رِجْلَىَّ لِلَّذِى عِنْدَ رَأْسِى مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ. قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ فِى أَىِّ شَىْءٍ قَالَ فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ وَجُبِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِى بِئْرِ ذِى أَرْوَانَ ». قَالَتْ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِى أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَحْرَقْتَهُ قَالَ « لاَ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِى اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : إن تعرض رسول صلى الله عليه و سلم للسحر وتأثره به حقيقة استعصى تصديقها على نفر من العلماء[١]فضلاً عن العامة من الناس[٢]، غير أن الأحاديث في هذا الباب تواترت واتصل سندها ومنها هذا الحديث الذي نقل عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما روته من سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وقد سحره رجل من يهود بني زريق يدعى لبيد بن الاعصم وهم بطن من الأنصار من الخزرج [٣]فظل أثر السحر على رسول الله ﷺ نحو عام حتى ليكاد ينكر بصره [٤]إلى أن من الله عليه بالشفاء والعافية .

❧ ❧ ❧

(١)ومنهم أبو جعفر الاستراباذي ، وأبو بكر الرازي ، وابن حزم الظاهري ، ينظر :عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني(٤١٦/٢١)كتاب الطب ، ضبطه وصححه : عبد الله محمود محمد عمر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
(٢)اعتراض الملحدين في جواز السحر على النبي عليه السلام وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي إلى أن السحر له حقيقة ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال (٤٤١/٩)
(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٤١٦/٢١)
(٤)ينظر : السابق نفسه

المقصد الكلي من الخطاب : الإيمان بأن تعرض رسول الله صلى الله عليه و سلم للسحر وتأثره به ، وشفائه منه باستجابة الله لدعائه حقيقةٌ ماثلة ،وذلك بعد أن رأى رؤيا تنبئه بمكان السحر ، ثم نهيه صلى الله عليه و سلم عن إحراق السحر والاكتفاء بدفنه درءاً للفتن .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : كلُّ ما لَطُف مأخذُه ودَقَّ، فهو سِحْرٌ [١]،قال الأزهري:وأصل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره بعَمَلٍ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه[٢] وهذا الذي وقع منه لرسول الله صلى الله عليه و سلم " تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تميزه ومعتقده "[٣]

وطُبَّ أي سُحِرَ. يقال: رجُل مَطْبوبٌ أي مَسْحور واصله الحاذق ، الماهرُ بعلمه [٤]وجعل الاستشفاء والتطبب سحرا ،تفاؤلاً كما أن فاقد البصر يدعى بصيراً.

المشط ، آلة الشعر المعروفة ، والمشاطة ما سقط من شعر فتعلق بالمشط من شعر الرأس أو الذقن و"الجَبُّ" : القَطْعُ ،والجُبُّ : البِئرُ وقيل وعاء طلع النخل [٥] و"الطَّلْعُ : نَوْرُ النخلة ما دامَ في الكافُور[٦]

وهو طلع لنخلة ذكر وهو ما يبين ما بلغه الساحر من جهد في إخفاء سحره وكذلك يفعلون.

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

" يهودي من يهود بني زريق " تقدم ذكر يهوديته على ذكر اسمه لما يعرف من عداء اليهود لرسول الله ﷺ

---

(١)عند الأصفهاني مادة ، السحر : هو ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. ويسمى اللسان سحر، و طرف الحلقوم، والرئة، وقيل: انتفخ سحره، وبعير سحير: عظيم السحر، والسحارة: ما ينزع من السحر عند الذبح فيرمى به ، وجعل بناؤه بناء النفاية والسقاطة . وقيل: منه اشتق السحر، وهو: إصابة السحر. ينظر : مفردات ألفاظ القران، الحسين بن محمد ،الراغب الأصفهاني (سحر) تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دمشق ، الدار الشامية ، ط٢، ١٤٢٣هـ.

(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (س.ح.ر)

(٣) عمدة القارئ ، للعيني / كتاب الطب (٤١٦/٢١)

(٤) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (س.ح.ر)

(٥) ينظر : السابق(ج.ب.ب)

(٦) ينظر : السابق (ط.ل.ع)

" يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ، وما يفعله " يُخيل فعل مبني لغير الفاعل ،دليل على ظهور أثر السحر على رسول الله ﷺ في تخيل وقوع ما لم يقع و" الشيء" ، للعموم والمقصود يأتي أهله ونساءه[١]"

فكان المُتخَيل في الفعل لا في القول " [٢]

وهي حصانة لرسول الله صلى الله عليه و سلم وحفظاً لكتابه حيث لم يؤثر السحر على منطقه.

"دعا رسول الله ﷺ. ثم دعا. ثم دعا " وهو ما كان يعهد منه من الإلحاح في الطلب وتكراره ثلاثاً.

"يا عائشة ! أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟"

النداء لتنبيه المخاطب والجملة استفهامية مؤكدة ، لإثبات أن شفاءه صلى الله عليه و سلم كان استجابة من الله تعالى لدعائه ، يقينا منه صلى الله عليه و سلم بعظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده ، فهو تكليف بالأخذ بأسباب الشفاء المشروعة في الاستشفاء من السحر، كالرقية الشرعية وطول الدعاء وصدق الالتجاء بيقين وإيمان صادق وقد ورد في سبب نزول [٣]سورتي "الفلق والناس" أنهما كانتا رقية شرعية علمهما الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام عندما تعرض للسحر ، فكانتا ضمن دعائه صلى الله عليه و سلم حتى تم له الشفاء ، وهكذا يخاطب رسول الله ﷺ المرأة المسلمة يلفت انتباهها ، بأسلوب من أساليب التكليف ، وهو الجملة الاسمية المؤكدة المسبوقة بالاستفهام التقريري .

وفي رواية البخاري أن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عرضت على رسول الله صلى الله عليه و سلم النشرة [٤]فلم يفعلها [٥] تأكيداً منه ﷺ لأهمية الالتجاء إلى الله وحده التيقن من الإجابة حتى يفرح بفرج الله كما فرح رسول الله ﷺ .

"جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي"

يخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم السيدة عائشة بخبر السحر وما أصابه منه في قصة مفصلة ،مترابطة متسلسلة ، بهدف تصديق هذه القصة والإيمان بما جاء فيها ،فهي

---

(١)جاء في رواية " مَكثَ النَّبِيُّ - ﷺ - كذا وكَذا يُخَيَّلُ إليْهِ أنَّهُ يأْتِى أهْلَهُ ولاَ يأْتِى " البخاري ، في الأداب [٦٠٦٣] و"يرى انه ياتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذاكان كذا "البخاري - في الطب - [٥٧٦٥]

(٢) عمدة القارئ ، للعيني (٢١/ ٤١٦)

(٣) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل (٣٠ / ٢٨٢) بيروت ، دار إحياء التراث العربي – د.ط

(٤) نقل عن السيدة عائشة رضي الله عنها قولها " أفلا تنشرت " والنشرة هي الرقية التي بها يحل ما طوي الساحر ، ينظر :عمدة القارئ ،للعيني (٢١/ ٤٢٢)

(٥) اختلف في جوازها لأنها قد تنطوي على ألفاظ مبهمة ، ينظر : السابق نفسه

صورة من صور الأمر عن طريق الإخبار بالخبر ووصفه وصفاً كاشفاً عن جوهره وحقيقته [١] وإخراجه في صورة تدل على طلب الأخذ به وطلب تصديقه .

وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه و سلم بسرد تفاصيل الحادثة على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فبدأ بذكر الشخصيات ، وهما الملكان في صورة رجلين [٢]

ورغم أن أسلوب القص يمتاز بكثير من المميزات [٣] إلا أن الشخصيات تعد في هذا الأسلوب عنصراً أساسياً في التصوير ورسم الأحداث ، ثم قال "رجلان " وليس " الرجلان" والتنكير يدل على إنكاره ﷺ لهويتهما ، وعدم علمه بمجيئهما مسبقاً ، وجلسا عند رأسه وقدمه وما هكذا يجلس من يعود مريضاً ولكن للمرسلين سمتُهم قال تعالى :﴿ **فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ**﴾ هود٧٠

ثم جاء الحوار بين الشخصيات في صورة أسئلة موجزة مباشرة ،وإجابات تامة الوضوح لتبين ماهية المرض ، وصاحبه وطريقته ومكانه الذي به يعرف علاجه ،"ما وجع الرجل؟ ،من طبه ، في أي شيء ، فأين هو ؟ "

وبذلك يتنقل أمر السحر من الغموض والخفاء إلى الوضوح والجلاء ، وهو ما يجب التزامه من قبل من يقومون بعلاج السحر إثباتاً لصدقهم وعدم إدعائهم

وقوله " فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ " وردت لفظة المشط وهي مما تفرد به البيان النبوي حيث لم ترد هذه اللفظة أو أي من مشتقاتها في القران الكريم[٤].

"يا عائشة ! والله ! لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين"

القسم خرج من معنى الإثبات إلى معنى التعجب وبيان عظم ما رأى من أثر السحر المخبأ على البستان بأكمله ، في مائه ونخله.

شبه ماء البئر في حمرة لونه بنقاعة الحناء ، إما لرداءته وطول إقامته دون أن يطرقه أحد من الناس وإما لما خالطه من السحر ،[٥] وترك أثره فيه ، وصور نخلها في سوء منظره وقبح مرآه برؤوس الشياطين ، لما تعلق في القلوب من سوء شكلها ، وهو تشبيه عقلي وهمي ، لأن الصورة المجهولة للشيطان رسمها العرب في عقولهم و أذهانهم وهماً دون معاينة ، كما صور امرؤ القيس رمحه بأسنان الغول فقال :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونّة زرق كأنياب أغوال

---

(١)ينظر : صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، د.محمود توفيق (١٤٠)

(٢) في رواية " فَأَتَاهُ مَلَكَانِ " مسند احمد[٢٤٣٠٠]

(٣) أسلوب القص له أهداف كثيرة منها : الحث والإقناع كما هو ظاهر في السياق ، ينظر : صحيح القصص النبوي ،عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (١٤) ، الأردن - دار النفائس – الأردن - ط ٧ - ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٤) ينظر : القران والحديث مقارنة أسلوبية، إبراهيم عوض (٢٨)، القاهرة ، زهراء الشرق، ٢٠٠٠- ١٤٢١هـ

(٥)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢١/ ٤٨١)

وتظهر دقة اختيار الصورة وبعدها عن التهويل والمبالغة وميلها إلى الواقعية ، ومطابقتها للمقام والغرض من التشبيه ، فتشبيه الماء في حمرته بنقاعة الحناء أولى في هذا المقام من تشبيهه بالدم مثلاً ، لأن الغرض إثبات عكارة الماء ، ثم يظهر الربط بين السحر وعالم الغيب ، في التشبيه برؤوس الشياطين التي هي نوع من التوهم والغيب .

يا رسول الله ! أفلا أحرقته " أسلوب عرض من السيدة عائشة رضي الله عنها والضمير يعود على ما عقد عليه السحر أن يحرقه أمام الناس فيعلموا بخبره [١] وينكشف أمر ذلك الساحر.

" لا. أما أنا فقد عافاني الله. وكرهت أن أثير على الناس شرا "

النهي عن القيام بالفعل وهو تكليف بالنهي لعلة ، "أما "تفيد التفصيل والتقسيم[٢] وقد فصّل التكليف لسببين :

السبب الأول : عدم الانتفاع من حرق السحر بعد العافية ، وفيه من التربية معنى قيم ، يُلزم المسلم الحرص على ما ينفعه ، حتى في تعامله مع عدوه ، ولو كان في الثأر بعد الانتصار نفع لحرض عليه ودفع إليه.

والسبب الثاني : كراهة الإضرار بالناس وهو ما صوره ﷺ بقوله " أثير في الناس" وهي استعارة تمثيل غاية في ألدقه ، فجعل الشر تراباً يثار فيعم ضرره القاصي والداني فاتضح أن تجنب ذلك " مخافة مفسدة أكبر بتعلم المنافقين السحر وإيذاء الناس به وقد كان من خلقه صلى الله عليه و سلم ترك نفع خاص لضرر عام" [٣]

وهي تربية يربى عليها صحابته رضوان الله عليهم والمرأة المسلمة في هذا الخطاب " فأمرت بها فدفنت " الفاء للموالاة وبيان السرعة في التخلص من الشر، والضمير يعود على البئر [٤].

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في : ضمير المتكلم المضطرد من بداية النص إلى نهايته ليجعله لحمة تركيبية واحدة فكان في " أفتاني ، جاءني ، رأسي ورجلي ، عافاني" الضمير المتصل في " أتاها ، ماءها ، نخلها " عودا على البئر المصرح به قبل

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقي (٧/ ٣٦٦)
(٢)ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) (٥٢٢) تحقيق فخر الدين قباوه ، محمد فاضل ،بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٢م
(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢١ / ٤١٨)
(٤)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقي . (٤ / ١٨٢)، وينظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٤ / ٣٧٦) – تحقيق محيي الدين أديب وآخرين – دمشق، دار ابن كثير د.ط

ضمير الغائب المذكر في " " أفلا أحرقته " العائد على ما عقد عليه السحر وضمير الغائب المؤنث في " دفنت " البئر بما فيها من سحر .

- الحوار بين الشخصيات .
- الفصل والوصل بين الجمل ، فجاء الفصل والوصل في جملتين متتاليتين في قوله " لا .أما أنا فقد عافاني الله " ثم الوصل في " وكرهت أن أثير على الناس "
- التكرار للفعل والحرف " ثم دعا ، ثم دعا ، ثم قال "

أ) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على الأسلوب القصصي بما يتوافر به من عناصر ،من وصف الشخصيات وتلاحق الأحداث وصولاً إلى العقدة ، ثم جاء النهي المعلل لتقوية الحكم وزيادة في الإقناع .

والقصة في البيان النبوي تتسم بالواقعية والصدق والبعد عن الشطط أو التهويل" وتجردها من طرق التعبير القائم على فن الصناعة اللفظية .تلك التي يسلكها أصحابها إما لاستثارة العواطف ، أوالإستغراق في الخيال "[١]

وجاء التصوير في القصة بعيدا عن التكلف والتهويل فكان له أثره البارز في مدلولات الرواية وفك أسرارها .

والألفاظ في هذه القصة تتسم بكثير من سمات التعبير الفني في القصة النبوية من " السهولة ، والقصد ، وعدم المبالغة والتكلف والخلو من الزخرف والصناعة اللفظية "[٢]

والمعاني في هذا الخطاب النبوي حقائق واقعيه "

والمتأمل في استخلاص تلك المعاني النبوية يجدها استمدت من حياة الإنسان ووقائعه "[٣]التي يتأثر بها ويتفاعل معها راهبا أو راغباً ، فجاء الإسلام مقرراً ومفسراً وكاشفاً لكثير من تلك التوجسات ومبيناً مدى قربها أو بعدها عن الحقيقة والواقعية ، وموجهاً لكيفية التعامل معها ضمن إطار عقيدة المسلم .

---

(١) الخصائص الفنية في الأدب النبوي ، محمد سعد الدبل (١٤٤)ـ الرياض ـ مكتبة العبيكان ، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٧مـ

(٢) السابق نفسه

(٣) السابق (١٨٢)

ب- الأحاديث النبويّةُ في المجال التعبدي :

٣. مشروعية أخذ الإنسان نفسه بالشدة في العبادة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أعبد الناس لله ، وأكثرهم منه مخافة ، فكان يقوم الليل متبتّلاً في محرابه ساجداً وقائماً حَتى تتَشقق قدماه وتتورم ساقاه ،ويأخذ به الجهد مأخذه ،ولما سئل عن فعله ذلك مع ضمان مغفرة الله تعالى له قال : " أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله " الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ،وعلى جوارحه انقياداً وطاعة [١] وأي نعمة في الورى تعدل الاهتداء لعبادة خالق الأكوان ومدبر أحوالها

المقصد الكلي من الخطاب : صفة ما كان عليه رسول الله ﷺ في تعبده من مشقة .

قال ابن بطال : "انه من أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضر ببدنه "[٢]

وقال العيني :" إن من سأل ذلك إنما أراد به ما وقع في سورة الفتح "[٣] و هو تامين من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم من عدم وقوعه في الذنب ، بقوله " وما تأخر"

---

(١) ينظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية) (٢ / ١٣٥)، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ط ٢ ـ ١٣٩٣ - ١٩٧٣

(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري ،أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، (٣/ ١٢١) تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، السعودية ، الرياض ، مكتبة الرشد، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

(٣) ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٧ / ٢٦١)

لأن ما لم يقع إلى الآن لا يسمى ذنباً ومع ذلك كان أشد الناس خشية ومخافة من الله تعالى .

المعجمُ اللُّغويُّ: عبداً : العبد: الإنسان ، حرّاً كان أو رقيقاً ، يُذْهبُ بذلك إلى أنه مربوب لباريه ، عز وجل

ومعنى العبادةِ في اللغة : الطاعةُ مع الخُضُوعِ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مذللاً بكثرة الوطءِ [1]

والعبادة أبلغ من العبودية ، قاله الأصفهاني ، لأن في الأولى غاية التذلل يقيناً واختياراً وأما الثانية فمجرد إظهار التذلل ، والعبد يقال على أربعة أضرب

: الأول : عبد بحكم الشرع ، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه

والثاني : عبد بالإيجاد ، وذلك ليس إلا لله وعليه قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوات وَالْأَرْض إِلَّا آتِي الرَّحْمَن عَبْدًا﴾ مريم٩٣

والثالث : عبد بالعبادة والخدمة ،

والرابع : عبد للدنيا وأعراضها [2]

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ المعنى ما خلقتهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي وأنا أريد العبادة منهم ، وقد علم الله قبل أن يخلقهم من يعبده ومن يكفره[3]

والتعبّد لله تعالى من أرقى أنواع العبادة [4]، كلف بها الله تعالى خلقه و سمى بها أنبياءه ورسله، فقال تعالى : ﴿اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾سورة ص١٧ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ الفرقان١

وسمى بها الصالحين من عباده ، فقال﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر٤٢ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ الفرقان٦٣

ولذلك عندما أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعلل تعلقه في الصلاة وكثرة قيامه وشدة مخافته لله تعالى ، سمى نفسه "عبداً " ، يقيناً منه صلى الله عليه و سلم بمعاني الطاعة والخضوع الواجب لله تعالى ، واعتقاداً بحق الله تعالى على عباده وسائر خلقه من الثقلين ، ورضاً وسعادة بما سمى الله به أهل الصلاح والتقى في كتابه الكريم مع

---

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ع.ب.د)
(٢) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ،للأصفهاني مادة(عبد)
(٣) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ع.ب.د)
(٤)هي أرقى أنواع العبادة لأن العبادة نوعان ، نوع تميز به الإنسان وهي عبادة التخيير ونوع تشترك فيه كل المخلوقات وهي عبادة التسخير ينظر : مفردات ألفاظ القران للأصفهاني مادة (عبد)

وجوب التمسك بمقتضى ذلك من تمام الشكر وكمال الالتجاء ، هذه هي التربية الروحية والمعاني الإيمانية العميقة لكلمة " عبد" التي جسدت جزءاً هاماً من فحوى خطابه صلى الله عليه و سلم للسيدة عائشة رضي الله عنها خاصة ، والمرأة المسلمة عامة ، وكافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

شكورا : الشُّكْر عِرْفانُ الإحسان ونَشْرُه قال ثعلب : الشُّكْرُ لا يكون إلاَّ عن يَدٍ ، والحَمْدُ يكون عن يد وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما. قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ، إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى   وما كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي

وأصله من شَكَرَتِ الإبل تَشْكُر إذا أصابت مَرْعًى فَسمِنَتْ عليه والشَّكُور من الدواب: ما يكفيه العَلَفُ القليلُ ، وقيل : الذي يسمن على قلة العلف فيظهر عليه أثره كأنه يَشْكُرُ وإن كان ذلك الإحسان قليلاً [١]،فكيف بالإنسان لا يظهر عليه اثر إحسان الله عليه ، على كثرته واضطراده ، أنه معنى حقيق بالنظر والتأمل .

و الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ، ولا يصح إلا على النعمة وهو غير الحمد الذي يكون ذكراً بالجميل على جهة التعظيم ويصح على النعمة
وغير النعمة [٢] فالشكر حق من حقوق المنعم ، لذلك تميز بالخصوصية و عم فعل الحمد قال تعالى ﴿ وقَلِيلٌ مِّنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾سبا١٣وهو معنى تربى عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم[٣]وحرصوا على بلوغه وهو ما يوجب على المرأة المسلمة التأسي والاقتداء به .

والشَّكُورُ : من أبنية المبالغة فعدل بها عن صيغة " شاكر" لأن الشاكر من وقع منه الشكر ، أمّا الشكور : المتوافر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في أكثر أوقاته[٤] وهو المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ .

كما أن بين العبادة والشكر تلاؤم في المعنى وتلازم في التداعي لأن الأول يقتضي الثاني قال المناوي وذكر "العبد" أدعى إلى ذكر "الشكر" لأنه إذ لاحظ وأقر كونه عبداً ، أنعم عليه مالكه نعمه ظاهرة و باطنه ، ظهر وجوب الشكر عليه كمال الظهور[٥]

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر: لسان العرب ، لابن منظور مادة (ش.ك.ر)
(٢)ينظر : الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري (١٢١١)
(٣)ومن ذلك ما روي أن رجل قال عند عمر : اللَّهُمَّ اجعلني منَ الْقلِيل ، فقال ، فقال عمَر : ما هذا الَّذي تدعو بِه ؟ ، فقال : إني سمعتُ اللَّهَ يقول : وَقَلِيلٌ منْ عبادِيَ الشَّكُورُ ، فَأَنا أدعو أنْ يجعلني منْ أولئك الْقليل فقال عُمرُ " كلُّ النَّاسِ أعْلمُ منْ عُمرَ" ينظر : مصنف ابن أبي شيبة [٢٨٩٣٢]
(٤)ينظر : الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري (١٢١٢)
(٥)ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلاّمة محمد عبد الرءوف المناوي (٩ / ٢٣٩) بيروت ـ لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٥ هـ

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" : " هو استفهام على طريق الإشفاق قيل وهو أولى من جعله للإنكار "[١] مع أن الهمزة إذا وليها فعل تحمل على معنى الإنكار لكنه من السيدة عائشة رضي الله عنها صرخات شفوقة وزفرات ملتهبة من زوجه تضرب أروع الأمثال وقد مضت تتحسس بقلبها أقدام زوجها فتجد لما يجد وتعاني مما يعاني .

و في الإسناد محذوف دل عليه المذكور والتقدير" وما تأخر من ذنبك " وفيه مزيد عناية وتنزيه لرسول الله من توقع إتيان الذنب أو الوقوع فيه .

وهذا التساؤل من السيدة عائشة رضي الله عنها يقابله رسول الله ﷺ بنفحات عبقة من بيان النبوة الخالد ، فقلما تجد مسلما في شتى مشارق الأرض ومغاربها لم يطرق قلبه قول رسول الله صلى الله عليه و سلم "أفلا أكون عبدا شكورا "وما تحقق ذلك إلا من خلال السمات البيانية التي غاصت في ثبج المعنى فرسمته واضح المعالم رفيع القسمات .

"يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عبداً شكورا"

- مقابلة النداء بالنداء
- جاءت الهمزة أداة من أدوات الاستفهام وزيادة في التقرير للسيدة عائشة رضي الله عنها مقابلاً لقولها :" أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " وفي ذلك من التربية للمرأة المسلمة الكثير ، فهذا هو خلق الانبياء والصالحين في الزام أنفسهم شدة الخوف والخشية لله تعالى ، وتكبدهم مشقة ذلك وإن كانوا قد أمنوا إلى المغفرة ، لعلمهم بعظيم نعم الله عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل [٢] وهو معنى قوله تعالى :(إنما يخشى الله من عباده العلماء)فاطر٢٨ فكيف يلزم سائر الخلق من الخوف والخشية ، ممن لا يعلم مصيره إلى جنة الخلد أم نار الجحيم
- الاستفهام للتقرير ،أما وقد ثبت أن الهمزة لإنكار الفعل بعدها وقد وليها فعل منفي فهو إنكار للنفي مبالغة في التقرير " وإنكار النفي نفي له "[٣] والتقدير "إذا أكرمني مولاي بغفرانه أفلا أكون شكوراً لإحسانه ، أو أنه عطف على محذوف

---

(١)ينظر : فيض القدير المناوي (٩ / ٢٣٩)

(٢)ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال (٦ / ٣٧)

(٣)ينظر : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، سعد الدين التفتازاني (المتوفى٧٩٢) (٤٢٢) – تحقيق عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٢هـ٢٠٠١م

أي أترك صلاتي لأجل تلك المغفرة فلا أكون عبداً شكوراً وكيف لا أشكره وقد أنعم عليّ وخصني بخير الدارين "[1]

- الفاء سببية لأن " الشكر سبب للمغفرة والتهجد هو الشكر فلا يتركه "[2]أي" أأمتنع عن القيام فلا أكون " وقد تقدمت عليها همزة الاستفهام لان لها الصدارة مطلقا ومنه قوله تعالى " أفلا يتفكرون "الأنعام ٥٠ أي أذهبت عقولهم فلا يتفكرون فكان ذهاب العقول سبباً في عدم التفكر .
- "عَبْدًا شكورا " التنكير للاستغراق و شمول أحوال العبادة والشكر ، وأسبابهما وأوقاتهما لأن الشكر يكون بالقول وبالفعل ،قال تعالى ﴿اعمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾سبأ١٣ وهو بالفعل أبلغ وقعاً وأدوم أثراً ، يقول العيني " فإذا وفقه الله تعالى لعمل صالح شكر ذلك بعمل آخر ، ثم يكون شكر ذلك العمل الثاني بعمل ثالث ، فيتسلسل ذلك إلى غير نهاية[3]

وقد كان شكره ﷺ شكر قولٍ وعمل.

وهو معنىً من اسمى المعاني التعبدية التي يقررها النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة المسلمة في هذا الخطاب

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في خطاب السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ،الضمير المستتر "أنت" في" أتصنع ، و "لك " ، " ذنبك ".

اسم الإشارة : " أتصنع هذا " ما يلزم الاستحضار الذهني لما كان يصنعه المخاطب وهو من علامات التماسك النصي لبيان دلالة المعنى سواء في اسم الإشارة أو الضمير الذي كثيراً ما يخرج التركيب من تعدد التأول بمجرد التصريح بالاسم المضمر أو المشار إليه في موضع من مواضع ذلك التركيب

الحذف :على اعتبار من قدره في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم " أفلا أكون عبداً شكورا" أيحسن بي أن أترك صلاتي وعبادتي من أجل تلك المغفرة فلا أكون عبداً شكوراً " وهو محذوف دل عليه المذكور .

ومنها التوكيد في " قد غفر"

ومن عوامل التماسك ،أسلوب الاستفهام والجواب الذي بني الخطاب على لاحبه في "أتصنع هذا، أفلا أكون "

---

(١)ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي (٩/ ٢٣٩)

(٢)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٧/ ٢٦١)

(٣)ينظر : السابق (٧ / ٢٦٢)

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة في الخطاب هو أسلوب الاستفهام التقريري ، الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه و سلم للسيدة عائشة ، معتمداً على إنكار النفي ، مبالغة في الإثبات يسانده في ذلك أسلوب النداء " يا عائشة " الذي جاء ممهداً لتنبيه السامع لما يستجد من المعاني ، ثم تنكير المسند إليه [1]" عبد " وما يفيده التنكير من شمول للمعاني وإرادة غير الحصر.

وجاء الخطاب مجرداً من التمثيل أو الخيال والصنعة اللفظية ، كما اتسمت الألفاظ بالسهولة والقصد والميل إلى الوضوح في وجازة دالة .

ومعاني الخطاب النبوي للمرأة المسلمة في هذا النص ،تتسم بالأصالة والابتكار لأنها صادرة من بيان النبوة الخالد ، وهي تمثل جانبا من حياة المسلم ـ والمسلمة ـ وواجباته التعبدية تجاه خالقه ، وما يلزمه من الصبر في العبادة وتحمل المشقة شكرا لله واستحضارا لعظيم نعمه وآلائه ، متخذا من سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم في تعبده وخشيته لله تعالى قدوته الأولى ثم أزواجه الطاهرات وصحابته الأبرار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١)ينظر : الإيضاح ،للقزويني (١ / ١٣)

٤. مشروعية العمرة في رمضان

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- لِامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ سَمَّاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَنَسِيتُ اسمهَا « مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّى مَعَنَا ». قَالَتْ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلاَّ نَاضِحَانِ فَحَجَّ أبو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضِحُ عَلَيْهِ قَالَ « فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِى فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : في حجة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، تخلفت امرأة من الأنصار يقال لها أم سنان [١] عن صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، على ما في صحبته صلى الله عليه و سلم من فضل وعظيم أجر ، غير أن عذرها كان سببا لبيان فضل العمرة في رمضان ، فضل يتسابق إليه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : استحباب العمرة في رمضان ، وتضاعف أجرها حتى تعدل الحجة وتقابلها

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : كلمة تَعْدِلُ : لها في اللغة وجوه منها الإنصاف وهو ضد الجور يقال : عَدَل الحاكِمُ في حكمه ، ومنها المساواة والمماثلة ، ومما جاء في اللسان : عَدَلَ الشيءَ يَعْدِلُه عَدْلاً وعادَله: وازَنَه. وعادَلْتُ بين الشيئين، وعَدَلْت فلاناً بفلان إذا سَوَّيْت بينهما. وتَعْدِيلُ الشيء : تقويمُه ، وقيل : العَدْلُ تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً.[٢]

وثمة فارق بين العدل والمماثلة والمساواة ، فالمساواة " التكافؤ في المقدار، والمماثلة هي أن يسد أحد الشيئين مسد الآخر"[٣]،فيقوم مقامه وان لم يساويه قدراً ، أما العدل هو "ما عادل أحكامه أحكام غيره وإن لم يكن مثلا له في ذاته "[٤]، ومن هنا كان حاق اللفظ مبيناً فحوى المعنى المراد في فضل العمرة في رمضان .

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني كتاب الحج ،الباب الرابع (١٠ / ١٦٥)
(٢)ينظر لسان العرب ، لابن منظور مادة (عدل)
(٣)ينظر : الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري (١٩٩٧)
(٤)ينظر : الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري (١٤٢٤) الفرق بين العديل والمثل

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا " الاستفهام بما لبيان حقيقة المستفهم عنه وهو هنا عن سبب ما ضيعت من فضل العمرة ،إضافة إلى فضل معيته صلى الله عليه و سلم بقوله: " معنا " ، وفي " منعك " التماس للمانع ، واستعداد قبلي لتقبل المعذرة ،وهو من كريم خلقه صلى الله عليه و سلم

وفي " تحجيَ "ظاهرٌ "أن الحج الذي ندبها إليه كان تطوعًا ؛ أولاً ، لإجماع الأُمة أن العمرة لا تجزئ من حجة الفريضة "[١]وثانياً لان شبه الجملة " معنا " تعلّق الخطاب بحجها في صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة لا بحجها مطلقاً ،يقول ابن العربي وفيه ندب حج المرأة تطوعاً إذا كانت ذات محرم وسؤالها ذلك مادامت قادرة عليه[٢]وهو من المعاني التربوية التي تبرز في خطابه ﷺ للمرأة المسلمة حيث يستحثها على المبادرة والسبق إلى الطاعات .

"قَالَتْ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلاَّ نَاضِحَانِ " والناضح بعير يستخدم لسقيا الماء " واستخدام أسلوب القصر بما والا يوحي بالإعسار ويبرز الحاجة " ولو كان الأمر غير ذلك لقالت : " كان لنا ناضحان " بالإثبات لا بالنفي .

" فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِى فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً "

الفاء للاستئناف " رمضان " وقد خصص بالمثوبة لبيان أن " ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت "[٣]فقد أدركت العمرة فضل الحج بانضمام رمضان إليها .

وفعل الأمر " اعتمرى" للنّدب و استحباب التكليف

" فَإِنَّ " الفاء للتعليل والتعليل طريق من طرق الإقناع، و "إنّ "تأكيد للخطاب وتأكيدا لماهية الفضل المذكور

"عمرة " نكرة ، لبيان الإفراد فدل ذلك على التعظيم وكذلك في " حجة " وفيه موازنة بين المتروك والمكلف به فالمتروك حجة ، والمكلف عمرة توازن حجة .

" تعدل "[٤] وفيه أقوال فقيل في غير حجة الفريضة و هو فضل من الله ونعمة

---

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال (٦ / ٣٠٧)

(٢)ينظر : المسالك،لابن العربي (٣٤٥)

(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني كتاب الحج باب العمرة (١٠ / ١٦٦)

(٤) في صحيح البخاري ، باب العمرة ١٧٨٢ - « فَإِنَّ عُمْرَةً في رَمضانَ حَجَّةٌ » بالإطلاق والتعميم ، وكان العمرة في رمضان تساوي الحجة هي هي ، دون لفظة " تعدل" لان العدل لا يعني المساواة في كل الأمور ، وفي سنن أبي داود ١٩٩١ – هي "أمَ معْقلٍ " قال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم « فَأَمَّا إِذْ فَاتَتْكِ هَذِهِ الْحَجَّةُ معنا فَاعْتَمِرِى في رمضانَ فَإِنَّها كَحَجَّةٍ ».بإثبات كاف التشبيه ،وللجمع بين المختلف اللفظي ترى الباحثة أن العمرة في رمضان تجزئ من لم يستطع غيرها حتى وافته المنية ، وإلا فالأمر مبني على التشبيه .

وقيل بل تعدلها في المثوبة و الأجر،[١] لا أن تقوم مقام الفريضة فتسقطها وقيل بل هو من باب التشبيه فقد شبه العمرة بالحج في المثوبة والأجر أي في بعض الخصال لا عمومها[٢] وعلى كل حال فقد ثبت ما للعمرة في رمضان من مزية وفضل وعظيم أجر يوجه إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة المسلمة إشفاقا بها مما قد تكابده في الحج من مشقة وإذكاءً لروح التنافس في الأجر والمثوبة لديها

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة والمرجعية بالضمائر،في ضمائر المخاطبة " في " منعكِ ، تحجي ، اعتمري " والضمير العائد إلى رمضان في "عمرة فيه"

الوصل بين الجمل بالفاء " فإذا ، فاعتمري ، فإن "ومن عوامل الربط والتماسك التوكيد " فأن "والمقارنة بين حجة و "عمرة في رمضان"

السؤال والجواب في "ما منعك "ثم جاء جوابها توضيحا للسبب ليحقق التماسك بين أجزاء النص

وكذلك التعليل "بالفاء "أحدث نوعا من التماسك في قوله "اعتمري فإن عمرة " لبيان الفعل علته .

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

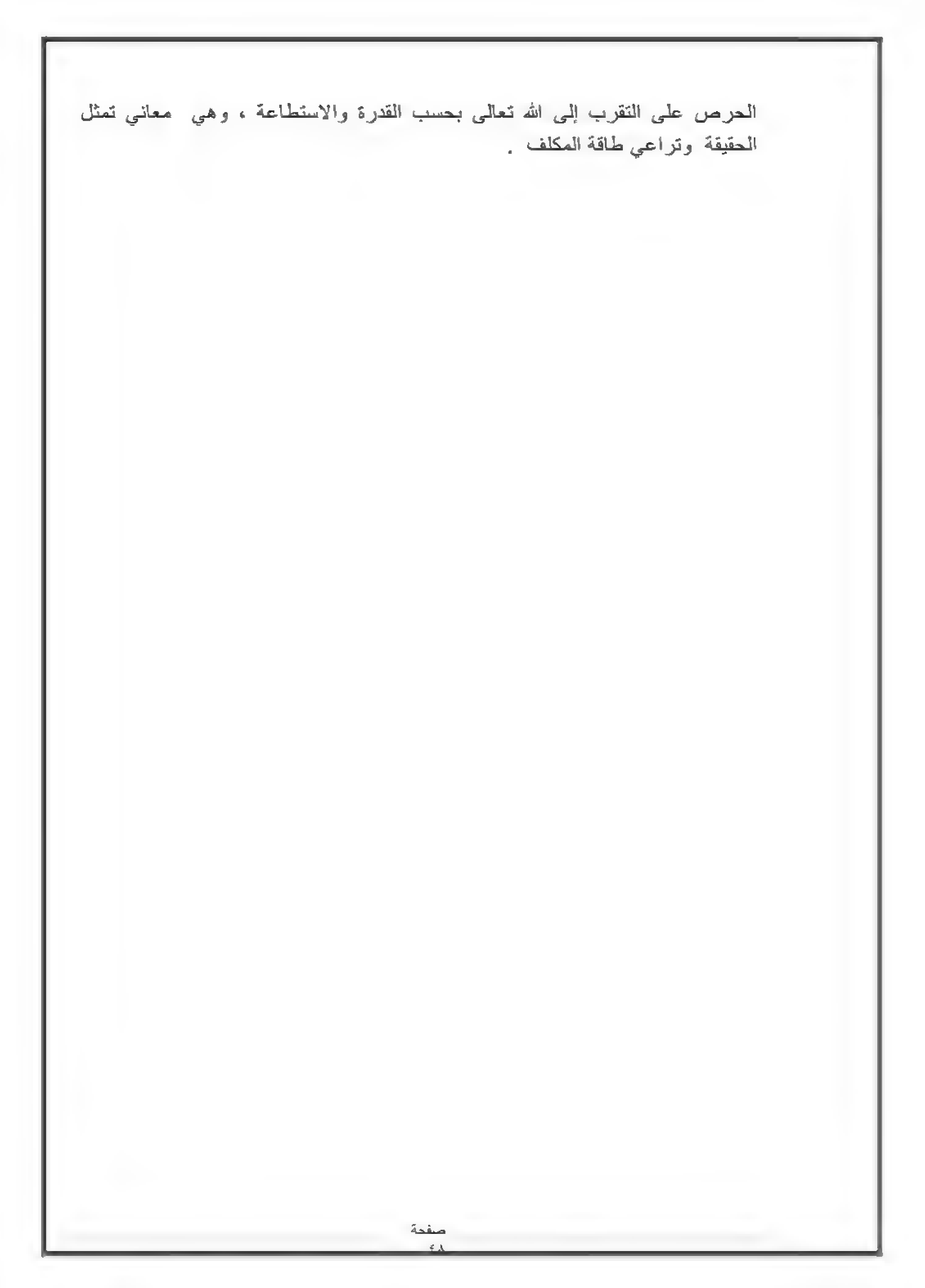
اعتمد الخطاب على أسلوب الأمر في " اعتمري" للندب إلى التكليف وقد سبق بالاستفهام التقريري

وكذلك الجملة الاسمية التي تدل على الثبات وعدم التجدد والمؤكدة لحاجة التكليف والاستدلال .

و قد اتسمت الألفاظ بالتلاؤم والتناسب والتناسق [٣]، فلاءم بين الحجة والعمرة لما بينهما من تناسب وتلاؤم ، يستدعي أحدهما الأخر، كما اتسمت بالسلاسة والوضوح و الوجازة ومضامين هذا الخطاب النبوي الشريف للمرأة المسلمة يعد امتدادا لمضمون القرآن الكريم مستمدا من أهدافه التي تذكي جانب الخير للإنسان وتحثه عليه [٤]وتمكنه من

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٠ / ١٦٦)
(٢)ينظر أقوال العلماء في ذلك في : عمدة القارئ ، للعيني كتاب الحج باب العمرة (١٠ / ١٦٦)
(٣)ينظر : الخصائص الفنية ، محمد الدبل (١٢٥)
(٤)ينظر : أضواء على البلاغة النبوية ، إبراهيم طه الجعلي (١٩٤)المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مكتبة الرشد ـ ط٢ ـ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧مـ



الحرص على التقرب إلى الله تعالى بحسب القدرة والاستطاعة ، وهي معاني تمثل الحقيقة وتراعي طاقة المكلف .

٥. "مشروعية الصوم والحج عن الميت "

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ - رضي الله عنه - قَالَ بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنِّى تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّى بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ - قَالَ - فَقَالَ « وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا قَالَ :« صُومِى عَنْهَا ». قَالَتْ إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ « حُجِّى عَنْهَا ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : قدمت امرأة إلى رسول الله ﷺ وهو جالس بين صحابته تسأل وتطلب الفتية في بعض ما يجب عليها تجاه أمها بعد وفاتها ، براً وإحساناً ،فقد كانت لها محسنة قبل موتها بدليل قولها: " إِنِّى تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّى بِجَارِيَةٍ " ثم أرادت أن توصل الإحسان بعد وفاتها بما يحل لها شرعاً .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان أن من تصدق بصدقة ، ثم ورثها حلت له [1]، وأن للإنسان أن يقضي عن غيره بصوم أو حج حال وفاته

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : وجب : وَجَبَ الشيءُ يَجِبُ وُجوباً أَي لزمَ. وأَوجَبهُ هو، وأَوجَبَه الله ، واسْتَوْجَبَه أَي اسْتَحَقَّه. قال ابن الأثير:
قال الخَطَّابي: معناه وُجُوبُ الاخْتِيار والاسْتِحْباب ، دون وُجُوب الفَرْض واللُّزوم
وإِنما شَبَّهه بالواجب تأْكيداً ، كما يقول الرجلُ لصاحبه : حَقُّكَ عليَّ واجبٌ
وكان الـحَسنُ يراه لازماً، وحكي ذلك عن مالك.
يقال: وَجَبَ الشيءُ يَجِبُ وُجوباً إِذا ثَبَتَ، ولزِمَ.

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٦ /٤١٠) باب من تصدق بصدقة ثم ورثها

و قولها "قط " الأصل فيه القَطُّ : وهو القطْعُ عامَّة ، وقيل : هو القطْعُ عَرْضاً، قَطَّه يقُطُّه قَطّاً: قَطَعه عَرْضاً.
قَطْ خفيفة بمعنى حَسْب ، تقول : قَطْكَ الشيء أي حَسْبُك، على معنى حَسْبُ زيدٍ وكَفْيُ زيدٍ درهمٌ
وأما قَطُّ فإنه هو الأَبَدُ الماضي ، تقول: ما رأيت مثله قَطُّ ، وهو المراد في نص الحديث

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ " الجملة وصف لما كان منها من بر و إحسان لأمها ،" وَإِنَّها مَاتَتْ " الواو للحال و"الهاء" إحالة إلى الأم و هي جملة اسمية حالية مؤكدة ، وأما سبب مجيئها جملة فلإرادة تقوية الحكم بنفس التركيب وأما سبب كونها اسمية لإفادة الثبوت(١).

"وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ"

ثبت ولزم لك أجرك السابق ،وهو أجر الصدقة ، والجملتان خبريتان فصل بينهما بالواو، ومع ما بينهما من جامع معنوي فقد انفردت كل منهما بشيء من المعنى "وَجَبَ أَجْرُكِ " ثبات الأجر ولزومه و "رَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيراثُ " تقدم الجار والمجرور " عليك " على المفعول لإفادة الاختصاص برجوع الهبة إلى صاحبها.

وتقدم ذكر الأجر مع أنه ليس مناط سؤال السائلة بل كان سؤالها عن حكم الهبة التي وهبت ،وفيه مزيد فائدة لأن الحرص على الثواب والأجر كان السبب من السؤال فكان لزاما أن يتقدم في الحديث وهي بلاغة عليا جاء بها بيانه صلى الله عليه و سلم وتفهما لحال المخاطبة وتصورا لحاجاتها ، فوصل بين الجملتين بالواو لبيان أن إحداهما سبب للأخرى ،ثم قدم ما حقه التقديم لأهميته و أولويته ، ناهيك عما امتازت به الجملة من وجازة .

---

(١)ينظر : الإيضاح، للخطيب القز ويني(١ / ٣٣)

ثم ذكرت السائلة سؤالين مما اعتقدت أنهما يتعلقان ببر الولد لوالديه وصلته لهما بعد وفاتهما ، فإذا كان الجانب الأول من سؤالها كان عما وهبته لأمها قبل موتها فهي هنا تسأل عما تستطيع أن تهبه لها بعد الموت ، وواضح ما بين السؤالين من صلة.

انه "كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عنها "؟ التنكير للعموم ، فهو شهر مفرد غير متعين ،من نذر أو قضاء ، ولو كان شهر من رمضان لخصص أو عرف ،و"إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا" و"قط " لتأكيد النفي في زمن الماضي فهي لم تحج أبداً لا في جاهليتها ولا في إسلامها "

و لم يتباين أسلوب جوابه صلى الله عليه و سلم في كلا السؤالين

" صُومِى عَنْهَا" "حُجِّى عَنْهَا "

التكليف بفعل الأمر صومي وحجي ، جواباً على سؤالها بذكر ما تعين حذفه لوجود ما يدل عليه ،لان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب بنعم على كلا السؤالين ، ولكن الذكر هنا ابلغ من الحذف فالمخاطب جاهل بالحكم وفي الذكر زيادة في الإيضاح و التقرير "وقد ثبت اختلاف أهل العلم فيمن مات وعليه صوم هل يقضى عنه؟ فقال البيهقي بجواز الصوم عن الميت وكذلك الحسن البصري والزهري وقتادة ،[1]

وأما أعدل الأقوال في ذلك ،أن من كان عليه صوم رمضان فليطعم عنه ، وأما النذر فيصام ، لأن النذر ليس واجباً بأصل الشرع ، وإنما أوجبه العبد على نفسه ، فصار بمنزلة الدين الذي استدانه ، والدين تدخله النيابة. وأما الصوم الذي فرضه الله عليه ابتداء فهو أحد أركان الإسلام. فلا يدخله النيابة بحال ، كما لا يدخل الصلاة والشهادتين. فإن المقصود منها طاعة العبد بنفسه ، و قيامه بحق العبودية التي خلق لها وأمر بها. وهذا أمر لا يؤديه عنه غيره ، كما لا يسلم عنه غيره ، ولا يصلي عنه غيره. وهكذا من ترك الحج عمداً مع القدرة عليه حتى مات ، أو ترك الزكاة فلم يخرجها حتى مات. فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع: أن فعلهما عنه بعد الموت لا يبرئ ذمته. ولا يقبل منه. والحق أحق أن يتبع.[2]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل التماسك الإحالة: بكاف الخطاب في "أجرك" و" عليك " وهاء الغيبة للجارية في " ردها" .

ثم هاء الغيبة للأم في " كان عليها ،صومي عنها، حجي عنها" التي ذكرت إبتداء .

العطف بين الجملتين " وجب أجرك "، "وردها عليك " .

(١) ينظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧ / ٢٨) باب من مات وعليه صيام ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ط٢، ١٤١٥هـ

(٢) ينظر : السابق نفسه .

السؤال والجواب في " أَفَأَصُومُ عَنْها ، أَفَأَحُجُّ عَنْها" وما تضمنه من تكرار في الجواب " صُومِي عَنْهَا، حُجِّي عَنْهَا"
تكرار"عنها ، عنها ، عنها" ربطاً بين السؤال و الجواب وتقويه للحكم و تأكيداً له.

بـ- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

جاء الخطاب في جزأين يتمم كل منهما الآخر ، و كان عماد الجزء الأول الإتيان بالجملة الخبرية للتأكيد والإثبات وإقرار التشريع من رجوع الهبة إلى واهبها بعد موت صاحبها ، وأن ذلك لا يسقط أجر الهبة عنه.

وفي الجزء الثاني اعتمد التكليف على الأمر الصريح ، مع التكرار تأكيداً لفظياً لإثبات جواز صوم المرء عن غيره في أحوال نصت عليها النصوص و أثبتتها علماء الأمة ، ساهم في ذلك استفتاء المرأة المسلمة وسؤالها شفقة وعطفاً على من تحب ، تجود عليه بما تستطيعه من أعمال البر و الخير.

والألفاظ اتسمت بالسلاسة والوضوح ، والبعد عن الغرابة والجفاء .

كما أن الأسلوب اتسم بالتماسك والإحكام ، وقد أخذت كل جملة مكانها وأدت المعنى الذي سيقت له ، مع خلوه من الزخرف اللفظي أو الصنعة الأسلوبية " لأنه في مقام تشريع يقتضي الاعتماد على أسلوب الحقيقة أكثر من المجاز "[1]

ومعاني الخطاب جاءت حقائق ثابتة لأن السائلة تنشد الحقيقة [2] وهي معانٍ تعبدية مستمدة من جوهر التشريع الإسلامي حيث قال تعالى ﴿ وقضى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُواْ إلاَّ إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا ﴾

(١)ينظر : الخصائص الفنية ، للديل (١٦٤)
(٢)ينظر : السابق (١٨٠)

٦. مشروعية صلة الأم غير المسلمة

عن أسماء. قالت: قلت: يا رسول الله ! إن أمي قدمت علي. وهي راغبة (أو راهبة) أفاصلها ؟ قال: "نعم".

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : قتيلة بنت عبد العزى أم أسماء وزوج أبي بكر في الجاهلية وكان قد طلقها [١]، قدمت إلى ابنتها أسماء بهدايا زبيب وسمن وقرظ ، فأبت أسماء أن تدخلها بيتها أو تقبل هديتها ، ثم أرسلت إلى عائشة رضي الله عنها - و يقال بل جاءت بنفسها - تسأل في ذلك رسول الله ﷺ ، فأمرها بصلتها[٢]

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الأمر بصلة الوالدة المشركة ،[٣]و إهدائها و التلطف لها وتثبيت مودتها.[٤]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : " أفاصلها ؟ "مِن : وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً ، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران ، واتَّصَلَ الرجلُ : انتسَب " واتَّصَل إذا انتمى ووَصَله وَصْلاً ووِصالاً يكون في الحبّ عفيفاً كان أو غير ذلك ، والصِّلة : الجائزة والعطيَّة .

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية لنص الخطاب :

قدمت أسماء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم " وفيه فضيلة أسماء حيث تحرت في أمر دينها ، وكيف لا وهي بنت الصديق وزوج الزبير بن العوام رضي الله عنهم "[٥]

"إن أمي قدمت علي " الإسناد خبري مؤكدة بإن لإظهار مزيد العناية بالمسند "أمي" الذي كان في تقدمه على المسند إليه تعظيما له ولفتاً للانتباه.

"وهي راغبة أو راهبة" قُيِّد الإسناد بجملة الحال مبالغة في الوصف وتحري للدقة وإمعاناً في ذكر الحاجة ، فهي راغبة في العطاء طامعة فيه ، قال العيني في جواز قبول

---

(١)وقيل بل أمها بالرضاعة ، ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢٢ / ١٣٩) باب الأداب
(٢)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٣/ ٢٤٦)
(٣)ينظر : السابق (٢٢/ ١٣٩)
(٤)ينظر : السابق (١٣ /٢٤٥)
(٥)ينظر : السابق (١٣/ ٢٤٧)

الهدية من الكافر " لأنها ربما كانت تأمل أن تأخذ أكثر مما أهدت ،وقيل بل راغبة عن ديني كارهة له [1]، راهبة من الإسلام ، تخشى القطيعة ، و ترجو الشفقة بها والصلة .
"وهي راغبة "جعلت الجملة الحالية اسمية لإفادة الثبوت ، والربط بين الحال وصاحبه برابطين " الواو " و" الضمير " زيادة في التأكيد .
" أفأصلها " والاستفهام بالهمزة هنا على حقيقتها للاستفتاء
"قال : نعم" وهو إيجاز بليغ ، حيث لم يبسط القول في حق الأم ، وواجب الأبناء تجاهها وهو مالا يخفى على أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها إلا أن مدار سؤالها كان عن هذا الحق والصلة مع الشرك وكراهة الإسلام وحكم التشريع في ذلك .
ولإيجاز رسول الله صلى الله عليه و سلم في الأمر بالصلة في خطابه للمرأة المسلمة دلالة ، تشير إلى الإحاطة والشمول لجميع أنواع الصلة الواردة دون تخصيص
سواءً كانت صلة بالمال ، أو بالرعاية والحماية و ما تحتاج إليه في حدود الشارع الحكيم.

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

تبرز الإحالة: بالضمائر في الضمير المنفصل " هي " والضمير المتصل " الهاء " في "أصلها " وضمير الغيبة في " قدمت"
السؤال في "أفاصلها" مما سوق الجواب بـ" نعم"
الوصل بين جملة الحال وصاحبها "بالواو" في قولها " وهي راغبة"

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب

اعتمد رسول الله صلى الله عليه و سلم في خطابه لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها على الإيجاز البليغ ، لمطابقته للمقام ومناسبته للمخبر والمخبر عنه
فجاء التعبير خاليا من الغموض والزخرف والصور البيانية ، وجاءت المعاني واقعية مستمدة من حياة المرأة المسلمة ومراعية لواجباتها التعبدية تجاه والديها .

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٣ / ٢٤٦)

٧. مشروعية ترك طواف الوداع للمرأة الحائض

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا أَرَادَ النَّبِىُّ -ﷺ- أَنْ يَنْفِرَ إِذَا صَفِيَّةُ عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَئِيبَةً حَزِينَةً. فَقَالَ « عَقْرَى حَلْقَى إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا ». ثُمَّ قَالَ لَهَا « أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ ». قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ « فَانْفِرِى ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمع أن زوجه صفية بنت حيي قد حاضت فظن أنها ستمنعهم عن النفر ، فلما علم منها أنها أفاضت من قبل أن تحيض أذن لها بالنفر[1]

ϩ ϩ ϩ

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان تكليف المرأة بالنفر ، إذا هي حاضت بعدما طافت طواف الإفاضة الذي هو ركن واجب ، فلا يجب عليها طواف الوداع و تنفر ويسقط عنها بسبب الحيض و حاصل المعنى أن طواف الوداع ساقط عن الحائض [2]

ϩ ϩ ϩ

المعجمُ اللُّغويُّ : الأصل في العُقْرُ: العُقْم، وهو اسْتِعْقامُ الرَّحِم، وهو أن لا تحمل المرأة

وعَقُر الأمرُ: لم يُنْتِجْ عاقِبةً ، وعَقْرُ النَّخْلة أَنْ يُكْشَطَ لِيفُها عن قَلْبها ويقال للمرأة : عَقْرَى حَلْقى ، معناه عقَرها الله وحَلَقها أي حَلَقَ شَعَرها أو أصابها بوجع في حَلْقها وقيل : عقْرى حلْقى ، تَعقِرُ قومها وتَحْلِقُهم بشُؤْمِها وتستأصلهم ، قال ابن الأثير: هذا ظاهرُه الدعاء عليها وليس بدعاء في الحقيقة

"فانفري" ،من النَّفْرُ: التَّفَرُّقُ ، و نَفَرَتِ الدابةُ تَنْفِرُ نِفاراً ، ونَفَرَ الحاجُّ من مِنًى نَفْراً وهو يوم النَّفْرِ وليلةُ النَّفْر هو اليوم الثاني من أيام التشريق وهو بعد يوم القرّ

ϩ ϩ ϩ

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٠/ ١٣٦)
(٢)ينظر : السابق نفسه

" إذَا صَفِيَّةُ عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَئِيبَةً حَزِينَةً " إذا الفجائية ، "كئيبة حزينة" حال ، لما توهمته من فوات النسك ، حرصا منها على التمام والكمال ، رضي الله عنها .

فَقَالَ « عَقْرَى حَلْقَى إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا »
وهو من الدعاء بغير الحقيقة كما تبين ، وكثيرا ما يرد الدعاء في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم على غير الظاهر فيكون ذلك غالباً لبيان عظم المسألة وخطورة الأمر .يقول العيني " هي كلمة تدعم بها العرب كلامها "[١]
ثم تقدمت جملة الدعاء لتعظيم ما بعدها ، " إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا " و اسمية الجملة تدل على الثبوت ، وكذلك المؤكدات " إن ،و اللام " ،والحبس كل " ما وُقِف" [٢]وهي كناية عن المنع "من التوجه إلى مكة في الوقت الذي أردنا التوجه فيه ، ظناً منه صلى الله عليه وسلم أنها ما طافت طواف الإفاضة"[٣]
" أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ " الاستفهام التقريري ليؤكد الفرق بين طواف الوداع وطواف الإفاضة لأن طواف الإفاضة ركن ، وطواف الوداع واجب[٤]وذكر المسند " كنت " مع إمكان الحذف للتقرير بالفعل إنه كان[٥]فقالت " نعم " جوابا بالإثبات
" فَانْفِرِى" الفاء للعطف والتعقيب للدلالة على أنها منعت من النفر أولاً ثم كلفت به ، والنفر معنى ثبت في نفر الحاج من منى أيام التشريق .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر، في كاف الخطاب " أنك " وياء المخاطبة " أنفري " تاء الفاعل في " حابستنا ، كنت ، أفضت " وناء الفاعلين في " حابستنا"
الترادف المعنوي في " عقرى حلقى " إذا قُصِدَ به التي تَعقِرُ قومها وتَحْلِقُهم بشُؤْمِها
الوصل بالفاء في " فانفري " للربط والتعقيب
شبه كمال الاتصال في" قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ: فَانْفِرِى "
الربط بأدوات العطف في " فقال ، ثم قال ، فانفري "

(١)في معنى " ويحك ، وويلك ، ولا أم لك " عمدة القارئ (١٠ / ٤١) كتاب الحج
(٢) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القز ويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى٣٩٥هـ) ، مادة(ح.ب.س) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٣) عمدة القارئ ، للعيني (١٠ / ١٣٧)
(٤) ينظر : السابق (١٠/ ١٤٠)
(٥) ينظر الإيضاح ، للخطيب القز ويني(٦٥)

ﻫ ﻫ ﻫ

ب ـ تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد التكليف على أسلوب الأمر " أنفري " مسبوقاً بالاستفهام للتقرير بالفعل " أكنت أفضت " واستخدم للربط بين التكليف والنهي عنه الوصل بين الجملتين بالفاء .
وقد سبق التكليف بجملة مؤكدة " أنك لحابستنا" مفادها اهتمامه ﷺ بشأن المرأة والحرص على تتميم شعائرها التعبدية ، فجاءت " حابستنا" مؤكدة لهذا المعنى دالة عليه.
وتميزت الألفاظ بالوضوح والسهولة والبعد عن التكلف ، كما جاءت المعاني مستمدة من التشريع الإسلامي واتسمت بالصدق والواقعية .

٨. مشروعية الاكتفاء بطواف واحد للحج والعمرة

عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا أَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ فَقَدِمَتْ وَلَمْ تَطُفْ بِالْبَيْتِ حَتَّى حَاضَتْ فَنَسَكَتِ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا. وَقَدْ أَهَلَّتْ بِالْحَجِّ. فَقَالَ لَهَا النَّبِىُّ -ﷺ- يَوْمَ النَّفْرِ « يَسَعُكِ طَوَافُكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ ». فَأَبَتْ فَبَعَثَ بِهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّنْعِيمِ فَاعْتَمَرَتْ بَعْدَ الْحَجِّ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : " أشكل حديث عائشة على أئمة الفتوى "[١]، فصعب تلخيصه ونفي التعارض عنه ، فكان مما ذكره ابن بطال أن عائشة رضي الله عنها "أهلت بحجة مفردة بذى الحليفة ، وأهل الناس كذلك ، ثم لما دنوا من مكة أمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدى أن يجعلها عمرة ، إذ أوحى الله إليه بجواز الاعتمار في أشهر الحج فسحة منه تعالى لهذه الأمة ورحمة لهم بإسقاط أحد السفرين عنهم ، وأمر من لم يكن معه هدى بالإهلال بعمرة ؛ ليري أمته جوازها "[٢] فلما أتمت السيدة عائشة رضي الله عنها مناسك الحج أدركها الحيض ،وكانت لم تطف للعمرة فجوز لها النبي ﷺ الاكتفاء بطواف واحد للحج والعمرة ، ولكنها أبت ذلك ،حرصاً على المثوبة وزيادة الأجر وقد أدركت أن " أَجْرِ الْعُمْرَةِ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ "[٣] فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة " بعد انقضاء عمل الحج "[٤] تطيباً لخاطرها قال العيني :" ولو استحب لها العمرة في أيام التشريق لأمرها بالعمرة فيها "[٥] ثم بعث بها مع أخيها عبد الرحمن بعد الحج إلى أدنى الحل لتؤدي العمرة.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي ومضمون الخطاب : الاكتفاء بطواف واحد للحج والعمرة مع أن الأجْر يزداد على قَدْر ما في العمل من نَصَبِ

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : الأصل في " أهَلَّتْ " من هَلَّ السحابُ بالمطر واسْتَهَلَّ : وهو شدَّة انصبابه ويقال: هو أوَّل المطر ، وقيل : إذا قَطَر قَطْراً له صوْت .

---

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال(٤/ ٢٤٣)
(٢)ينظر : السابق(٤/ ٢٤٤)
(٣)ينظر : السابق (٤/٤٤٥)
(٤)ينظر : السابق(٤/ ٢٤٣)
(٥)ينظر : عمد القارئ ، للعيني(١٠ /١٦٨١)

واستهلّ الصبيُ بالبُكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة. والإهْلالُ بالحج: رفعُ الصوت بالتَّلبية ، وأَهلّ المحرِمُ بالحج يَهِلُّ إهْلالاً إذا لَبّى ورفَع صوته ،وأَهلّ بحجّة أَو بعُمْرة في معنى أَحْرم بها، وإنما قيل للإحرام إهْلال لرفع المحرِم صوته بالتَّلبية. [1] إيذاناً بابتداء النسك

"نَسَكَتِ الْمنَاسِكَ " من النُّسْكُ والنُّسُك وهو العبادة والطاعة وكل ما تُقُرب به إلى الله تعالى، وقيل لثعلب : هل يسمى الصوم نُسُكاً؟ فقال: كل حق لله عزَّ وجل يسمى نُسُكاً. نَسَك لله تعالى يَنْسُكُ نَسْكاً . ورجل ناسِك: عابد.

النُّسُك الدم، والنَّسِيكة: الذبيحة، تقول: من فعل كذا وكذا فعليه نُسُك أَي دم يُهَرِيقُه بمكة، شرفها الله تعالى .وفي التنزيل: وأَرِنا مَناسِكَنا؛ أَي مُتَعَبَّداتِنا فالنُّسُك : ما أمرت به الشريعةُ، والوَرَع: ما نَهَتْ عنه.[2]

" يَسَعُكِ " من السعة: نقيض الضّيق ، وقد وَسِعَه يَسَعُه ويَسِعُه سَعةً يَسَعُ سَعةً ووَسُعَ، كلاهما: رَفَّهه وأَغناه. ويقال: لِيَسَعْكَ بيتُك، معناه القَرارُ.[3] ويقال: هذا الكَيْلُ يَسَعُ ثلاثةَ أَمْناء، وهذا الوِعاءُ عشرين كَيْلاً

" فَأَبَتْ " من الإباءُ ،مصدر قولك أَبى فلان يأْبى ، أَي امتنع ،وأَبى الشيءَ يَأْباه كَرِهَه ، والإباءُ: أَشدُ الامتناع [4] .

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

- " أَهَلَّتْ " بالعمرة ثم بالحج ، إذا دخلت في النسك " و أدركها الحيض " وَلَمْ تَطُفْ " طواف العمرة
- " فَنَسَكَتِ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا " والفاء للتعقيب ، وبين "نسكت" و"المناسك" جناس اشتقاق جناس ناقص
- " كلها " توكيد لفظي
- " يسعك طوافك لحجك وعمرتك "و"يسع " استعارة مكنية حيث شبه الطواف بثوب أو إناء يتسع لأكثر مما يبدو في ظاهر الأمر، وحذف المشبه به و ذكر شي

---

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة "هـ.ل.ل"
(٢) ينظر : السابق مادة " ن.س.ك "
(٣) ينظر : السابق مادة " و.س.ع "
(٤) ينظر : السابق مادة " أ.ب.ي "

من صفاته وهو الاتساع، وهو تثقيف نفسي برفع المشقة والحرج عن المسلم وأن الأمر في سعة

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة و المرجعية إلى ضمائر الخطاب في "يسعك و طوافك وحجك وعمرتك " وضمائر الغيبة في " أهلت ، أبت ، اعتمرت " للسيدة عائشة رضي الله عنها ، وفي " بعث " لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

التوكيد اللفظي في " كلها"

الربط بأدوات العطف في " فَقَدِمتْ ، فنسكَت، فقَالَ ، فأَبَتْ ، فبَعَثَ ، فاعْتَمرَتْ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد التثقيف النفسي على الاستعارة في " يسعك " لبيان الحكم من عدم الإلزام والوجوب فكان أكثر مدعاة إلى السعي في طلب الطاعة والاستزادة منها .

وتميزت الألفاظ بالوضوح والسهولة والبعد عن التكلف، كما جاءت المعاني مستمدة من التشريع الإسلامي واتسمت بالصدق والواقعية .

٩. مشروعية ذبح الأضحية

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ فَقَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدْيَةَ ».
ثُمَّ قَالَ « اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ ». فَفَعَلَتْ ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ ثُمَّ قَالَ « بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ». ثُمَّ ضَحَّى بِهِ

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

في باب " استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل " أورد مسلم في صحيحه هذا النص وفيه إضافة إلى ذلك الاستحباب إرشاد رسول الله صلى الله عليه و سلم أزواجه إلى المشاركة فيما يقدم عليه من واجبات وفرائض فهو يخاطب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في دعوة إلى المشاركة في ذبح الضحية فكان ذلك تكليفا لها ، ودافعا إلى التأمل والإقتداء .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان أحكام الأضحية ، وصفاتها والقول المشروع عند ذبحها ومشاركة الأهل والنساء في ذلك قدر الطاقة.

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : الكَبْشُ ، فحل الضأن في أي سِنّ كان. قال الليث: إذا أثْنى الحَمَلُ فقد صار كَبْشاً ، وقيل : إذا أربع ،[١] وكَبْشٌ أَقْرَنُ : كبير القَرْنَين ، وكذلك التيس ، والأنثى قَرْناء[٢]

وطأ : وَطِئَ الشيءَ يَطَؤُهُ وَطْأً: داسه.[٣]

برك : البَرَكة : الزيادة ، وبَرَكَ البعير إذا أناخ في موضع فلزمه ، وبَرَكَ : ألقى بَرْكَهُ بالأرض وهو صدره ، ويقال: فلان ليس له مَبْرَكُ جَمَلٍ . وكل شيء ثبت وأقام ، فقد بَرَكَ والبَرْك والبِرْكةُ: الصدر، وقيل : هو ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا بَرَك ، وقيل: البَرْكُ باطن الصدر والبركة ظاهره.[٤]

---

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ك.ب.ش)
(٢)ينظر : السابق مادة(ق.ر.ن)
(٣)ينظر : السابق مادة (و.ط.أ)
(٤)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ب.ر.ك)

هلم أصلها من : الهَلِيمُ : اللاصِقُ من كل شيء والهَلامُ : طعامٌ يُتَّخَذ من لحمِ عِجْلةٍ بِجلدِها.
وهلُمَّ : بمعنى أَقْبِل ، وهذه الكلمة تركيبيَّة من ها التي للتنبيه، ومن لُمَّ [١]" وقيل أصله هل أم كأنه قيل: هل لك في كذا أمه. أي : قصده"[٢]
المدية ، "سميت بها لأنها تقطع مدى حياه الحيوان . والسكين لأنها تسكن حركته "[٣]وكان العرب لا يعرفونها بغير هذا الاسم فقد ورد عن أبي هريرة قوله :" والله أن سمعت بالسكين قط ، إلا يومئذ وماكنا نقول : إلا المدية ".[٤]
" إشحذيها "الشَّحْذُ التحديد ، وشحَذ السكين والسيف ونحوهما يَشْحَذُه شَحْذاً: أَحدَّه بالمِسَنِّ وغيره مما يُخرج حَدَّه [٥]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"أمر بكبش أقرن، يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد"
دليل على حسنه وتمام خلقته ، فالأقرن طويل القرنين ،أحب من الأجام وهو من لا قرن له [٦]واختلاط السواد بالبياض خير من انفراد احدهما فكيف إذا كان على وجه من العناية في الاختيار،"يطأ في سواد " اسود الرجلين ، و" يبرك في سواد " اسود الصدر و"ينظر في سواد " اسود ما حول العينين وهي جملة من محاسن الاستعارات كما قال عنها الشريف الرضي فالمراد " أن أظلافه سود، فكأنه يطأ منها في سواد: أي ليس بينه وبين الارض منها إلا ما هو أسود"[٧]فجعل في الأرض سواداً يطأه الكبش على سبيل الاستعارة التصريحية وكذلك أراد في " ينظر في سواد أن حدقته سوداء أو مطارح نظره منها فكأنما هو ينظر في سواد، وهذا المعنى أراد كثّير بقوله :[٨]

وَمن نَجْلاَءَ تَدْمَعُ في بَيَاضٍ إذا دَمعتْ وتنْظُر في سوادِ

---

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور (ه.ل.م)
(٢)ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، للراغب الأصفهاني (هلم)
(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢٣/ ٤٠٧) كتاب الفرائض
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ،باب إذا ادعت المرأة ابناً [٦٢٩٩]
(٥)ينظر : لسان العرب ،مادة (ش.ح.ذ)
(٦)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (٣ / ٣١٦)
(٧) المجازات النبوية - الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي الحسيني ،(٢١٦) تحقيق كريم سيد محمد محمود ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ،ط١ ، ٢٠٠٧م
(٨) السابق نفسه من قصيد مطلعها :
شَجَا أَظْعَانُ غَاضِرَة الغوادي بغير مشورة عرضاً فؤادي
وَعَنْ نَجْلاَءَ تَدْمَعُ في بَيَاضٍ إذا دمعتْ وتنظُر في سوادِ

وفيه دلالة على ما اتصف به رسول الله صلى الله عليه و سلم من حب للجمال والإحسان في حق الله أولاً وفي أمور حياته كلها ثانياً ،وفي رواية انس رضي الله عنه "ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ "[١]

"يا عائشة ! هلمي المدية "

النداء أسلوب إنشائي قوامه الطلب والخطاب[٢]، يتحقق وجهه البلاغي في :

- إقامة علاقة خطاب وحوار مع الأخر
- الحث على الاهتمام والتبصر بموضوع الخطاب مما يعطي مضمونه قيماً رمى إليها المنادِي
- ناهيك عما به من توجيه النظر نحو المنادى ، وتركيز الاهتمام حوله [٣]
- ثم محاولة المخاطب إدراك فحوى تخصيصه بالنداء .

فقد جاء النداء للزوج المحببة فيما قد يظن أنه ليس من شأنها و هو توجيه تربوي إلى أهمية التعاون بين الزوجين كل فيما يحسنه ويقدر عليه .

كما أن في إسناد الطلب للاسم الظاهر للزوجة دون التكني ، معنى يحسن في مواضع ،إذ يدل على التمازج ورفع الكلفة بين الزوجين .

هلُمَّ : كلمةُ دَعْوةٍ إلى شيءٍ ،- في تنبيه وإسراع - .

"المدية " السكين والشَّفْرة وجاء نظيره في قوله صلى الله عليه و سلم "وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " [٤]

" إشحذيها بحجر " أمر يقتضي الوجوب ليكون أسرع وأرفق بالذبيحة ، قال عليه الصلاة والسلام : " وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته "

و الشحذ فيه احتشاد فكان اختيار اللفظة مناسب للألة وهي الحجارة ، وللمخاطبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، لما قد يعتريها - و النساء عامة - من ضعف تحتاج معه إلى الاحتشاد وبذل الجهد فعبر بلفظ يتسم بالجزالة والقوة ، وهو مع ذلك تكليف لا يخرج عن استطاعة المرأة ولا يهمش من واجباتها تجاه بيتها كما يلاحظ في بعض المجتمعات التي باتت ترى في المرأة من الضعف والخور وأحيانا من الدلال المزعوم ما يبعدها عن مهامها وواجباتها ، فهو جانب تربوي مهم في السياق يجدر الوقوف عنده.

"وأخذ الكبش فأضجعه. ثم ذبحه ثم قال "

---

(١) رواه مسلم -باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير [١٩٦٦]

(٢)ينظر : النداء في اللغة والقران ، أحمد محمد فارس.(١٥٥) - دار الفكر اللبناني - ط١ ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م

(٣)ينظر : السابق (١٦٠)

(٤) رواه مسلم ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة[١٩٥٥]

بين إضجاعه وذبحه مهلة في الزمن بدلالة الربط بـ "ثم" يختلف عن التعقيب بين اخذ الكبش فأضجعه وذلك لما في محاولة تثبيته والتمكن منه من زمن وفي رواية " وضع رجله على صفاحها" والصفحة جانب العنق

وإضجاع الذبيحة خير من وقوفها عند الذبح لما فيه من تمكين سيلان الدم وعدم انحباسه فيها ، كما أن في الإضجاع تمكين من تقبيل الذبيحة جهة القبلة بإضجاعها على جانبها الأيسر ، وفي ذلك إحسان للذبحة ،أمّا بين الذبح ومقول القول ـ التسمية والذكر ـ فالراجح أن فيه تقديماً وتأخيرا كما قال النووي [١]، ذلك أن مقول القول مقدم على الذبح ،أو مع الشروع فيه ، وواضح من السياق أن كل ذلك قد تم بين يدي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو ممّا يؤكد المشاركة في العبادات لنقل العلم أو الإقتداء قدر الطاقة.

" باسم الله. "والتسمية على الذبيحة ندباً وتركها عمدا مكروه والذبيحة حلال[٢]،

" اللهم تقبل من محمد وآل محمد. ومن أمة محمد " طلب قبول العبادة من قبل الأنبياء على عظم مكانتهم ، يجعل الحرص على طلبه من غيرهم أآكد وأولى

والتقبل : قبول الشيء على وجه يقتضي ثوابا كالهدية ونحوها إذ ليس كل عبادة متقبلة، بل إنما يتقبل إذا كان على وجه مخصوص، والتقبل هو الترقي في القبول، والقبول الذي يقتضي الرضا والإثابة وقيل: القبول من قولهم: فلان عليه قبول: إذا أحبه من رآه [٣]

"اللهم تقبل مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ " وفيه "جواز تضحية الرجل عن أهل بيته وإشراكهم معه في الثواب"[٤]وبيان هذه الجملة يتحقق في مواضع :

- العدول عن المضمر إلى الظاهر ، فعدل عن ضمير المتكلم " مني إلى الاسم الظاهر محمد ﷺ تذللا وتقرباً إلى الله تعالى وتنبيها إلى ضرورة الاقتداء به عليه الصلاة والسلام .
- التكرار لاسم " محمد " وتكرار العدول زيادة في التقرير والتنبيه
- الفصل بالواو لكمال الانقطاع .
- مراعاة التدرج في الدعاء والطلب فبدأ بنفسه ثم الِ بيته ثم أمته كلها.
- في " ومن امة محمد"مجاز مرسل علاقته الكلية فآل بيته جزء من أمته.
- تكرار حرف الجر "من" الذي يفيد ابتداء الغاية في الموضعين بمعنى تقبل من محمد العمل ابتداءً ومن امة محمد ولم يتجاوز بالدعاء من بعدها امة أخرى .

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : "تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ . (٤/ ٣١٧)
(٢)ينظر : فيض القدير ، للمناوي(٣/ ١٨٨)
(٣)ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني مادة (ق.ب.ل)
(٤)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ . (٤ / ٣١٧)

عوامل الانسجام و التماسك النصي :جاء النص لحمة واحدة فاشتمل من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في ياء المخاطبة في "هلمي ، اشحذي " وهاء الغيبة في "أضْجَعَهُ ، وذَبَحَهُ"

والتكرار في : حرف الجر "من" في " من محمد ، من آل محمد ومن أمة محمد" وفي تكرار اسم "محمد " والتكرار في قولها تصف الكبش للجار والمجرور"في سواد ،في سواد ،في سواد" وفي " أتى به ،ليضحي به"

والربط بحروف العطف في " وَيَبْرُكُ ، وَيَنْظُرُ ، فَأُتِيَ، فَقَالَ، ثُمَّ قَالَ ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ أَخَذَهَا ، وَأَخَذَ ، فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ ، وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ ضَحَّى"

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

أسلوب الخطاب في التكليف بصفة عامة هو أسلوب طلب يصب في مجريين يتمم أحدهما الأخر.

الأول هو أسلوب الأمر : في هلمي واشحذي ، مسبوقا بالنداء بعد تهيئة الذبيحة على ما ورد من صفات سانده ذلك التصوير البياني فيما جاء به من استعارات دقيقة محسوسة دلت على المعنى المراد من حسن وجمال في مواطن محددة غاية في البيان

والثاني هو أسلوب الدعاء : الذي اتسم بالترتيب والتكامل والتخصيص والتعميم

كما اتسمت الألفاظ بالقوة والجزالة مع خلو السياق من الصنعة البديعية أو التشبيهات والكنايات وجاءت المعاني واقعية مستمدة من التشريع الإسلامي وتميزت الألفاظ بالوضوح والسهولة والبعد عن التكلف ، كما جاءت المعاني مستمدة من التشريع الإسلامي واتسمت بالصدق والواقعية

١٠. مشروعية خروج المرأة ملتزمة بحجابها .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَ مَا ضُرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابُ لِتَقْضِىَ حَاجَتَهَا وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً تَفْرَعُ النِّسَاءَ جِسْمًا لاَ تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا سَوْدَةُ وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِى كَيْفَ تَخْرُجِينَ. قَالَتْ فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِى يَدِهِ عَرْقٌ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى خَرَجْتُ فَقَالَ لِى عُمَرُ كَذَا وَكَذَا. قَالَتْ فَأُوحِىَ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِى يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ « إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

كان من غَيْرة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وقع في نفسه من نفرة من اطلاع الأجانب على نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم ، حتى تمنى رضي الله عنه وأرضاه أن لا تظهر شخوصهن ولو كن مستترات متحجبات ، وهو مقترن بما جاء به الذكر الحكيم من أمر لنساء النبي ﷺ بالقرار في البيت ﴿ يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾الأحزاب ٣٣/٣٢ لكنها رحمة من الله أن سمح لهن بالخروج غير متبرجات بزينة .[١]

المقصد الكلي لنص الخطاب :

بيان مشروعية خروج المرأة من بيتها لقضاء حاجتها ، والإذن لها بذلك شرعاً ، مع التزامها الحجاب الواجب والذي لم يكن ليمنعها من ممارسة حقوقها الطبيعية .

المعجمُ اللُّغويُّ : تفرع النساء من الفرع : وفَرْعُ كلّ شيء: أعْلاه وفَرَعَ فلان فلاناً: عَلاه. وفَرع القومَ وتَفَرَّعهم: فاقَهم ، ويَفْرَعُ الناسَ طُولاً أي يَطُولُهم ويَعْلُوهم والفَرْعةُ: رأسُ الجبل وأعْلاه ، والفَرَعُ: المال الطائلُ المُعَدّ ، والفَرْعُ: الشعر التام وفَرْعُ المرأة: شعَرُها والجمع فُرُوعٌ . وامرأة فارِعةٌ وفَرْعاءُ: طويلة الشعر.[٢]

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٩/ ١٧٦)

(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة "ف.ر.ع"

" انكفأت" أصله من كفأ : كافَأَهُ على الشيء مُكافأةً وكِفَاءً: جازاه ، وكُفْـءُ و كِفَاء: النظير والمُساوِي.
وكَفَأَ الإناءَ قَلَبه. وأكْفأه : أماله و كَفأَ القومُ: انْصَرَفُوا عن الشيء، وكَفَأَهُم عنه كَفْأً: صَرَفَهم ، وقيل: إذا أرادوا وجهاً فَانصرَفُوا عنه إلى غيره، فانْكَفَؤُوا أي رَجَعُوا، ويقال: كان الناسُ مُجْتَمِعِينَ فانْكَفَؤُوا إذا انهزموا.
" والعرق" : العظم لم يتجرد من اللحم. واعترقت العظم ، وتعرَّقته : إذا تتبعت ما عليه من اللحم . والعراق : العظم الذي لا لحم عليه"(١)
و" حاجتكن " من " الحوج " وفي اللسان حاجة وحائجة والجمع حاجاتٌ وحوائجُ هي المَأْرَبَةُ قال تعالى﴿ ولِتَبْلُغُوا علَيْها حاجةً في صُدُورِكُمْ ﴾ غافر ٨٨، قال عمرو بن العلاء يقال: في نفسي حاجَةٌ و حائجة و حَوْجاءُ ، والجمع حاجاتٌ وحوائجُ (٢)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" يا سودة! واللهِ! ما تخفين علينا. " أي انه سيعرفها على كل حال لما كان يعرف منها قبل حجابها إلا أن تمتنع عن الخروج بالكلية ، فتخفي شخصها عن الرجال ليلاً ونهاراً ، " فانظري كيف تخرجين " قال : العيني وفيه جواز وعظ الإنسان أمه في البر مع جواز الإغلاظ في القول (٣)" فانكفأت "راجعة ـ امتثالاً وتوقيراً دون جدل ـ إلى رسول الله من فورها وكان في بيت عائشة رضي الله عنها يتعشى فقصت عليه خبرها ،دون أن تتريث حتى يفرغ لاستعجالها ، فأوحي إليه " وإن العرق في يده ما وضعه " جملة حالية ،على لسان الراوي تفيد التوكيد
"إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن "

- الخطاب مؤكد بعدة مؤكدات ،إن ، وقد لتحقيق حدوث الفعل في الحال (٤)
- " أذن" بني الفعل لغير فاعله لتسليط الاهتمام على الفعل وانه مدار الحديث(٥).
- التعبير بالماضي عدولاً عن المستقبل في "أذن " لإفادة تحقق وقوعه
- استخدام الفعلية دون الاسمية في " أن تخرجن" عدولاً عن المصدر " الخروج"، لإفادة الاستمرار والتجدد فلم يقل مثلاً " أذن لكن بالخروج"

(١) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ع.ر.ق)
(٢)ينظر : السابق مادة (ح.و.ج)
(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢ / ٤٣٣) كتاب الوضوء
(٤) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي (٢٥٦/١)
(٥) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، عائشة بنت الشاطئ (٢٢٤) . القاهرة ـ مصر، دار المعارف١٣٩١هـ-١٩٧١م.

- " أن تخرجن " لتوكيد الخبر ، فقد نزلت آيات في كتاب الله تسمح للنساء بالخروج للحاجة والظاهر أن التوكيد كان لما ذهب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الإنكار وقد " منع منه و أذن لهن بالخروج لحاجاتهن دفعا للمشقة ورفعا للحرج " (١)
- " لحاجتكن " اللام حرف جر للتعليل ، فإذا انتفت العلة بطل المُعلل له وبالتأمل في معاني لام التعليل يتضح لنا عدم وجود تناقض بين الإذن بالخروج والقرار في قوله تعالى " وقرن في بيوتكن " إذ الأصل هو القرار أما الخروج فللحاجة فقط .
- و"حاجة " بالتنكير دون التعريف ، للعموم و الاستغراق في الجنس ، فظهر أن المقصود بها جنس الحاجة لا ما سالت عنه المخاطبة من قضاء الحاجة في ذاتها مع أنه شامل لها ، وعلم بذلك جواز خروج المرأة لكل حاجاتها في إطار ما أمرت به من حجاب والله أعلم.

❧ ❧ ❧

عوامل الانسجام والتماسك النصي: من عوامل السبك المرجعية : بالضمائر في هاء الغيبة في " عليْها ، حَاجَتَهَا ، يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا" وياء المخاطبة في " ما تَخْفَيْنَ ، فَانْظُرِى، تَخْرُجِينَ " نون النسوة في " لكن ، تخرجن ، حاجاتكن" وضمير الشأن في " إنه"

الربط بالعطف في " فَرَآهَا فَانْظُرِى فَانْكَفَأَتْ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ

ومن عوامل التماسك التكرار في " خَرَجْتُ ،تَخْرُجِينَ ،تخرجن"

التكرار لاسم عمر في " فَرَآهَا عُمَرُ ، فَقَالَ لِى عُمَرُ "

التوكيد في "إنه ، قد، أن " والتعليل باللام في " لحاجاتكن"

الترادف المعنوي بين " فَانْكَفَأَتْ ، رَاجِعَةً"

❧ ❧ ❧

أ) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد التكليف على الإيجاز لمناسبته للمقام والحال ومنه إستخدم الفعل المبني لغير فاعله، كما كان لتنوع طرق التوكيد أثرها في تقرير المعنى ، وقد اتسمت الألفاظ بأبرز سمات التعبير النبوي من السهولة ، والقصد ، والخلو من الزخرف و الصناعة اللفظية و هي في ذلك مناسبة للمقام الذي هو للمتعجلة في الفتوى والمتضررة من المنع .

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٩/ ١٧٧)

والمعاني في هذا الخطاب النبوي واقعية مستمدة من حاجة الإنسان عامة و المرأة خاصة، فقد جاء الإسلام داعيا إلى اليسر ورفع المشقة والضرر، متناغماً في ذلك مع الفطرة الإنسانية ، بغرض تهذيبها لا تعمد تعذيبها وتكليفها فوق الطاقة دون غاية مستساغة

١١. مشروعية غسل الميت بصفته وكيفيته

- عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ فَقَالَ « اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَاجْعَلْنَ فِى الآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِى ». فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ فَقَالَ « أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : أم عطية نسيبة بنت الحارث الأنصارية اشتهرت في مجال الجهاد والمشاركة في المعارك العسكرية فكانت - رضي الله عنها - تسير في ركب الجيش الغازي، تروي ظمأ المجاهدين وتأسو جراحهم ،ولما كانت أم عطية تغسل من مات من النساء في عهد الرسول ﷺ قدم إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم ساعة غسلها ابنته زينب رضي الله عنها بعد وفاتها ، يكلفها بما يجب في غسل الميت " فحكت ذلك واتقنت "[١] فأقره العلماء و تلقته الأمة بالقبول .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : تكليف النساء بغسل الميت ومعرفة صفته والسنة فيه والواجب .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ :" السدر ": شجر النبق، وهو لَوْنان : أحدهما بَرّيّ لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغَسُولِ وربما خَبَط ورَقَها الراعيةُ ، وثمره عَفِصٌ لا يسوغ في الحلق، والعرب تسميه الضال، وأما الثاني فينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العُنَّاب ، له سُلأَةٌ كَسُلأَته وورقه كورقه غير أن ثمر العناب أحمر حلو وثمرالسدر أصفر مُزٌّ يُتَفَكَّه به[٢]

" الكافور " قيل : كِمُّ العِنَب قبل أن يُنَوِّر ، وقيل : نبات له نَوْرٌ أبيض كنَوْر الأُقْحُوَان وقيل : وعاء طلع النخل الذي ينشق عنها وعند ابن سيده: الكافورُ نبت طيب الريح يُشَبَّه بالكافور من النخل.

وقيل هو: أَخْلاطٌ تجمع من الطيب تُرَكَّبُ من كافور الطَّلْع [٣]

---

(١) ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٢/ ٥٦)

(٢) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة " س.د.ر "

(٣) ينظر : السابق مادة " ك.ف.ر "

" الحقوة "من الحَقْوُ والحِقْوُ وهو الكَشْحُ، وقيل مَعْقِدُ الإزار، وهو الخَصْرُ ومَشَدُّ الإزار من الجَنْب ، يقال أَخذت بحَقْوِ فلان وعُذْتُ بحَقْوِ فلان إذا اسْتَجَرْت به واعْتَصَمْت ، سمي الإزار حَقْواً لأنه يشد على الحَقْوِ(١)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك "

الأسلوب أمر بالغسل للميت ، واختلف العلماء في حكمه وإجماع الأمة على وجوبه (٢) ثلاثا، أو خمسا، أو للتخيير أوالتنويع ، في عدد مرات الغسل ودلاله العدد استحباب الوتر(٣)

"إن رأيتن ذلك " التقييد بالشرط في الزيادة والتقدير ،أن احتجتن إلى أكثر من خمس للإنقاء أو للتشهي فافعلن والأصل أن لا يحتاج إلى أكثر بدلالة الشرط "بأن " التي لا تقطع للفعل بالحدوث بعكس إذا التي من معانيها إثبات وقوع الفعل(٤)

وقد أجمل ذكر العدد في الغسل ثم جعل لكل مرحلة ما يناسبها ففي الأول الماء القراح وفي الثانية " ماء وسدر " وفي الثالثة أو الخامسة ، يجعل الكافور وعليه الجمهور في غسل الميت(٥)، وهو أسلوب من بلاغة القول ، يسمى باللف والنشر ،حيث يذكر أمر على وجه الإجمال ثم يذكر ما لكل واحد من غير تعيين ، ثقة بان السامع يرده إليه(٦)

" أو شيء من كافور " من للتبعيض ، لإفادة التقليل

" فإذا فرغتن فآذننى " " آذنني" اخبرنني و أعلمنني ، وهو جواب الشرط

"فألقى إلينا حقوه " وهي هنا قطعة من إزاره صلى الله عليه و سلم موضع عقد الإزار من الرِّجُل وهو الخصر قال ابن بطال :هذا شاهد لأهل اللغة (٧)

" فقال "أشعرنها إياه" أي أن يضعنه فيما يلي جسدها وهي كناية ودقه في المعنى، وقد سمي شعارا لأنه يلي شعر الجسد "والدثار : الذي يلي الشعار ، قال النبي - ﷺ -

---

(١)ينظر : السابق مادة " ح.ق.و "

(٢)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (١٢/ ٥٢)

(٣)ينظر : المفهم ، للقرطبي(٢ / ٣٣٣)

(٤)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٠٢)

(٥)ينظر : المفهم ، للقرطبي(٢/ ٣٣٣)

(٦)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القزويني (٣٨٢)

(٧)ينظر : شرح ابن بطال على صحيح البخاري(٣/ ٢٥٧)

للأنصار : " أنتم شعار ، والناس دثار " ؛ كناية عن القرب والاتصال بهم "[1] وجعل الحقوه عليها من باب التبرك بأثره الشريف .

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من العوامل المرجعية والإحالة بالضمائر: الهاء للغائب في " اغسلنها ، أشعرنها، إِيَّاهُ " الضمائر العائدة على رسول الله ﷺ في " فَآذِنَّنِي،و آذَنَّاهُ"
وضمائر الجماعة ،ونون جماعة النسوة في " عَلَيْنَا، نَحْنُ، اغْسِلْنَهَا، رَأَيْتُنَّ، فَرَغْتُنَّ، فَآذِنَّنِي، آذَنَّاهُ، أَشْعِرْنَهَا"
ومن المرجعية بالإشارة جاءت "ذلك " مكررة في موضعين" أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ" في الموضع الأول إشارة إلى عدد المرات ، وفي الثاني إشارة إلى حاجة الأمر.
ومن عوامل التماسك العطف: تارة باستخدام أو للتخيير في " ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ" وفي " كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ" ، وتارة بالواو في" بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَاجْعَلْنَ " أو بالفاء للربط بين أمور متعاقبة في " فَقَالَ، فَإِذَا، فَآذِنَّنِي، فَلَمَّا، فَأَلْقَى"

❧ ❧ ❧

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز التكليف في نص الخطاب على أسلوب الأمر بصيغته الأصلية من باب الوجوب [2]، ثم جاء الوصل بين الجمل لبيان تسلسل التكليف و تعلق بعضه بالأخر ، ثم جاء الشرط لبيان التخيير والتفريق بين الواجب والسنة في صفة الغسل .
وقد مالت الألفاظ إلى السهولة والوضوح والبعد عن الزخرف ، كما أن المعاني جاءت واقعية مستمدة من حياة الإنسان وواجباته تجاه نفسه الإنسانية ، ووجباته تجاه أخيه المسلم بعد وفاته من غسله وتشييع جنازته .

---

(١)ينظر : المفهم ، للقرطبي (٢/ ٣٣٣)
(٢)ينظر : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن دقيق العيد ، (٣٥٤/١) تحقيق: محمد حامد الفقي - أحمد محمد شاكر، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢ - ١٩٥٣

١٢. مشروعية عدم الإضرار بالمولود في تطبيق حد الزنا

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّى قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِى. وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَرُدُّنِى لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِى كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللهِ إِنِّى لَحُبْلَى. قَالَ « إِمَّا لاَ فَاذْهَبِى حَتَّى تَلِدِى ». فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ « اذْهَبِى فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ ». فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ فِى يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِىَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِىَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِىُّ اللهِ -ﷺ- سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ « مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب:

المرأة الغامدية صحابية جليلة قدمت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم معترفة بذنبها تطلب الطهر ، وقد أصابت حد الزنا ، فأمرها رسول الله أن تعود بعد الوضع ، ثم بعد الرضاع ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد عامين تطالبه بما عزمت عليه من الطهر، فحفرت لها حفرة إلى صدرها وأمر بها فرجمت ، وتناثر دمها على الناس وعندما وصل إلى الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه سبها وشتمها ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك وبين عظم توبتها بمقولته : " وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ"

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : النهي عن الإضرار بالمولود عند تطبيق حد الزنا على من أقر به ، إذ لا ذنب له ولا خطيئة ،والإشفاق بمن اقر بذنبه وأعلن التوبة والنهي عن التعرض له.

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : امرأة حُبْلى ، والحُبال: انتفاخ البطن ومنه حَبَلُ المرأة وهو امتلاء رَحِمها.(١) وقيل الحاء والباء واللام تدل على امتداد الشيء ومنه " الحمل ، ذلك أن الأيام تمتد به"
و" المكس " : النقص والمَكْس: انتقاص الثمن ، ومن المَكْسُ: الجباية ، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلَع في الأسواق في الجاهلية و المكس الضريبة التي يأخذها الماكِسُ .(٢)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية لنص الخطاب :

"فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني "النداء بالياء تعظيماً ، وفي "رسول الله" مطالبة بما أرسل به من حكم الله كما فيه من الإذعان لهذا الحكم ، والإسناد خبري موكد بعدة مؤكدات " إني و قد"
ثم أنها دلت على الفاحشة بأشهر أسمائها وأوضحها ،مبالغة في استشعار حرقة الإثم والرغبة في الطهر والإحصان .
و"الفاءُ" مبالغة في الإسراع بالفعل دون إمهال .
ولكنه ردها وأعرض عنها ،فلما ظنت أنه يريد التثبت من قولها كما تثبت من الصحابي ماعز بن مالك(٣) تقدمت بالبينة
"فوالله! إني لحبلى " جملة خبرية أخرى مؤكدة بعدة مؤكدات " القسم ، وإني" مع أن رسول الله صلى الله عليه و سلم "لم يستفصلها كما استفصل غيرها مِن مَن قدموا إليه معترفين بهذا الجرم لأنَّه لم يظهر عليها ما يُوجب ارتيابًا في قولها ، أو شكًّا في حالها "(٤) تهربا من الحكم وما ذاك إلا صدقاً في التوبة وعزيمة على الطهر.
"إما لا، فاذهبي حتى تلدي " "إمَّا بكسر الهمزة التي هي همزة" إن" الشَّرطية ، زيدت عليها "ما "المؤكدة ؛ بدليل دخول الفاء في جوابها .و"لا" التي بعدها للنفي . فكأنه قال : إن رأيت أن تستري على نفسك وترجعي عن إقرارك فافعلي ، وإن لم تفعلي فاذهبي حتى تلدي"(٥) فالأسلوب شرط ، وقد اعترفت وتثبتت من أمرها فوقع عليها الجواب

---

(١) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة " ح.ب.ل "
(٢) ينظر : السابق "م.ك.س "
(٣) جاء ماعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى. فَقَالَ « وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ »..ينظر الحديث مسلم ـ الحدود ـ (٥٤٢٧)
(٤) المفهم ، للقرطبي(٤/ ١٣٨)
(٥) السابق(٤/ ١٤٠)

لزاما، والقصة فيها إيجاز بالحذف لعدة جمل لان السياق فيه من الألم والإشفاق ما يقتضي الحذف ، ثقة بفهم المخاطبة التي جاءت مقرة بذنبها ، والسامع المتلقي للخبر، ثم جاء الطلب محددا بحتى إلى وقت معلوم وهو زمن الوضع والولادة .

"اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه" وقد فعلت ،ثم جاءت به إلى رسول الله ﷺ، وفي ذلك مراعاة لحقوق الطفل منذ أن كان جنينا في بطن أمه فهو روح لها حقوق وواجبات ،حتى غدى فطيما يأكل الطعام، فلم تأمر بالإجهاض و التخلص من ذلك الجنين الذي لم تنفخ فيه الروح بعد ،كما أنه يضرب لها أجلا متدرجا ،في التكليف ،متمهلا في تنفيذ الحد وهذا التدرج والإمهال مطابق لحال المخاطبة التي سعت في طلب القصاص بنفسها ولو كانت هاربة بإثمها لما حرصت على الطهر ابتداءً والجملة طلب وتكليف محدد إلى غاية معلومة تنتهي بفطام الطفل والفاء للتعقيب في كل .

"مهلا! يا خالد! فو الذي نفسي بيده! لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له"

جملتان يخاطب بهما رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في الأولى طلب للكف عن فعلٍ كان قد بدر منه رضى الله عنه في حق المرأة الغامدية ،والثانية وهي مدار بحثنا ،لأنها جملة خبرية يصف بها هذه المرأة الغامدية مؤكدا على صدق توبتها ،يجلو بها ما قد يعتمل في النفوس حول ما جاءت به من الإثم

"مهلا " تمهل وكفَّ عن سبِّها أسلوب نهي ،عن التعرض للمرأة حتى بعد موتها، وإيذائها ولو كان ذلك باللفظ. مما يستدل به على تعظيم شان توبتها " فو الذي نفسي بيده! لقد تابت توبة " سبقت الجملة الخبرية بعدة مؤكدات من" قسم وتوكيد بقد" لان حالة المخاطب ـ على عظم شأنه ومكانته ـ من شدة الإنكار الظاهر في الفعل الذي بدر منه تقتضي ذلك ، فكان التوكيد في الجملة لازماً ، والتنكير في توبة لإفادة الإفراد والتعظيم من شان المفرد وهو " التوبة " ودلالته ما جاء من تصوير بعدها

" لو تابها صاحب مكس لغفر له " وصاحب المكس هو كل من "يأخذ من الناس ما لا يلزمهم شرعًا من الوظائف المالية بالقهر والجبر"[1]

و"لو " تقييداً بالشرط بالأداة "لو" وهي حرف شرط في مضي وجعلها سيبويه حرف لما كان سيقع لوقوع غيره امتناع لامتناع [2] فصاحب المكس أنى له أن يكفِّر عن كل من أجرم بحقهم فيرد على هذا وذاك في عالم يعج بالمؤن وأصحاب السلع قال صاحب المفهم "وصاحب المكس هذا بعيد أن يتخلص من إثمه لكثرة الحقوق وانتشارها في

---

(١)المفهم ، للقرطبي (٤ / ١٤١)

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ (٤/ ٤٧) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،القاهرة ، دار التراث -
ط٢٠ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

النَّاس ، وعدم تعيين المظلومين "[١] ومع ذلك لو أنه تاب وتمكن من رد الحقوق إلى أصحابها لقبل الله توبته وغفر له .
وهذه الحال هي ما صور به بيان رسول الله صلى الله عليه و سلم توبة هذه المرأة في عظم شأنها وعلو قدرها ،إنها توبة صاحب مكس اقترف من آثام الناس مالا يحصى ولا يعد فأعاد لكل صاحب حق حقه تكفيرا عن الذنب ورجوعا عنه ،ومن براعة هذا التصوير وطرافته ودقته في أداء المعنى سمة التوازن بين طرفي التشبيه فصاحب المكس كثر خصومه وتفرق إثمه بين الناس ، وصاحب الزنا ينتشر خطره على المجتمع بأسره يفتك بالقيم والأخلاق في كل زمان ومكان .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر ،فمنها ما أُحيل إلى المرأة كـ"تاء الفاعل" في "زَنَيْتُ، ووَلَدْتُهُ، وفطَمْتُهُ" وياء المتكلم في " إنِّى، فطَهِّرْنِى، تَرُدُّنِى"
و"ياء المخاطبة" في "اذْهَبِى ،تَلِدِى ، فَأَرْضِعِيهِ ،تَفْطِمِيهِ"
ومن الضمائر ما أحيل إلى رسول الله ﷺ من ضمائر ظاهرة في "إِنَّهُ ، رَدَّهَا ، أَتَتْهُ، وضمائر مستترة في "فَدَفَعَ، وأَمَرَ، فَقَالَ"
والربط بالعطف بالفاء للتعقيب في " فَقَالَتْ، فَطَهِّرْنِى، فَلَمَّا، فَأَرْضِعِيهِ ، فَدَفَعَ، فَحُفِرَ، فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ، فَرَمَى، فَتَنَضَّحَ ، فَسَبَّهَا ، فَسَمِعَ، فَقَالَ ، فَصَلَّى" وجاء العطف بـ " ثم" في مواضع " ثُمَّ أَمَرَ" والعطف بالواو في " فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ ،و حُفِرَ لَهَا وَأَمَرَ ، وصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ "
ومن عوامل التماسك التوكيد :وهو كثير في "إِنِّى ، قَدْ زَنَيْت ،وَإِنَّهُ رَدَّهَا، وفي فَوَاللَّهِ إِنِّى لَحُبْلَى ، وقَدْ وَلَدْتُه، وقَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ ، وفي وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، ولَقَدْ تَابَتْ ،ولَغُفِرله "
والربط بكاف التشبيه : في " كَما رَدَدْتَ ماعز"
والتكرار: وهو كثير ظاهر : فجاء في تكرار " رَدَّهَا ، تَرُدُّنِى ، رَدَدْتَ " وفي " فَاذْهَبِى اذْهَبِى " وفي " تَلِدِى ، وَلَدتْ " وفي" فَلَمَّا ، فَلَمَّا" وفي " أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ ، أَتَتْهُ بِالصَّبِىِّ ،َدَفَعَ الصَّبِىَّ "وفي " تَفْطِمِيهِ ، فطَمَتْهُ ، وفَطَمْتُهُ " وتكرار حتى في " حتى تَلِدى ، وحتى تَفْطِمِيهِ " وفي " أَمَرَ بِهَا فَحُفِر، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا ، وأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى"
ومن عوامل التماسك الحذف لبعض الأحداث كما في حذف جواب الطلب في "إذهبي حتى تلدي "وتقدير المحذوف " فذهبت فولدت"

---

(١)المفهم ، للقرطبي (٤ / ١٤١)

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمدت القصة ـ كما هو الحال في كثير من القصص القراني و النبوي ـ على الإيجاز بالحذف متضافراً مع غيره من الأساليب لرسم معالم القصة حتى اكتملت أحداثها ، وما يميز أسلوب الحذف أنه يترك للمتلقي فرصة المشاركة في استنباط ما حذف فيكون عنصراً فاعلاً في التلقي ، إذ نجد انه لا يذكر أحداثا يفترض وجودها عُمد إلى حذفها دونما إشارة إليها، فحذف مثلاً موقف الصحابة الحاضرين ساعة قدوم هذه المرأة ، وموقف الناس بل وموقف الزوج مع زوجه في مثل هذه المواقف وقبل ذلك الدوافع التي دفعت تلك المرأة لارتكاب هذا الجرم ثم دوافع التوبة منه والقدوم إلى رسول الله ﷺ ، فطويت الأيام والشهور وجاء أسلوب الربط بين الجمل بالعطف بالفاء لدلالة الزمن

وقد اتسمت العبارة عموماً بهدوء اللهجة وخلوها من حدة اللفظ و خشونته ، كما خلا الخطاب من الزخرف اللفظي والمحسنات البديعية والمعاني التصويرية عدا ما كان في خطابه صلى الله عليه و سلم للصحابي خالد بن الوليد من تصوير لبيان عظم شأن تلك الصحابية وقبول توبتها عند الله تعالى ، وهو من تشبيه التمثيل الذي "اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها" [(١)].

و المعاني في الخطاب معان إيمانية خالصة ، تتجلى فيها مواطن الرحمة في هذا الدين مع القوة و الحرص على تطبيق حدود الشريعة الإسلامية التي تكفل صلاح البشرية.

---

(١)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني(١ / ٦٩)

١٣ـ مشروعية ترك هدم الكعبة رغم جوازه

- عن عَائِشَةَ - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ »

أـ تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : كان هدم الكعبة وإعادة بنائها وإجراء بعض التحسينات في بنيانها من الأمور التي راودت نفسه عليه الصلاة والسلام ، فاخبر السيدة عائشة رضي الله عنها بذلك. وكيف أنه وجد الأمر وقد اصطدم بصخرة الواقع ، وما يخفيه من هموم ومخاوف فاستحال تنفيذه ميلاً إلى "سد الذرائع " [١] غير أن في الإعلام والإخبار به فوائد لا تخفى على ذي بصيرة .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : قال فيه ابن بطال "باب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الاخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ فَيَقَعُ فِى أَشَدَّ مِنْهُ " [٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ :

الذراع ما بين طرَف المِرْفق إلى طرَفِ الإصْبَع الوُسْطى [٣]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

التنبيه بالنداء في قوله :" يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ " لإقامة علاقة خطاب وحوار مع المخاطب من جهة ، مع التنبيه للاهتمام والتبصر بموضوع الخطاب .

" لولا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ " [٤] تدل على امتناع ثبوت ، لثبوت ،([٥])

---

(١) ينظر : المفهم ، للقرطبي(٣ /١٠٥)

(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال(١ /٢٠٥)

(٣) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة

(٤) في مسند أحمد ٢٥٧٩٠« لَوْ كَانَ عِنْدَنَا سعة ». وهو معنى قوله في هذه الرواية " فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا "

(٥) الكليات ، لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١/ ١٦٦٥) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ،بيروت ، مؤسسة الرسالة - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما أن إهدار المصالح الصغرى واجب لتحقيق المصالح العليا ، ومعلوم أن من أولى مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة " حفظ الدين " فكيف بقوم هم حديثو عهد بشرك

"قَوْمَكِ " قريش القبيلة التي تنتسب إليها السيدة عائشة رضي الله عنها ، ينتسب إليها كذلك رسول الله ﷺ غير أن العدول عن ياء المتكلم في " قومي" إلى كاف الخطاب أكسب اللفظة ـ إضافة إلى معنى المخاطبة والحوار ـ تخصيصاً وكساها حلة من العناية الواجبة ، فقريش في الدرجة الأولى " قومك " وأمورهم لاشك تعنيك .

" لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَ لَجَعَلْتُها عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ " ، "وَ لَجَعَلْتُ بَابَها بِالأَرْضِ وَ لأَدْخَلْتُ فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ " " وَجعلْتُ لَها بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيها سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ" " وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ "
كان عزمه ﷺ و إرادته ـ التي حال بينها ما كان عليه حال القوم ـ مما وعته السيدة عائشة رضي الله عنها واستشعرت أهميته ومن ثم نقلته بتفاصيله الدقيقة ، وما كان ذلك إلا من خلال صيغة الخطاب التي تميزت بدقتها وتفصيلها من خلال :

- أولا : تكرار لام التوكيد الواقعة في جواب لولا، فهي رسالة خالدة لأمة الإسلام عامة ، وفيهم المنكر و المكذب والمتردد ، وقد ظهر ذلك في زمن غير بعيد فيما روي عن تكذيب الخليفة عبد الملك بن مروان رواية عبد الله بن الزبير لحديث عائشة رضي الله عنها " فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا "[(١)]
- ثانيا : تفصيلُ جزئياتِ ما قد لا يسْطع عليه الناس صبراً ؛ يعد من ضرورات الإقناع وتمكين المقاصد وتقريبها للذهن ، وهو مذهب لا تحتاج إليه المرأة فحسب ـ كما قد يظن ـ بل يحتاج إليه كل من يناقش قضايا عقدية راسخة في ضمير الأمم تمس روحانياتها و مقدساتها .

فيقول عليه الصلاة والسلام :" لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ " والنقض غير الهدم
النقض قوة تعصف بالجذور ، و قد يكتفي في الهدم بالجزء .
والنقض لا يقف على الأمور الحسية بل يشمل المعنوية وما يتفرع عنها من معانٍ روحية تتصل بحياة الجاهلية ، ليست ضمن معاني " الهدم" ، جاء في اللسان " النقض لغةً: إفساد ما أبرم من عقد أو بناء أو عهد" [(٢)].

[(١)] أخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها [١٣٣٣]
[(٢)] لسان العرب ، لابن منظور مادة (ن.ق.ض)

"وَلَجَعلْتُها عَلى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ " ولن يكون بناؤها إلا على أسس حنفية خالصة لا تشوبها وثنية ، أسس وضعها وأرسى قواعد بنائها خليل الله إبراهيم عليه السلام .
وسيغير ما وضعت قريش " فَإِنَّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَتِ الْبَيْتَ " وفي التصريح بالمسند إليه اسم " قريش " وقد كنى عنه في مطلع الخطاب بـ" قومك" إثبات الفعل للفاعل، والتأكيد انه من فعلها دون غيرها من القبائل " اسْتَقْصَرَتْ " أي جعلته قصيرا ، لقصور النفقة[١] ، فهل ستقبل قريشٌ ورجالاتُها بذلك ، وقد عاصر عليه الصلاة والسلام وشارك في قضية وضع الحجر الأسود وما صاحبها من خلاف ، فكيف ستفعل إذا أقدم على هدم الكعبة برمتها ، وغير ما بنتها عليه ؟!
" وَ لَجعلْتُ لَهَا خَلْفًا " أي باباً من الخلف ، تيسيراً لدخول الناس وخروجهم منها .
ومع تعدد الروايات واختلافها بالزيادة أو النقصان في بعضها يعد هذا الخطاب وما حفل به من معانٍ عليا ، أنموذجاً قيماً لسمات خطابه ﷺ للمرأة المسلمة في الشأن العام

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من السبك الإحالة بالضمائر في كاف الخطاب في " قومك " و الهاء العائدة إلى الكعبة في " فألزقتها ، لها ، فيها ، اقتصرتها " وتاء الفاعل العائدة إلى رسُولِ الله صَلَّى الله عليْهِ وَعلَى آلِهِ وصَحبِه وسلَّم في " هدمتُ ،و ألزقت ، وجعلت ، وزدت "
ومن العوامل العطف في " فَأَلْزَقْتُها ،فَإِنَّ ،وَجَعلْتُ ،وَزِدْتُ"
والتوكيد في " أَنَّ قَوْمَكِ ، إِنَّ قُرَيْشًا ، لَهَدَمْتُ"
والطباق في " شَرْقِيًّا ، وغَرْبِيًّا" و" وَزِدْتُ ،و اقْتَصَرَتْ "

بـ- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في خطابه للمرأة هو أسلوب الإنشاء غير الطلبي بالتمني بلولا لبيان الرغبة في الأمر مع عدم القيام به
يسبقه النداء للتنبيه ، ثم جاء التوكيد باللام و تكراره في جواب لولا
وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة وضوح الدلالة، كما خلا الخطاب من التصوير والزخرف البديعي
أما المعاني فهي واقعية تتعلق بحياة المسلم عامة واهتماماته من نهيه عما قد يوقع الفتن وعدم إحراج الشعوب فيما يلامس معتقداتها ، وتقديم الأهم على المهم .

(١) ينظر : البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ، محمد بن علي بن ادم الإتيوبي الولوي ، (٢٤/ ١٩٦) ،المملكة العربية السعودية ، دار ابن الجوزي ط١ ـ ١٤٢٦هـ

المبحث الثاني

الخِطابُ النَبويّ للمرأةِ في شأنها الخاص في سياقات التكليف

أولا : مجالاتُ الخطابِ وَ ما اشْتملت عليه من الأحاديث النبويّة

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أولا : مجالاتُ الخطابِ

خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في شانها الخاص في سياق التكليف ، هو خطاب ضيق المناسبات وذلك أن تكاليف الشريعة الإسلامية قلتما تختص بفرد دون آخر ،كما أن النساء يندر منهن مخاطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم في أمر لا يخص النساء عامة ، فجاء خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في شأنها الخاص في سياق التكليف في مجالين :

أ- ما اختصت به أزواجه وبناته رضي الله عنهن

ب- ما كان في الأحكام الخاصة

أ- الأحاديث النبويةُ فيما اختصت به أزواجه وبناته رضي الله عنهن :

١٤.عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا مَضَى تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَدَأَ بِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ. فَقَالَ « إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ - ثُمَّ قَالَ - يَا عَائِشَةُ إِنِّى ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِى فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِى أبويْكِ ». ثُمَّ قَرَأَ عَلَىَّ الآيَةَ (يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ) حَتَّى بَلَغَ (أَجْرًا عَظِيمًا) قَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أبوىَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِى بِفِرَاقِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ أَوَفِى هَذَا أَسْتَأْمِرُ أبوىَّ فَإِنِّى أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِى أَيُّوبُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لاَ تُخْبِرْ نِسَاءَكَ أَنِّى اخْتَرْتُكَ فَقَالَ لَهَا النَّبِىُّ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِى مُبَلِّغًا وَلَمْ يُرْسِلْنِى مُتَعَنِّتًا ». قَالَ قَتَادَةُ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا مَالَتْ قُلُوبُكُمَا.(١)

١٥.عن عائشة قالت:كن أزواج النبي ﷺ عنده. لم يغادر منهن واحدة. فأقبلت فاطمة تمشي. ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا. فلما رآها رحب بها. فقال "مرحبا بابنتي" ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارها فبكت بكاء شديدا. فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين الأخذ بالسرار. ثم أنت

(١) مسلم كتاب الطلاق باب في الايلاء واعتزال النساء وتخيير هن [١٤٧٥]البخاري كتاب تفسير القران باب قوله تعالي (الأحزاب ٢٨) [٤٧٨٥] ،وأحمد [٢٥٣٠١] ابن ماجه كتاب الطلاق باب الرجل يخير امرأته [٢٠٥٣]بلفظ الترمذي

تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن، فنعم. أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك" قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال "يا فاطمة! أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين. أو سيدة نساء هذه الأمة"؟ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت.[1]

ب- الأحاديثُ النبويةُ في مجالِ الأحكام الخاصة :

١٦. عن عائشة ؛ قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ. فقالت : يا رسول الله ! إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حليفه). فقال النبي صلى الله عليه وسلم " أرضعيه " قالت: وكيف أرضع ؟ وهو رجل كبير. فتبسم رسول الله ﷺ وقال " قد علمت أنه رجل كبير".زاد عمرو في حديثه: وكان قد شهد بدرا. وفي رواية ابن أبي عمر: فضحك رسول الله ﷺ.[2]

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام [٣٦٢٣] ،
أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالي عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام [٢٤٥٠]سنن ابن ماجة كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلي الله عليه وسلم ١٦٢١]، مسند أحمد [٢٦٤١٣]النسائي في الكبير كتاب وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ذكر ما استدل به النبي صلي الله عليه وسلم عن اقتراب اجله [٧٠٤١]
(٢) أشار إليه البخاري في كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرا [٤٠٠٠]ولم يذكره ،وأخرجه مسلم في الرضاع باب رضاعة الكبير [١٤٥٣] ، سنن أبي داود كتاب النكاح باب من حرم برضاعة الكبير [٢٠٦١]بزيادة في اللفظ ، سنن النسائي كتاب النكاح باب رضاعة الكبير [٣٣١٩] سنن ابن ماجة كتاب النكاح باب رضاعة الكبير [١٩٤٣]، مسند أحمد [٢٤١٠٨]

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أ- الأحاديثُ النبويةُ فيما اختصت به أزواجه وبناته رضي الله عنهن

١٤.مشروعية تخيير رسول الله صلى الله عليه و سلم عائشة رضي الله عنها

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا مَضَى تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَدَأَ بِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ. فَقَالَ « إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ - ثُمَّ قَالَ - يَا عَائِشَةُ إِنِّى ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِى فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِى أَبَوَيْكِ ». ثُمَّ قَرَأَ عَلَىَّ الآيَةَ (يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ) حَتَّى بَلَغَ (أَجْرًا عَظِيمًا) قَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أَبَوَىَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِى بِفِرَاقِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ أَوَفِى هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَىَّ فَإِنِّى أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِى أَيُّوبُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لاَ تُخْبِرْ نِسَاءَكَ أَنِّى اخْتَرْتُكَ فَقَالَ لَهَا النَّبِىُّ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِى مُبَلِّغًا وَلَمْ يُرْسِلْنِى مُتَعَنِّتًا ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : يخطئ من يظن أن أزواج النبي صلى الله عليه و سلم على طبائع غير طبائع النساء" أو يظن [١]" أن بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم كان هادئا خالياً من المشكلات "[٢]وفي حادثة التخيير هذه التي اختلف حول أسبابها ومناسبتها [٣]

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين(٦/ ٨١) دار الشروق، ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

(٢) السابق نفسه

(٣)وفي مناسبتها أقوال منها : الْحَدِيثِ الذي أَفْشَتْهُ حفصةُ إلى عائشةَ بأن حفصة كانت عند أبيها فأتاها رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يجدها فأرسل في طلب جاريته مارية القبطية " فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُؤْتَني " فارضاها وحرم على نفسه الجارية " فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرّت إليها أن أبشري إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد حرّم عليه فتاته " والقصة رويت من وجوه ، انظر : قصة التحريم ، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القران ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٨ /٥٦٠) تحقيق بشار عواد معروف ،عصام فارس الحرستاني ، بيروت ،مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م وقيل بل تحريمه العسل ،

وفي من نزلت من أزواجه رضي الله عنهن [1]قد أقسم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعتزل نساءه شهرا ، حتى ظن الناس انه طلقهن ،لا يكلمهن ولا يدخل عليهن بيتاً ، وعاش وحيداً في حجرة صغيرة عالية في المسجد يصلي بالناس ثم يصعد إليها لا يكلم أحداً [2]حتى نزلت أيات سورة الأحزاب تأمره بتخيير الأخذ بين الله ورسوله والدار الأخرة وبين الطلاق ، فبدأ رسول الله صلى الله عليه و سلم بزوجه الحبيبة السيدة عائشة رضي الله عنها التي اختارت الله ورسوله دون أن ترجع إلى أبويها رغمَ حداثة سنها وتبعتها في ذلك كل الأخذ صلوات الله عليهن وسلامه .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : هذا النص يوضح مناسبة أية التخيير "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ والدار الآخرة فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا "الأحزاب "٢٨،٢٩وقد قال فيه ابن بطال: أن المرأة الرشيدة لا بأس عليها أن تشاور أبويها و ذا الرأي من أهلها[3] فيما يستوجب ذلك من أمور حياتها الخاصة . وعند الشيخ العلامة المناوي أن في المعنى منعاً و زجراً باللطف والتعريض من غير توبيخ أو تصريح [4]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : العنت والمعانتة ، كالمعاندة لكن المعانتة أبلغ ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك، قال تعالى : ﴿ودُوا ما عَنِتُّم﴾ (آل عمران/ ١١٨ [5]يقال: أَعْنَتَ فلانٌ فلاناً إعناتاً إذا أدْخل عليه عَنَتاً أي مَشَقَّةً ؛ قال ابن الأثير: العَنَتُ المَشَقَّةُ، والفساد، والهلاكُ، والإثم، والغَلَطُ، والخَطأُ، والزنا: كلُّ ذلك قد جاء، وأُطْلِقَ العَنَتُ عليه قال ابن الأعرابي : الإعْناتُ تَكْلِيفُ غيرِ الطاقةِ [6])

❧ ❧ ❧

انظر: نفس المرجع ، وقيل أنهن " طلبن منه من زينه الدنيا ماليس عنده " انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري (٩ / ٦٥) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ،دار الفكر

(١) أكثر الأقوال أنها نزلت في حفصة وعائشة انظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال(٦/

(٢)ينظر : فتح المنعم ، لموسى شاهين لاشين (٦/ ٨١)

(٣)ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال(٦/ ٥٩٨)

(٤)ينظر : فيض القدير، للمناوي(٥٧٣/٢)

(٥)ينظر : معجم مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني مادة " ع.ن.ت ":

(٦) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة " ع.ن.ت"

(٦)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة " ع.ن.ت"

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

" يَا عَائِشَةُ إِنِّى ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا " النداء للتنبيه ،ولفت الانتباه ، ثم أردفت بالتأكيد "بإن" ثم جاءت النكرة المبهمة " أمراً " لتفيد التهويل من الأمر فهو وحي من الله يأمر بتخييرهن ، والكف عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وقد عرفت بعد ذلك باية التخيير .

"فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِى فِيهِ " أسلوب نهي وهو عن الاستعجال في الأمر وتدبره بما يكفي ، وفي تكرار النهي بلا في " لا عليك ، لا تعجلي " دلالة واضحة تلفت لأهميته وعظم شانه ، و فيه رحمة حانية خاصة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، حيث ذكر الضمير "عليك " حيث يمكن حذفه ، وكان من الممكن أن يقال : "فلا تعجلي فيه "، دون شبه الجملة وكاف الخطاب التي ما ذكرت إلا لمزيد عناية بالمخاطب ،كما أنها موضع إطناب ،لإطالة الحديث مع المحبوب توددا إليه وتحبباً ، وهذا من كرم شمائل رسول الله صلى الله عليه و سلم في تعامله مع نسائه خاصة ، بأن لا ياخذها على حين غرة في أمر مصيري في شانها الخاص ، الذي هي أحق الناس بتدبره حتى في أحرج المواقف ، مع أن ذلك لاينفي طلب المشورة ممن تثق برأيه كما سيأتي بل أن كلاً منهما متمم للأخر .

"حَتَّى تَسْتَأْمِرِى أَبوَيْكِ " بطلب المشورة منهما فيما خيرها فيه صلى الله عليه و سلم ، وواضح فيه أن المرأة حتى وان كانت رشيدة لا يمنعها ذلك من مشورة أولي الرأي من ذويها وليس في ذلك ثمة تنقيص من قدرها وإلا لما أمرت بذلك أم المؤمنين وحبيبة رسول الله صلى الله عليه و سلم عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها .
وقولها " قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أَبوىَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِى بِفِرَاقِهِ " دل - كما تعتقد الباحثة - أنها علمت برجاحة عقلها أن المطلوب رأيها لا رأي أبويها فهو برأيهما عليم ، فجاء اختيارها حكيما مباشرا دون استشارة مما يؤكد عظم شأنها ورفعة مكانتها رضي الله عنها وأرضاها.
ثم لا ننسى أن نلحظ مواطن التوكيد في بيان السيدة عائشة رضي الله عنها " قد، ووالله ،أن "

" إنَّ اللهَ أَرْسَلَنِى مُبَلِّغًا " "وَلَمْ يُرْسِلْنِى مُتَعَنِّتًا "[١] وهنا جملة من خصائص البيان النبوي في خطابه للمرأة في شأنها الخاص :

- تأكيد الإسناد الخبري " بإن " موافقاً به حالة المخاطبة السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت تشك في إخبار رسول لله صلى الله عليه و سلم نسائه بما اختارت فراحت تطلب منه ذلك بدافع الغيرة والمحبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم.
- بين أرسلني ولم يرسلني طباق سلب يدعو إلى إعمال الفكر بين المتضادين في بيان الغاية من إرسال الرسل ، فضلاً عن إثبات أن شأن التخيير لأزوجه ما هو إلا وحي من الله تعالى ورسالة ، لا عبث فيها ، وظاهرما في ذلك من معاني التعظيم والإجلال .
- في "مبلغاً ومتعنتاً" نوع من الطباق يسمى الطباق الخفي، لأنه جمع بين معنيين لا من حيث التضاد بل من حيث المعنى ومسببه ، فوصف نفسه بأنه مبلغ مواضع رضاه ومواضع سخطه [٢]، لا كاتماً لتلك المواضع وحابساً مانعاً لها عن الناس كما طلبت منه السيدة عائشة رضي الله عنها فيكون بذلك سببا في التشدد والتعسير في طروق سبل الخير والصلاح ، ومن هذا النوع من الطباق " نحو قوله تعالى " أشداء على الكفار رحماء بينهم " فإن الرحمة مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة " [٣]
- كما أن بين "مبلغاً ومتعنتاً" سجع حسن " متوازٍ "[٤] غير متكلف " وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه في المعنى "[٥] أما وقد جاءت القرائن بينهما طباق "أرسلني ولم يرسلني "فكان قمة الاختلاف والحسن .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر فجاءت ياء المتكلم ترجع إلى عائشة رضي الله عنها في " بَدَأَ بِى ،دخل عَلَيَّ ، قَرَأَ عَلَيَّ، أبويَّ، يَأْمُرَانِى، فَإِنِّى "وترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في " إِنِّى ،أَرْسَلَنِى"وجاءت كاف الخطاب في " لَكِ ، عَلَيْكِ ، أبويْكِ " وياء المخاطبة في " تَعْجَلِى ، تَسْتَأْمِرِى"

---

(١)هذه الجملة من الحديث مما انفرد به مسلم عن البخاري ، وأورده الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب قد روي من غير وجه عن ابن عباس .
(٢)ينظر : فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي(٥٧٣/٢)
(٣)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القز ويني(١١٠/١)
(٤)التوازي نوع من السجع أي تساوي الجمل من حيث الطول والقصر ، ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٢٤/١)
(٥)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني(١٢٤/١)

والتكرار في " تَسْتَأْمِرِي أبويْكِ ، أَسْتَأْمِرُ أبويَّ " وفي " مِنْ تِسْعٍ وَعشْرِينَ ، وإن الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ " وفي شبه الجملة "دخل عَلَيَّ ،وقرأعَلَيَّ"
والترادف المعنوي في " أُرِيدُ ، اخْتَرْتُ "
والتوكيد في " إنَّكَ ، إنَّ الشَّهْرَ، إنِّي ، قَدْ عَلِمَ وَاللهِ أَنَّ ، إنَّ اللهَ"

ومن عوامل الحبك جاء الطباق بين " أرسلني ولم يرسلني "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز الخطاب على أسلوب التوكيد الذي اتضح أثره في زيادة العناية بموضوع الخطاب وإبراز أهميته " إني ذاكر " تأكيد أهمية موضوع الخطاب ،" أن لا تعجلي " تأكيد النهي عن التعجل، ثم في بيان السيدة عائشة ، ثم جاء التوكيد لبيان حقيقة أن ما يقوم به وحي من الله ورسالة منه " أن الله أرسلني "
وهكذا نلحظ أن الخطاب لو سقطت منه أساليب التوكيد لسقطت منه كثيرا من المزايا والدلالات .
ثم تواترت دلالات التراكيب ضمنا ، كل في مقامه لإبراز الجانب البلاغي في النص ، النداء للتنبيه ،ولفت الانتباه ، ثم التنكير والإبهام في " أمراً " للتعظيم ، ثم أسلوب النهي المؤكد بالتكرار في " لا عليك أن لا تعجلي " ثم ، تخصيص الخطاب لبيان العناية والاهتمام بالمخاطبة في " عليك "
والنص رغم وجازته لم يخلُ من عنصر البديع غير المتكلف من طباق وسجع مستحسن ساهم في إبراز المعاني وتجويد الجرس .
هذا وقد اتسمت الألفاظ بالوضوح والسلاسة .
كما جاءت المعاني نابعة من حياة المرأة الخاصة وعلاقتها مع زوجها كما ينبغي أن تبدو في ظل الشريعة الإسلامية الغراء .

١٥. مشروعية تخصيص فاطمة رضي الله عنها على بسر رسول الله ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِى مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- شَيْئًا فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ « مَرْحَبًا بِابْنَتِى ». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ بَيْنِ الأخذ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ مَا كُنْتُ أُفْشِى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سِرَّهُ. قَالَتْ فَلَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِى عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِى مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِى فِى الْمَرَّةِ الأُولَى فَأَخْبَرَنِى « أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّى لاَ أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ فَاتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ ». قَالَتْ فَبَكَيْتُ بُكَائِى الَّذِى رَأَيْتِ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِى سَارَّنِى الثَّانِيَةَ فَقَالَ « يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَىْ أَنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ». قَالَتْ فَضَحِكْتُ ضَحِكِى الَّذِى رَأَيْتِ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

تخبر السيدة عائشة رضي الله عنها كيف يختص رسول الله صلى الله عليه و سلم ابنته فاطمة رضي الله عنها بخبره أمام زوجاته كلهن رغم اجتماعهن حوله ، وذلك في مرضه الأخير الذي توفي بعده ،فتحاول السيدة عائشة معرفة ذلك الخبر منها، ولا تطلعها عليه إلا بعد وفاته ،فقد اخبرها صلى الله عليه و سلم بدنو أجله ، وكيف تواجه ذلك في صبر وتقوى واحتساب ،فما كان منها إلاّ أن بكت بكاء شديداً جعله صلى الله عليه و سلم يسري عنها فأخبرها بما يسرها ويرضي قلبها وزاد من مكانتها وفضلها فجعلها سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة .

المقصد الكلي لنص الخطاب : الحديث أخرجه البخاري في المناقب[1] لبيان مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وفضل فاطمة رضي الله عنها على نساء المؤمنين ،وفيه إخبار بدنو أجله ،وهو سر اختص به رسول الله صلى الله عليه و سلم فاطمة رضي الله عنها في حياته فكأنه كلفها بحفظه إلى حين.

المعجمُ اللُّغويُّ : الجَزَعُ نَقِيضُ الصَّبْرِ وأصله من الجَزْع أي القَطْعِ ، وانْجَزَعَ الحبل: انْقَطَع بِنصفين، والجِزْعَةُ والجُزْعَةُ : القليل من المال والماء.[2]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

يرفد السياق البياني في هذا النص رافدين متباينين ،رافد من بيان السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف السيدة فاطمة رضي الله عنها وما كان لها من سمت وفضل ورافد من حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضي الله عنها وما سارها به وخصها دون غيرها ،وكلا الرافدين يصبان في بحر بيان آل بيته صلى الله عليه و سلم وما لهن من فضل ومقام .

"كن أزواج النبي ﷺ عنده. لم يغادر منهن واحدة "

وكان ذلك لما اشتد عليه المرض ، وقد التفت زوجاته رضي الله عنهن حوله "لم يغادرمنهن واحدة" الضمير يعود إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد أحاطت عنايته بهن ولم يزغ بصره عنهن والتعبير فيه براعة متناهية ودقه في الوصف واقتباس قال تعالى : ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ غادره إذا تركه ، والغدر ترك الوفاء ومنه سمي الغدير لان الماء تركه وذهب إلى البحر ، وغدائر المرأة ما تركته خلف ظهرها ، والمعنى لم يترك منهن واحدة

"فأقبلت فاطمة تمشي. ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا "

وقد كانت اقرب الناس سمتا ودلا من رسول الله صلى الله عليه و سلم

" ما تخطئ مشيتها مشيته " تطابقها وتماثلها

"مرحبا بابنتي " تقولها العرب أي لَقِيتَ رُحْباً وسَعةً، لا ضِيقاً وحزن[3]

"ثم سارها فبكت بكاء شديدا. فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت "

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٦/ ٢١٣)

(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ج.ز.ع)

(٣)ينظر : السابق مادة(ر.ح.ب)

"بكت وضحكت " أفعال متضادة هي فحوى التعجب وعلة الخطاب وفي ذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها " خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ بَيْنِ الأخذ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟! " وفي قولها " بالسرار" وليس بالسر دليل على أن ما اشغلها وأهمها بادئ ذي بدأ هو فعل السرار الذي اختصت به وليس فحوى السر ومضمونه، غير أن إتباع ذلك الفعل على اختصاصه وروعته بالبكاء هو ماكان علة التعجب .

"وبكاء فاطمة في أول مرَّة كان حزنًا على النبي - ﷺ - لما أعلمها بقرب أجله ، وضحكها ثانية فرحًا بما بشرها به من السلامة من هذه الدار ، ولقرب الاجتماع به ، وبالفوز بما لها عند الله من الكرامة "(١)

"عزمت عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ "

"عزمت عليك" "أي أوجبت عليك ، وهو من قسم الملوك "(٢) وعَزَمْتُ عليكَ أي أمَرْتُك أمراً جِدّاً، (٣) و العَزْمُ ما عَقد عليه قَلْبُك من أَمْرٍ أنَّكَ فاعِلُه ، يقال عَزَمْتُ على الأمر ، قال الله تعالى: "وإن عَزَموا الطَّلاقَ فإن الله سميع عليم"البقرة٢٢٧ وكان ذلك من السيدة عائشة رضي الله عنها لما تقدم من سابق رفض السيدة فاطمة رضي الله عنها .

"لما حدثتني " لمَا مخففة لمّا ،من معانيها أن تكون بمعنى "إلا "(٤)وذلك يكون في موضعين الأول بعد القسم "نشدتك بالله لما فعلت " أي إلا فعلت وبهذا المعنى جاء خطاب السيدة عائشة رضي الله عنها حيث عزمت عليها إلا أن تحدثها ،والموضع الثاني بعد النفي ومنه قوله تعالى "إن كل ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا "أي ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا .

"أما الآن فنعم " "أمّا "حرف تفصيل (٥)حيث أجابت قبل بالنفي ثم بعد ذلك بالإيجاب ففصلت ذلك .

"أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين ،وإنه عارضه الأن مرتين" يعارضه القرآن أي كان يُدارِسُه كل ما أنزل من القرآن في ذلك العام فهي مُعارَضةِ ومُقابلةِ له ،قد كان ذلك مرة واحدة في العام و" مرة أو مرتين شك من الراوي والصحيح حذف مرتين هنا "(٦)

"وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك"

- الجملة خبرية مؤكدة بعدة مؤكدات

---

(١)ينظر : المفهم ، للقرطبي (١٣٠/٥)
(٢)ينظر : شرح الرضي على الكافية (١٤١/٢)
(٣)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ع.ز.م)
(٤)ينظر : الجنى الداني ، للمرادي(١٤٥)
(٥)ينظر : السابق (٥٢٨)
(٦)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقي . (٥/ ٩٤)

- الأسلوب قصر موصوف على صفة قصر إضافي
- أُرى ،بضم الهمزة فعل مبني لغير الفاعل([1])بمعنى علم والمعنى من الإلهام واليقين ماجعل السيدة فاطمة رضي الله عنها تجزع لذلك وتبكي .
- فاتقي الله واصبري ، أمر خرج من معنى طلب القيام بالفعل إلى النصح والإرشاد والتوجيه إلى ما يجدر القيام به والحال هذه .
- "أنا لك" تقدم الضمير"أنا " على الجار والمجرور المتعلق "بنعم " للتخصيص

" يا فاطمة! أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين. أو سيدة نساء هذه الأمة"؟

- النداء للتحبب والإغراء ،ودعوة للمخاطب لإدراك فحوى تخصيصه بالنداء.
- " أما "و تتضمن معنى الاستفهام والنفي للتقرير وذلك في مواساة أبوية حانية منه صلى الله عليه و سلم ، وتكليف بالرضا والقبول ، وتقرير بما سيكون لها من مكانة بعد الرضا فهي أول أهل بيته به لحوقاً وهي سيده نساء العالمين
- توكيد الخبر كونها سيدة نساء المؤمنين أو هذه الأمة وهي كرامة عليا وبشارة إلى يوم القيامة فالسيادة عظم ومجد وشرف ، ونساء المؤمنين أكمل من المسلمين ونساء هذه الأمة أشملها وأكملها.

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في " مِشْيَتُهَا ،رَآهَا ،بِهَا ،أَجْلَسَهَا ،سَارَّهَا ،جَزَعَهَا، لَهَا ،سَأَلْتُهَا "بـ هاء الغيبة، وياء المتكلم في " سَارَّنِي ،وأَخْبَرَنِي ،وبُكَائِي ،جَزَعِي ضَحِكِي " ياء المخاطبة في " فاتقي واصبري "وكاف الخطاب في " لك "

والإحالة بالإشارة في " هَذِهِ الأُمَّةِ" والموصولية في " الَّذِى رَأَيْتِ" في الموضعين .

ومن عوامل التماسك العطف كما في " فَأَقْبَلَتْ ،فَلَمَّا ،فَقَالَ ،فَبَكَتْ ،فَضَحِكَتْ ،فَقُلْتُ ،فَقَالَتْ " وكذلك في " ثُمَّ سَارَّهَا ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا "

التكرار في " تَمْشِى مِشْيَتُهَا مِشْيَةِ ،و رَحَّبَ مَرْحبًا،وسَارَّهَا بِالسِّرَارِ وسرَّهُ سَارَّنِى" وفي "فَبَكَيْتُ بُكَائِى، وضَحِكْتُ ضَحِكِى"وتكرار قولها " مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ"

ومن العوامل المقابلة بين الجملتين" فَبَكَيْتُ بُكَائِى الَّذِى رَأَيْتِ ،فَضَحِكْتُ ضحكى الَّذِى رَأَيْتِ:"

والترادف في " سَأَلْتُهَا ، لَمَا حَدَّثَتِنِى"

❧ ❧ ❧

(١) هكذا في رواية مسلم ،وأما عند البخاري بفتح الهمزة .

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز الخطاب على الجملة الخبرية المؤكدة التي أعطت فائدة الخبر حين وصفها بسيدة نساء هذه الأمة ، مؤكداً ذلك عن طريق التقرير بالاستفهام المنفي

وقد جاء الأسلوب مشرقاً واضحا لا تكلف فيه ، وكذلك كانت الألفاظ سهلة خالية من التعقيد والإبهام

وقد خلا النص من عنصري التصوير والبديع

كما جاءت المعاني إيمانية متناولة من جانب ، إذ الأمر بالتقوى والصبر من خصائص المؤمن ، كما حوت من جانب آخر عنصر التسرية والملاطفة وبسط النفس ، فما اختصاص النبي صلى الله عليه و سلم لابنته فاطمة بالإسرار إليها في مرضه وفي حضرة أزوجه إلاّ من قبيل الملاطفة والترويح وما تحين هذه المناسبة التي تجلب الألم والحزن ليكلفها بالصبر ويبشرها بهذه البشارة التي تبعث الرضا والمسرة إلا من باب الترويح والتسرية

ب- الأحاديث النبويةُ في مجالِ الأحكام الخاصة :

١٦. مشروعية رضاعة "سالم" كبيراً

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أَرَى فِى وَجْهِ أَبِى حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ - وَهُوَ حَلِيفُهُ. فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « أَرْضِعِيهِ ». قَالَتْ وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَالَ « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ ». زَادَ عَمْرٌو فِى حَدِيثِهِ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. وَفِى رِوَايَةِ ابْنِ أَبِى عُمَرَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : وسهلة بنت سهيل هي زوجة الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي ، وسالم حليف أبو حذيفة هو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِى حُذَيْفَةَ ، وَأُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » [(١)]وكان معتقاً لزوجة أبي حذيفة نفسها ، فتبناه أبو حذيفة وزوّجه من ابنةِ أخيه ،ولما أنزل الله آية التبني " ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ " وكان سالما قد أدرك ما يدرك الرجال شق ذلك على أهل هذا البيت فجاءت أم سلمه رضي الله عنها تخاطب رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الرخصة بالرضاعة في حال غير مألوفة عند "رضاع سالم خاصًا له وذلك من أجل التبني الذي أنضاف إليه ، ولا يوجد هذا في غيره "[(٢)]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : الحَليفُ: المُحالِفُ ، يقال حالَف فلان فلاناً، فهو حَليفه، وبينهما حِلْف لأنهما تَحالَفا بالإيْمانِ أن يكون أمرُهما واحداً [(٣)]

❧ ❧ ❧

---

(١)البخاري - فضائل الصحابة (٣٧٦٠)
(٢)ينظر : شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٩٧/٧)
(٣) ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة "ح.ل.ف "

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

هذا الخطاب من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الصحابية سهلة بنت سهيل رضي الله عنها محل جدل و إشكال ليس محله هذه الدراسة وكما قال العياض " إن الخلاف إنما كان أوّلا ثم انقطع "[١] أما و قد انعقد الإجماع عليه ، فسأشير هنا إلى ما يعني الباحث من سمات البيان النبوي الذي انبجست عنه معاني الخطاب .

"إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم "

الجملة مؤكدة " وأرى " يجوز أن تكون رؤية بصر ، أو ظن[٢] من تغير في وجه أبي حذيفة ،ومفعولها محذوف لبيان تعيينه تقديره نفوراً ،أو إعراضاً

" أرضعيه " أمر، خرج من معنى طلب الفعل استعلاء و إلزاما إلى معنى الإباحة والإذن ، بمعنى إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر[٣] لا وجوب القيام به ، كما في قولك :أكرم عليا أو قولك : ليحضر زيد ، بل هو أمر إباحة وإذن بالرضاعة بسبب ما ذكرت من حال زوجها وتغير وجهه[٤]

"وكيف أرضعه ؟ "

الاستفهام إنكار للكيفية و تعجب منها ، ليس فقط لأنها من باب كشف العورة المحرم شرعا ، بل لأنها تخالف ما تعارف عليه العرب في شأن الرضاعة ،والرضاعة كانت أمرا شائعا في ذلك العهد حتى إن رسول الله صلى الله عليه و سلم تعاقبت على رضاعه ثلاث من المرضعات ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب ، و آمنة بنت وهب و حليمة السعدية ، فكان وجه الإنكار منها هو كبر سنه ثم لكيفية الرضاعة .

" وهو رجل كبير " والواو حالية ، وذكر المسند إليه الضمير "هو " مبالغة في الإنكار .

" فتبسم رسول الله ﷺ "

---

(١)المفهم ، للقرطبي(٣ / ٣٤٦)

(٢) ورد " وَإِنِّى أَظُنُّ أَنَّ في نَفْسِ أَبِى حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا " مسلم ـ الرضاع [٣٦٧٤]

(٣)الإيضاح ،للخطيب القزويني (١٦٠)

(٤) وقد ورد « أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِى عَلَيْهِ وَيَذْهَبِ الَّذِى في نَفْسِ أَبِى حُذَيْفَةَ » مسلم ـ الرضاع [٣٦٧٥] لبيان تعليل الحكم .

والتبسم من الإشارات المفهمة في بيان النبوة ، وقد وعت الصحابية فيه معنىً ، قد يكون لتوهمها أنه زعم أن ترضع سالماً مباشرة ،[١] دون حائل فتبسم مما وقعت فيه من توهم فهو تبسم للإنكار وكثيرا ما تبسم رسول الله منكراً متعجبا ومن مواضع تبسمه للإنكار ،عندما جاءته سائلة تطلب الرجوع إلى زوجها بعد طلاقها منه وقد تزوجت بآخر فما أغناها " فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مما دار في خلدها ووعاه رسول الله صلى الله عليه و سلم ،وقد ظنت أنه يخفى [٢]

وقد يكون تبسمه رضاً و سروراً بما كان لها من رخصة في أمر الرضاعة، كما تبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم لمقالة عمر رضي الله عنه لابنته حفصة يصف عائشة رضي الله عنها [٣]

وقد يكون تبسمه تعجباً من أمر هذه الرخصة التي رخصها لها الله تعالى على لسان نبيه تدرجا في الحكم - وهو تحريم التبني - فإن هذه الواقعة لن يكون لها شبيه في التشريع الإسلامي فكانت الرخصة وهو مما يتعجب منه ، وكثيراً ما تبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم تعجبا من غرابه أمر كما تبسم في حديث الاستسقاء [٤] ولتبسمه صلى الله عليه و سلم مواطن يكثر الحديث عنها

"قد علمت أنه رجل كبير" والجملة إسناد خبري مؤكد بحرف تحقيق وتوقع وهو" قد" و"إن " و" البدل رجلٌ " و تكرار الجملة ،كلها وسائل للتوكيد [٥] بأن حكم مشروعية الأمر برضاعة سالم كبيراً كان حقيقة واقعة لا مراء فيها.

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

---

(١)ينظر : المفهم ، للقرطبي (٣/ ٧٩)

(٢) سيرد تفصيل ذلك في الفصل الثاني حديث "رجعة المطلقة إلى زوجها الأول "

(٣)" لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ فَتَبَسَّمَ النَّبِىُّ - ﷺ " البخاري - النكاح (٥١٩١)

(٤)" عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِىُّ - ﷺ - يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ ، فَقَامَ النَّاسُ فَصَاحُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَحَطَ الْمَطَرُ وَاحْمَرَّتِ الشَّجَرُ وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ ، فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا . فَقَالَ « اللَّهُمَّ اسْقِنَا » . مَرَّتَيْنِ ، وَايْمُ اللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً مِنْ سَحَابٍ ، فَنَشَأَتْ سَحَابَةٌ وَأَمْطَرَتْ ، وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انْصَرَفَ لَمْ تَزَلْ تُمْطِرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِى تَلِيهَا ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِىُّ - ﷺ - يَخْطُبُ صَاحُوا إِلَيْهِ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسُهَا عَنَّا . فَتَبَسَّمَ النَّبِىُّ - ﷺ - ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا » البخاري -الاستسقاء (١٠٢١)

(٥)وقد جاء فيه اختلاف لفظي « أَلَسْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ ».عند النسائي ،باب النكاح ، (٣٣٢٣) ومسند أحمد (٢٤٨٣٦) وهو استفهام تقريري

من عوامل السبك الإحالة بالضمير الظاهر والمستتر، محال إلى سالم في " وَهُوَ، أرضعيه ،و أنه " و في "إِنِّي ،أَرَى "
ومنها التكرار في " أَرْضِعيهِ ،أرْضِعْهُ " وفي " هُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ، أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ"
ومنها العطف في " فَقَالَتْ ،فَقَالَ ،وَكَيْفَ ،وَهُوَ ،فَتَبَسَّمَ ،وَقَالَ "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب المعتمد في الخطاب هو الأمر بمعنى الإباحة ، وقد جاء إجابة على شكوى السائلة
وقد شارك أسلوب الأمر الإسناد الخبري المؤكد بعدة مؤكدات لمراعاة حالة المخاطب المنكر للخبر
ويتسم الخطاب بالإيجاز مع وضوح اللفظ ودقته ، وخلوه من التكلف أو التصوير
أما المعاني فكانت متناسبة مع روح الإسلام من الحرص على الأمان النفسي والأسري فجاء الحكم من أجل مسألة التبني وما أضافته من حرج على الأسرة .

المبحث الثالث

تحديد الكليات والسمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التَكليفِ

تمهيد:

مما سبق دراسته في المبحثين السابقين توقفت على السمات الأسلوبية لخطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياقات التكليف في شانها العام وفي شأنها الخاص .
وقد اشتملت هذه السمات على مختلف المباحث البلاغية التي عني بها الدرس البلاغي العربي للأساليب.
في هذا المبحث من دراسة خطاب النبي ﷺ للمرأة وبعد استقصاء السمات البلاغية وتحليلها ، ستحاول الباحثة لمَّ ما تشابه وجمع ما تفرق من سمات وخصائص تنظمه عقدا مزهرا من نفائس البيان النبوي في خطاب المرأة
فهو أمكن في الذهن وأجدى في العرض وأيسر في الاحتذاء.

سمات الخِطابُ النَبويَ للمرأةِ في سياق التكليف

يقول الشيخ عبد القاهر "وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها "(١)

وقد اتسمت الألفاظ في الخطاب النبوي للمرأة في سياق التكليف بالعديد من السمات :

أولا :الدقة في اختيار اللفظة المفردة للدلالة على المعنى المراد

و من الألفاظ ما يكون وقعها أكثر تمكناً وملاءمة للمعنى من مرادفاتها ، كما في اختيار كلمة " ضارعة " لوصف أجسام أبناء أسماء بنت عميس ، دون جائعة أو ناحلة " وكلمة " مطبوب " بدلا من مسحور و " شكور" دون شاكر لأن لهذا الصيغة في مبنى الكلمة من المزايا ما يحتاجه السياق فهي تدل على المبالغة والكثرة في أداء الفعل وهو مما يختص به سياق التكليف لإظهار الفعل مناط التكليف وتأكيده ،كما تصلح للمذكر والمؤنث ، فيقال رجل شكور وامرأة شكور ،و"حاجاتكن" بالجمع ،وفي "ذاكر لك" اسم فاعل عدل إليه دون الفعل "سأذكر" للتأكيد ودلالة الثبوت ، ثم كلمة " اشحذيها "،و كلمة " تعدل" دون تساوي، كلمة " أجر" دون ثواب.

ثانياً: التأسي بالتعبير القرآني في اللفظة

وهو مما يلقي بظلاله على المعنى ،ويكسبه درجة في الحسن متناهية ،ومنه كذلك في هذا السياق كلمة " ضارعة "

ثالثاً: السهولة والوضوح وعدم التكلف

وهي السمة الغالبة على ما ارتكز عليه الخطاب من مفردات في هذا السياق ومن الشواهد على ذلك " عَبْدًا ، تصبيهم، المشط ، والمشاطة ، الْمُدْيَةَ ، مُبَلِّغًا "

---

(١)ينظر : دلائل الإعجاز ، عبدُ القاهر الجرجاني (٥٢)

رابعاً: العناية بإخبار المخاطبة فائدة بالخبر أو لازم الفائدة إذا كان الخبر مما يعلم:(١)

"ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب ،على استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك أو استفادته منه أنك تعلم ذلك كقولك لمن حفظ التوراة قد حفظت التوراة ويسمى هذا لازم فائدة الخبر " (٢) و الكلام المفيد يرجع كله إلى معنى الخبر على اختلاف ضروبه، يدخل في ذلك الطلب بأنواعه ، والتمني والتعجب والقسم ، وقيل النداء(٣)

ومما جاء في بيانه صلى الله عليه و سلم من إسناد مسوق لفائدة الخبر ،في خطابه للمرأة في سياق التكليف قوله صلى الله عليه و سلم " أذن لكن أن تخرجن في حاجاتكن " فالمرأة المخاطبة في هذا السياق وغيرها من النساء لم يقفن مسبقاً على فائدة الخبر، وهن في حاجة ماسة إليه ، ومنه قوله صلى الله عليه و سلم " فإن عمرة فيه تعدل حجة " فقد أفاد الخبر فائدة يجهل كنهها المخاطب ،ومنه قوله صلى الله عليه و سلم " ولك أجر" وفي حديث السحر "يا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ" وقوله " يَسَعُكِ طَوَافُكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ" وتحديد الغسل بالوتر في " اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ " وفي بيان رغبته لعائشة رضي الله عنها في " لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ " وقوله لابنته فاطمة رضي الله عنها "وَإِنِّي لاَ أَرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ " و" أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ "

ومن الطبيعي أن يكون هذا الخطاب المسوق للتكليف مما يُعنى فيه بإخبار المخاطب فائدة الخبر، وأن يخلو من لازم الفائدة إلا ماجاء عرضا في مواطن يسيرة

و من لطيف ما جاء في هذا الخطاب من ذلك ، أي انه جاء لإخبار المخاطب لازم الفائدة قوله صلى الله عليه و سلم " علمت أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ" و قولها قبل ذلك " " أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ " وهو من لازم الفائدة الذي يقتضي أن يعمل المخاطب بموجبه ،و هو أن يتم الإرضاع بصورة تتناسب مع الحال وتتفق مع التكليف، وقد اخبر العلماء أن المقصود به أن تفرغ المرأة اللبن في إناء و ترسله، دون أن يباشر الرجل الرضاعة بنفسه.

---

(١)ينظر : المطول ، للتفتازاني(١٧٩)

(٢)ينظر : مفتاح العلوم ،أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٧٢) تحقيق نعيم زرزور ،بيروت ـ لبنان ، دار الكتب العالمية ـ ط ٢ـ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

(٣) ينظر : سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ)(٣٥) بيروت ـ لبنان ،دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

خامساً: مجيء الإسناد الخبري في الخطاب النبوي للمرأة متعلقاً بفائدته الظاهرة غرضاً خارجاً عنها من أغراض الكلام :

كالتشويق في " سيدة نساء المؤمنين " و **الحثّ** في " فلك أجر" أو إفادة **الإغراء** في " إِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً " .

سادسا: مراعاة اضرب الخبر:

بتوكيد الخبر فيما إذا كانت المخاطبة مترددة في الحكم لا خالية الذهن منه ، فيكون الخبر عندها من الضرب الطلبي الذي يستحسن به التوكيد ،أو الإنكار الذي يتأكد فيه ذلك ، لا من الضرب الابتدائي الذي تكون فيه المخاطبة خالية الذهن فلا يحسن عندها توكيد الخبر ويكون التوكيد عندها مظنة في المخبر إلا أن يراد به غير الظاهر وهي نكتة في الكلام ذات خطر .

وقد جاء الخبر مؤكداً في سياق التكليف

- في الشأن العام في خطابه صلى الله عليه و سلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، في حادثة سحره صلى الله عليه و سلم ، فالمخاطبة في السياق لم تكن خالية الذهن بعد أن سبقه برواية ماكان من شأن السحر ،فجاء خطابه مؤكداً " والله لكأن ماءها نقاعة الحناء "
- وفي خطابه للمرأة مبيناً لها فضل العمرة في رمضان بقوله " إِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً " لما بدر منها من ترك الحج ،ولم يرد التوكيد ابتداءً ،بل اقتضاه السياق .

أما في خطابه في الشأن الخاص جاء التوكيد في عدة مواضع اقتضاها الحال

- خطابه للسيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة التخيير ،" إني ذاكر " و" أن لا تعجلي " و " أن الله أرسلني " ثم خطابه لابنته فاطمة رضي الله عنها " وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب"و " فإنه نعم السلف أنا"
- ثم في حادثة رضاعة الكبير جاء قوله " قد علمت أنه رجل كبير" عند تردد المخاطبة في قبول الخبر. وهكذا قد اتضح لنا من خلال الدرس البلاغي كيف أن التوكيد يندر تواجده في سياق التكليف وكيف أن وجوده في هذه المواضع كان مطابقاً للحادثة ، وكذلك مطابقاً لحالة المخاطبة .

سابعاً: مراعاة أغراض التعريف والتنكير :

ذلك أن للتعريف مواضع يحسن فيها وللتنكير مواضع فقد جاء **التعريف للتخصيص** وإظهار الحنو كما في "بني أخي "

أما عن **التنكير** يقول :الشيخ أبو موسى التنكير " معنى شامل وعميق ، صالح لأن يتولد منه معان كثيرة ، وذلك إذا أجراه في التعبير بصير بأحوال الكلمات خبير بسياسة التراكيب "(١)

ومن معاني التنكير الذي جاء في الخطاب النبوي للمرأة في هذا السياق معنى **التعظيم** كما في " عمرة " و " حجة " و" أمراً " وفي " تابت توبة " **والاستغراق و العموم في** " شهر " غير متعين وفي " لك أجر" فهو أجر غير معلوم وفي "عَبْدًا " لعموم كافة أنواع العبادة وفي "حاجات" للعموم

وجاء **للجنس** كما في " رجلان " لبيان الجنس والهيئة التي ظهر عليها الملكان

ثامناً: مراعاة التقديم والتأخير في ركني الإسناد و المتعلقات بما يوائم معاني السياق:

وقد جاء في تقدم الجار والمجرور " عليك " في " وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ " **للاختصاص**

تاسعاً: الذكر في موضع الحذف لفائدة بلاغية :

في "صُومِي عَنْهَا" و "حُجِّي عَنْهَا " الإسناد زيادة في الإيضاح والتقرير لجهل المخاطب

عاشراً: تقييد الفعل بالشرط :

في "إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي " تقييد "بإذا " و بعكس إذا التي من معانيها إثبات وقوع الفعل جاء الشرط "بإن " التي لا تقطع للفعل بالحدوث في "إن رأيتن ذلك " فتعي المخاطبة من ذلك معنى التخيير و بنفس السياق جاء قوله "إما لا، فاذهبي حتى تلدي "

الحادي عشر: مراعاة مواطن الوصل والفصل بين الجمل : (٢)

---

(١) ينظر : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد أبو موسى (٢١٤) القاهرة ـ مكتبة وهبة ، ط٨ ـ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

(٢)ينظر : أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية ، صباح عبيد دراز(٩) ط ١مطبعة الأمانة ، مصر ـ شبرا ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م

الوصل والفصل باب من بلاغة القول دقيق المسلك ،رفيع المطلب ،مدل بنفسه ،مجتبىً عند أهله ، ويكفي ما قال عنه الإمام عبد القاهر من انه باب " لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص و إلاّ قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة "[١]

"والوصل " عطف بعض الجمل على بعض والفصل : تركه"[٢]

وقد جاء في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في هذا السياق مواطن لزم فيها الوصل وأخرى لزم فيها تركه

ومن جميل مواطن الوصل ما جاء في "نعم " و " لك أجر " لاختلافهما ، ولان ترك الوصل يؤدي غير المعنى المراد .

ومنه كذلك الوصل بين الجمل في " اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر من ذلك ، فإذا فرغتن فآذنني"

وقد جاء الفصل والوصل في جملتين متتاليتين في قوله " لا .أما أنا فقد عافاني الله " ثم الوصل في " وكرهت أن أثير على الناس " الفصل في الجملة الأولى لان بينهما شبه كمال اتصال ، والوصل لاتفاقهما خبرا لفظاً ومعنى

أما الفصل فقد جاء بين جملتي الاستفهام في (مالي أرى ، تصيبهم الحاجة) وذلك لكمال اتصالهما

الثانية عشر: استخدام أساليب الإنشاء الطلبي

جاء الأمر[٣]في الخطاب النبوي للمرأة **بصيغة فعل الأمر** في "حجي ، واشترطي " لطلب الفعل ندباً ومنه "صُومِى عَنْهَا" ، و"حُجِّى عَنْهَا" ، وللإباحة في" ارقيهم " ، وجوباً في "اذهبي فأرضعيه " و"فاذهبي حتى تلدي "وقوله "اشحذيها بحجر "

---

(١)ينظر : دلائل الإعجاز ، للجرجاني (١٧٤)

(٢)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القز ويني،(١٦٥)

(٣) الأمر له صيغ اتفق العلماء على إثباتها ،وهي الفعل المضارع المقترن باللام الجازمة نحو " ليحضر زيد" وفعل الأمر نحو "أكرم عمراً "والاسم الدال على طلب الفعل نحو " رويدا بكراً " والمصدر النائب عن فعل الأمر نحو قوله تعالى : "فضرب الرقاب" ، و صيغ الأمر وضعت في الأصل لطلب القيام بالفعل استعلاء من باب الوجوب أو الندب أو الإباحة ولكنها تُحمل على غير الطلب ،يحكم ذلك سلامة الذوق وتتبع التراكيب وتهدي إليه القرائن ، ومما تحمل عليه الإباحة

كما جاء **بصيغة اسم فعل الأمر للاستعلاء** في "هلمي المدية "

النهي :[1]ومنه ما جاء في " لا تعجلي ، ولا عليك أن تستأمري أبويك "

النداء : وقد جاء لغرض واحد وهو **التنبيه** ، باستخدام أداته الأصلية " **الياء** "، موجه من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أزوجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وذلك في "يا عائشة! أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟" و "يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عبداً شكورا" و" يَا عَائِشَةُ إِنِّى ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا "و" "يا عائشة ! هلمي المدية " كما جاء النداء في هذا السياق تعظيماً ، وكان المنادى رسول الله ﷺ وذلك في قولها "يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني "

الاستفهام :

وقد جاء الاستفهام كثيراً بغرض الإنكار أو التعجب يسبق التكليف و ويهيئ له وهو ما جعله مناسباً لحال المخاطبة كما في قوله " ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة" ،" مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا " ، "أَكُنْتِ أَفَضْتِ يَوْمَ النَّحْرِ " كما جاء الاستفهام بغرض التقرير والتأكيد كما في ،"يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عبداً شكورا" " أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين "

الثالثة عشر:المراوحة بين الإيجاز والإطناب

وجملة الجواب تحذف للاختصار والإيجاز كما في قوله " نعم " جواباً للسؤال اعتمادا على فهم السائلة ، ويكون **الحذف لعدة جمل** كما في " إما لا، فاذهبي حتى تلدي "**ثقة بفهم المخاطبة** وإشفاقاً عليها .

وجاء **الإطناب في** قوله "فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِى فِيهِ " شبه الجملة " عليك" إطناب للتودد

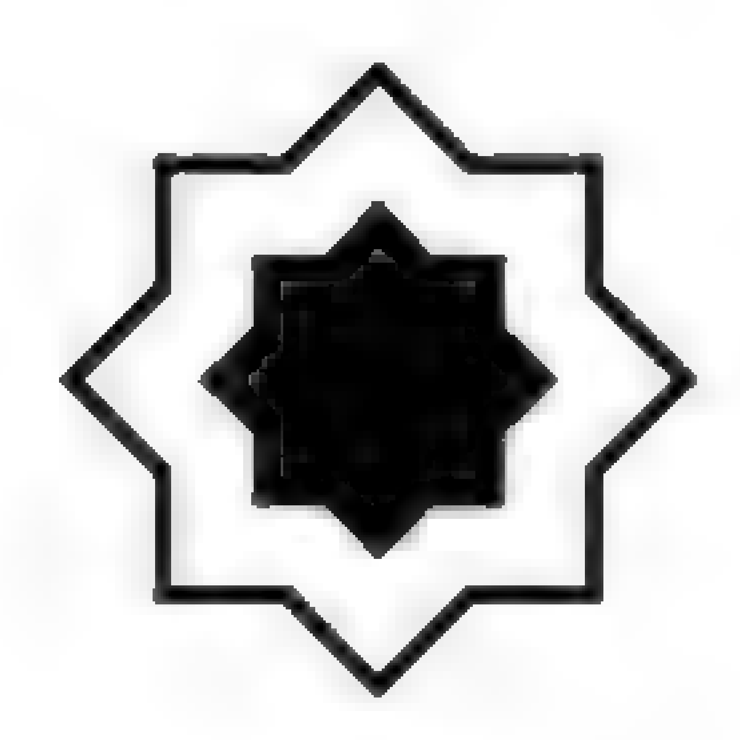
الرابعة عشر : ندرة التصوير والتمثيل والمحسنات البديعية .

ومما كشفته الدراسة أن سياق التكليف يكاد يخلو من عنصر التصوير بمختلف أنواعه وعندما جاء التصوير في قوله "يا عائشة! والله! لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين" جاء في أمر مبهم يقتضي الحال تقريبه وتوضيحه وتحويله إلى واقع الحس وحيز التصديق ألا وهو ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه و سلم من السحر.

والتسوية والتهديد والتسخير وغيرها ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٦٠-١٦٣)، وينظر : صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د. محمود توفيق (١٦)

(١)النهي كالأمر في الاستعلاء وأداته " لا" الجازمة وهو لطلب الكف أو الترك وقد يحمل على غير ذلك على حسب السياق ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٦٢)

وكما خلا سياق التكليف أو كاد من عنصر التصوير ، ندر فيه كذلك المحسنات البديعية ،فكان من ذلك في الطباق والمقابلة في خطابه للسيدة عائشة رضي الله عنها " إن الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتاً " .



الفصل الثاني

الفصل الثاني

الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التثقيف النفسي

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الخطاب النبوي للمرأة في شأنها العام ،في سياق التثقيفِ النفسيِّ

المبحث الثاني :الخطاب النبوي للمرأة في شأنها الخاص،في سياق التثقيفِ النفسيِّ

المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياقاتِ التثقيف النفسي .

المبحث الأول

الخطاب النبوي للمرأةِ في شأنها العام ،في سياق التثقيفِ النفسيِّ

أولا : مجالاتُ الخطابِ وَ ما اشْتملت عليه من الأحاديث النبويّة

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أولاً : مجالات الخطاب :

خاطب النبي ﷺ المرأة خطاباً تثقيفياً يعني بتوجيهها توجيهاً نفسياً للإقبال على الطاعة و الإعراض عن المعصية .

مفهوم التثقيف النفسي في الخطاب:

التثقيف في اللغة مصدر من الثِّقاف ،وهو في لسان العرب " حديدة تكون مع القَوَّاس والرِّمَاحِ يُقَوِّمُ بها الشيءَ الـمُعْوَجَّ ، و ثَقِفَ الشيءَ حَذَقَه و رجل ثَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يَحْويه قائماً به "(١)

فالتثقيفُ النفسيُّ ،ماتعهد النفس الإنسانية بالضبط والتعديل ، التحفيز والتهيئة "وفي حديث عائشة تَصِفُ أباها، رضي الله عنهما: وأَقامَ أَوَدَه بثِقافِه ، تريد أَنه سَوَّى عَوَج المسلمين "(٢)

وهو في الخطاب النبوي للمرأة كمٌ من الخصائص والسمات البلاغية تبلورت وتخلّقت لتكون مناطاً للتربية النفسية والشحذ والتوجيه ترغيباً في الطاعة و ترهيباً من المعصية .

بناءً على ذلك كانت مجالات التثقيف النفسي للمرأة في بيان النبوة ، تنقسم إلى قسمين :

الأول : مجال الترغيب

الثاني : مجال الترهيب

أ- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن العام في مجال الترغيب

١. عن جويرية؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها. ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة. فقال "ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟" قالت: نعم. قال النبي ﷺ "لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث

---

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة :(ث.ق.ف)

(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ث.ق.ف)

مرات. لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته".[١]

٢. عن ابْنِ أَبِى لَيْلَى أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ ما تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِى يَدِهَا وَأَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- سَبْىٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِىُّ -ﷺ- أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِىءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِىُّ -ﷺ- إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « عَلَى مَكَانِكُمَا ». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ».[٢]

٣. عن عَطَاءُ بْنُ أَبِى رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِى ابْنُ عَبَّاسٍ أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَتْ إِنِّى أُصْرَعُ وَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِى. قَالَ « إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. قَالَتْ أَصْبِرُ. قَالَتْ فَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا.[٣]

٤. عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ « مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ». قَالَتِ الْحُمَّى لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ « لاَ تَسُبِّى الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ »..[٤]

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء و التوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم [٢٧٢٦]،وسنن أبي داود باب تفريع أبواب الوتر باب التسبيح بالحصى[١٥٠٣]،مسند الحميدي [٥٠٤]النسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة في نوع أخر (بعد ذكر حديث كعب بن عجره) [٩٩١٦]

٢ في مسند أحمد[١١٤١] ،والبخاري كتاب فرض الخمس باب الدليل علي أن الخمس لنوائب رسول الله والمساكين وإيثار النبي أهل الصفة والأرامل [٣١١٣] ،ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم[٢٧٢٧]

(٣) في مسند أحمد [٣٢٤٠] مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك [٢٥٧٦] ، وأخرجه البخاري كتاب المرضي باب فضل من يصرع من الريح [٥٦٥٢] والنسائي في السنن الكبرى كتاب الطب - ثواب من يصرع[٧٤٤٨]

(٤) مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك [٢٥٧٥] ابن حبان كتاب الجنائز باب ما جاء في الصبر، ذكر كراهية سب الم الحمى لذهاب الخطايا بها [٢٩٣٨]

٥. عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك. فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه. تعلمنا مما علمك الله. قال "اجتمعن يوم كذا وكذا". فاجتمعن. فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. ثم قال "ما منكن من امرأة تقدم بين يديها، من ولدها، ثلاثة، إلا كانوا لها حجابا من النار" فقالت امرأة: واثنين. واثنين. واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ "واثنين. واثنين. واثنين".[١]

٦. عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ ».[٢]

٧. عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ وَهِىَ أُمُّ أَنَسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- الْيَتِيمَةَ فَقَالَ « آنْتِ هِيَهْ لَقَدْ كَبِرْتِ لاَ كَبِرَ سِنُّكِ ». فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِى فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ قَالَتِ الْجَارِيَةُ دَعَا عَلَىَّ نَبِىُّ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنِّى فَالآنَ لاَ يَكْبَرُ سِنِّى أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ قَرْنِى - فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ».فَقَالَتْ يَا نَبِىَّ اللهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِى قَالَ « وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ». قَالَتْ زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلاَ يَكْبَرَ قَرْنُهَا - قَالَ - فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ثُمَّ قَالَ « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِى عَلَى رَبِّى أَنِّى اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّى فَقُلْتُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِى بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وَقَالَ أبو مَعْنٍ يُتَيِّمَةٌ. بِالتَّصْغِيرِ فِى الْمَوَاضِعِ الثَّلاَثَةِ مِنَ الْحَدِيثِ.[٣]

٨. عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه. وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت. فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأطعمته. ثم جلست تفلي رأسه. فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والأداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه [٢٦٣٣] =
=أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب تعليم النبي أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برياء ولا تمثيل[٧٣١٠]
النسائي في الكبرى كتاب العلم هل يجعل العالم للنساء يوما علي حده في طلب العلم [٥٨٦٦]
ومسند احمد [١١٢٩٦] باختلاف لفظ

٢ في مسند أحمد [٢١٨٧]مسلم كتاب الحج باب صحة حج الصبي واجر من حج به [١٣٣٦] ابن ماجه كتاب المناسك باب حج الصبي [٢٩١٠]الترمذي أبواب الحح باب ما جاء في حج الصبي [٩٢٤] النسائي كتاب مناسك الحح باب الحج بالصغير[٢٦٤٥]

(٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة واجر ورحمة [٢٦٠٣] وابن حبان كتاب التاريخ باب المعجزات [٦٥١٤]

يضحك. قالت: فقلت: ما يضحكك؟ يا رسول الله! قال (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله. يركبون ثبج هذا البحر. ملوكا على الأسرة. أو مثل الملوك على الأسرة). (يشك أيهما قال) قالت فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها. ثم وضع رأسه فنام. ثم استيقظ وهو يضحك. قالت فقلت: ما يضحكك؟ يا رسول الله! قال (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله) كما قال في الأولى. قالت فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال (أنت من الأولين). فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية. فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .[١]

ب- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن العام في مجال الترهيب

٩. عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أسماء جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَتْ إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ مِنْ مَالِ زَوْجِي بِمَا لَمْ يُعْطِنِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَىْ زُورٍ »[(٢)]

١٠. عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن لي ابنة عريسا. أصابتها حصبة فتمرق شعرها. أفأصله؟ فقال(لعن الله الواصلة والمستوصلة" [(٣)]

١١. عن عَائِشَةَ قَالت دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِى بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ

---

١ البخاري كتاب الجهاد والسير باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء،[٢٧٨٨] مسلم كتاب الإمارة باب فضل الغزو في البحر[١٩١٢] الترمذي أبواب فضائل الجهاد باب ماجاء في غزو البحر[١٦٤٥] النسائي كتاب الجهاد فضل الجهاد في البحر [٣١٧١]

(٢) في مسند أحمد ٢٦٩٢١] مسلم كتاب اللباس والزينة باب النهي عن التزوير في اللباس [٢١٣٠] البخاري كتاب النكاح باب المتشبع بما لم ينل وما ينهي من افتخار الضرة[٥٢١٩] أبو داود كتاب الأدب باب في المتشبع بما لم يعط[٤٩٩٧] النسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء باب المتشبعة بغير ما أعطيت[٨٨٧١]

(٣) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة [..٢١٢٢] ،وأخرجه البخاري كتاب اللباس باب الموصولة ٥٩٤١] والترمذي والنسائي باب لعن الواصلة و المستوصلة[٥٢٥٠] ، في مسند أحمد[٢٤٨٠٤] ، وابن ماجة كتاب النكاح باب الواصلة والواشمة [١٩٨٨]

الْقِيامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ ». قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ.[١]

١٢. قَالَتْ أُمُّ سلمه لَمَّا مَاتَ أبو سلمه قُلْتُ غَرِيبٌ وَفِى أَرْضِ غُرْبَةٍ لأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ. فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدنى فاسْتَقْبَلَها رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَال « أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلى الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ ». مَرَّتَيْنِ فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ.[٢]

(١) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة باب لا تدخل الملائكة بيت فيه كلب ولا صورة[٢١٠٧] ، وأخرجه البخاري كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير [٥٩٥٤] ، النسائي كتاب الزينة ذكر اشد الناس عذابا ٥٣٥٦مسند أحمد[٢٥٨٣٩]

٢ احمد[٢٦٤٧٢] ،مسلم كتاب الجنائز باب البكاء على الميت[٩٢٢] ،ابن حبان كتاب الجنائز وما يتعلق بها فصل في النياحة ونحوها ذكر الزجر عن إسعاد المرأة الناس علي البكاء عند مصيبة[٣١٤٤]

ثانيا : التحليل البلاغي لنص الخطاب

أ- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن العام في مجال الترغيب

١. الترغيب في الذكر والتسبيح أول النهار

- عَنْ جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِىَ فِى مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِىَ جَالِسَةٌ فَقَالَ « مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِى فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ». قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : في السياق يخاطب رسول الله ﷺ أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ،وقد كان عندها ثم تركها بعد صلاة الفجر في مسجدها "موضع صلاتها "(١) في بيتها ،وما لبث أن عاد إليها وقد اضحت الشمس ومازالت أم المؤمنين رضي الله عنها في مصلاها لم تتركه إلى شأن من شؤون بيتها ، عبادةً و زهدا وتقرباً إلى الله تعالى .

المقصد الكلي في الخطاب : بيان فضل الذكر والدعاء، وقد أورده مسلم في باب التسبيح أول النهار وعند النوم(٢).

المعجمُ اللُّغويُّ: سبح : جنس من العبادة ، والسبحة الصلاة ، ويختص بذلك ماكان نفلاً غير فرض . يقول الفقهاء : يجمع المسافر بين الصلاتين ولا يسبح بينهما ، أي لا يتنفل بينهما بصلاة . ومن الباب التسبيح ، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء ، والتنزيه : التبعيد ، و العرب تقول : سبحان من كذا ، أي ما أبعده "(٣)

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ . (٦/ ٣٠١)

(٢)ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (١٧ / ٤٤) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط ٢ ، ١٣٩٢

(٣)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس مادة (س.ب.ح) (٣ / ١٢٥)

حمد : كلمة واحدة واصل واحد يدل على خلاف الذم . يقال حمدت فلاناً أحمده ، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غيرالمذمومة[1]

" والحمد لله تعالى : الثناء عليه بالفضيلة ، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول"[2]

العرش : يدل على الإرتفاع في شيئ ،[3] وفي اللسان العَرْش : سرير المِلِك والعَرْش: البيتُ، وعَرْش البيت: سقفُه ، وروي عن ابن عباس أنه قال: العَرْش مجلِس الرحمن .[4]

المداد : أصله من " مدّ ، جر شيء في طول ، واتصال شيء بشيء في استطالة ، ويقال امددت الجيش بمداد ، والمداد مايكتب به ، لأنه يمد بالماء، و المدة ، استمدادك من الدواة مدة بقلمك ،[5]

والمِدادُ: مصدر كالمَدَد. يقال: مددت الشيءَ مَدًّا ومِداداً وهو ما يكثر به ويزاد [6]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

في الخطاب نكات بديعة من بلاغة الذكر والتسبيح .

"ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟" في الخطاب استفهام منفي ، خرج إلى معنى التعجب و الإنكار و أداة الاستفهام محذوفة والتقدير " أما زلت" واستخدام أسلوب التعجب والإنكار عوضا عن النهي الجازم يعد بلاغة عالية لما يتضمنه من مطابقة للمقام المخاطبة ، فهي عازمة على العبادة في قوة وجلد ، وهو مقام لا يمكن أن يقابل بالنهي المباشر .

"لقد قلت بعدك أربع كلمات ،ثلاث مرات "

---

(١)ينظر : السابق مادة (ح.م.د) (٢/ ١٠٠)
(٢)ينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني مادة(العرش) (١/ ٣٧٥)
(٣)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ع.ر.ش) (٤/ ٢٦٤)
(٤)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ع.ر.ش)
(٥)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (م.د.د) (٥/ ٢٦٩)
(٦)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (م.د.د)

- "لقد" واقعة في جواب قسم محذوف والتقدير "والله لقد قلت " ودليل تقدير القسم وجود " اللام ، وقد" فكل جملة فعلية مثبتة فعلها ماض مسبوق بقسم كان جواب قسمها مؤكداً بـ " قد واللام "
- و" حيث جاءت قد بعد اللام فهي للتحقيق"[١]

الإسناد مؤكد بعدة مؤكدات : القسم المقدر ، وقد ، لبيان أهمية الخبر ،ودعوة إلى التمسك و الإلتزام ، ومراعاة لحالة السامعة التي هي في مقام المتردد حيث لم تكن خالية الذهن من فائدة الخبر

- تقديم الظرف " بعدك " على المفعول " أربع " و الأصل تأخره لأنه محل العناية والاهتمام ، فبه تكمل الدلالة على الزمن الذي استنفذ رسول الله ﷺ أقله بينما استنفذت أكثره رضي الله عنها للإشارة إلى ما في التكليف من يسر وسهولة .
- "أربع كلمات ،ثلاث مرات " بلاغة العدد تبعا لما يقتضيه المقام في سياقه ،ولعل من دلالات العدد هنا:

١. الكناية عن اليسر والسهولة باختياره جمع القلة "كلمات " دون جمع الكثرة "جمل".
٢. تقديم المبهم وهو العدد والمعدود مبالغة في التشويق إطناب للإيضاح بعد الإبهام .
٣. بيان أن العبرة ليست في مشقة البدن بقدر ما هي في خلوص القلب وتزكية المقاصد .

" لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن"

- قياس الكلمات بالميزان إستعارة ودقة في التصوير وبراعة في غير تكلف فهو من جانب اقتباس بالتلميح لميزان الله تعالى ، قال تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾الأنبياء٤٧ ثم هي موازنة بين متكافئين فهي في مجملها كلمات غير أن أحداها أقل في الحساب والمنطق من الأخرى ، فلا يتخيل رجحانها أو تساويها ، فهل نزن كلمات معدودات بما قد يقال في ساعات من نهار، فشبيه الكلمات بشيء يوزن وحذف المشبه به وجاء بشيء من صفاته وهو الوزن على سبيل الاستعارة المكنية.
- تقييد الفعل بالأداة " لو " التي للشرط في الماضي مع الجزم بانتفائه[٢] في زمن القول دقة متناهية يفهم منها أن الأمر ليس على الحقيقة وليس متعلقاً بميزان الله تعالى ، وإنما هو تصوير كما سبق

(١)ينظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - لابن هشام (١٩) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، دار الطلائع ، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤

(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القزويني (١٠٨)

- ثم الدقة في اختيار كلمة وزنتهن دون وازنتهن ، فالثانية تدل على المساواة والتكافؤ أما وزنتهن " أي رجحتهن في الميزان .

وذلك إما لجامعية الكلمات أو لأمر تعبدي خارج عن القياس"[1]

ويتجدد التنبيه إلى طول ما استنفذ من زمن وما يلزمه من مشقة وجهد ، جملة الظرف " منذ اليوم " كما كان في قوله " لقد قلت بعدك " ومنذ ظرف جاء على أصله الأقرب بضم الذال(٢)، يفيد تحديد الزمن بذكر أوله المتصل آخره بزمان التكلم (٣) .

ونلحظ فيما سبق مظاهر التثقيف النفسي للترغيب في التعجب والإنكار ، واستحضار العاطفة عن طريق التشويق ، ثم التهيئة اللافتة عن طريق أسلوب العرض في التشبيه والموازنة للتخيير بدلا من الأمر والتقرير ، وهو أسلوب هين لين يتفق مع التكليف والحث على الالتزام به.

"سبحان الله وبحمده "

- علق التسبيح بالاسم العلم دون غيره من أسماء الله وصفاته لمزيد التأكيد والمبالغة
- الجملتان فيها إيجاز قصر"جملة سبحان الله ": تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف به، تقول : سَبَّحْتُ الله تسبيحاً له أي نزهته تنزيهاً "(٤) وجملة "بحمده "جار و مجرور ،متعلق بمحذوف تقديره :اثني عليه بحمده ، وحمدُ الله الثناءُ عليه (٥)ابتداءً قبل الإنعام وشكراً بعده

"عدد خلقه ،ورضا نفسه ، وزنة عرشه ،ومداد كلماته "

- في التعريف بالإضافة وعود الضمير في خلقه وعرشه وكلماته نكتة بلاغية ، وهي إثبات الملكية لله جل شأنه ، وتقرير استغنائه مع حاجة المخلوق له .
- عدد خلقه ، مالا يحصيه عدد ، خلقه مما يرى ومما لا يرى ،خلقه في السماء وخلقه تحت الثرى ومابينهما مع تعاقب الأزمان إلى يوم الحساب وما بعد الحساب ، خلق لا يحصيه عدد ، رضا نفسه ،والرضا صفة توجب العطاء

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ . (٦/ ٣٠١)

(٢)لأن الأصل الأبعد في منذ هو أن تجيء بإسكان الذال فحركت لالتقاء الساكنين ينظر : الخصائص ، لابن جني (٣٤٧)

(٣)ينظر : شرح الرضي على الكافية (٣ / ٢١٢)

(٤)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (س.ب.ح)

(٥)ينظر: السابق (ح.م.د)

والرحمة والمغفرة والفضل والإنعام ، وزنة عرشه ، وهو أثقل المخلوقات إطلاقاً ، وهي صفات كمال ونعوت جلال لا نهاية لها ولا غاية.[1]

- ومداد كلماته ،قال القاضي عياض المداد في الأصل بمعنى الحبر الذي يكتب به القلم ، واستعماله هنا مجاز[2] و ـ فيما أرى والله اعلم ـ أن في كل الصور السابقة مجاز ، حيث شبه كثرة التسبيح بكثرة عدد الخلق ، ثم بكثرة رضى نفسه ، ثم بثقل زنة عرشه ، ثم بكثرة مداد الكلمات ،كما أن نسبة المداد للكلمات هو في ذاته مجاز، لذلك يقول ابن القيم :"ومداد كلماته هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده "[3].
- وفي الجمل الأربع حسن تقسيم، تتدرج فيه العظمة والجلال تصاعداً ، فمن عظيم لا حصر له إلى أعظم و أعظم ، ترتيباً روعي فيه التقديم لما هو أولى بالمعنى، وهو من البراعة في تقديم الأشرف فالاشرف كما ذكر صاحب الطراز [4]
- التناسب بين " ماقلت" و" كلمات "
- كما نجد توازن العبارات ،مع حلاوة السجع دونما تكلف أو إقحام.

❧ ❧ ❧

عوامل الانسجام والتماسك النصي : من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " فارقتك ،قلتُ " و في "ما زلتِ ، بعدك ، قلتِ" وكذلك في "حمده ، خلقه ، عرشه نفسه ، كلماته"

والإحالة بالموصولية في " الَّتِي فَارَقْتُكِ "

ومنها العطف الواو في " "سبحان الله وبحمده ،عدد خلقه ،ورضا نفسه ، وزنة عرشه ،ومداد كلماته "

والتوكيد في " لَقَدْ ، لَوَزَنَتْهُنَّ"

وجاء التكرار في " وُزِنَتْ ، لَوَزَنَتْهُنَّ، وَزِنَةَ "

---

(١)ينظر: المنار المنيف في الصحيح و الضعيف ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (توفي ٦٩١هـ) (١٧) تحقيق يحي بن عبد الله الثمالي ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد ، ط١، ١٤٢٨هـ

(٢)ينظر : تكمله الفتح ،محمد تقي (٥/ ٣٠١)و المنهاج ،للنووي (١٧/ ٤٤) ينظر : الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ،عبد الرحمن السيوطي (٦/ ٧٤)،تحقيق: أبو إسحاق الحويني ، الخبر، دار ابن عفان - ط١ ـ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

(٣)ينظر : المنار المنيف في الصحيح و الضعيف ، ابن القيم الجوزية (١٩)

(٤)ينظر : الطراز ، لحمزة بن يحيى بن علي العلوي (٥٨/٢) تحقيق عبد الحميد هنداوي ، بيروت ،طبعة المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٣

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز الخطاب على التصوير في الاستعارة المكنية " وزنت ، وزنتهن " من أبرز عناصر التثقيف النفسي يسانده العديد من الأساليب البلاغية كأسلوب الاستفهام التعجبي ،الذي هيأ لقبول الخطاب ومهد له ، ثم جاء الإسناد المؤكد لبيان أهمية الخبر، ومراعاة حال المخاطبة ، ولغرض التشويق وزيادة في الترغيب، حثاً على القيام بالتكليف استخدم جمع القلة في " كلمات " والإطناب للإيضاح بعد الإبهام مما يساهم في إذكاء التشويق

وقد اجتمعت في جملة الدعاء أهم سمات البيان الخالد ، حتى أصبح هذا الدعاء حاضراً في الذهن متمكناً في النفس فقد اشتمل على المجاز والتمثيل وامتاز بتوازن في العبارات ، ودقة في اختيار اللفظة مع السجع غير المتكلف

كما خلت الألفاظ من الغموض والتعقيد ، وجاءت المعاني قريبة متناولة تلبي حاجة المرأة المسلمة ـ والمسلمين عموماً ـ إلى استهلال يومهم بالذكر والتسبيح والتعبد في يسر وسهولة لماله من نفع وخير يعم الحياة بأسرها.

٢.الترغيب في الذكرعوضاً عن الخادم

عن ابْنِ أَبِى لَيْلَى أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِى يَدِهَا وَأُتِىَ النَّبِىُّ -ﷺ- سَبْىٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِىُّ -ﷺ- أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِىءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِىُّ -ﷺ- إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « عَلَى مَكَانِكُمَا ». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِى ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : هو خطاب لسيدة نساء الجنة ، فاطمة بنت محمد رضي الله عنها وأرضاها ،التي وصف زوجها علي كرم الله وجهه حالها في بيتها فقال " إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَّرَ فِى يَدِهَا وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِى نَحْرِهَا وَكَنَسَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا "[1] فجاءت تطلب النجدة والعون من رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ما بلغها أنه جاءه رقيق من السبي فامتنع عنها امتناع محب .

دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على ابنته فاطمة ليلاً وزوجها علي رضي الله عنه بجوارها وقد اتخذا مكانهما للنوم ،فشرع يعلمهما كيف يواجها مشقة العمل بخير مما طلبا.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : حث من كان بها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز أو طحن أو غير ذلك ، على تولي ذلك بمعونة زوجها ، وأن ذلك لا يلزم الزوج إذا كان معروفا أن مثلها يلي ذلك بنفسه [2] والترغيب في التعلق بالذكر والتسبيح والدعاء وبيان أنهما أفضل من الخادم ، وقد أراد أن يصرف ابنته رضي الله عنها مما هو أدنى إلى ماهو خير

❧ ❧ ❧

(١)سنن أبي داود [٢٩٨٨]

(٢)ينظر : عمدة القاري ، للعيني (٣٠١/٣٠)

المعجمُ اللُّغويُّ: "خدم : الخَدَم: الخُدَّمُ. والخادِمُ : واحدُ الخَدَمِ، غلاماً كان أو جارية ؛ وتَخَدَّمْتُ خادِماً أي اتخذت"[١]

و الخاء والدال والميم أصلٌ واحدٌ منقاس، وهو إطاقة الشَّيء بالشيء. فالخَدَم الخلاخيل، الواحد خَدَمة.

والخَدْماء: الشَّاةُ تبيضُ أوظِفَتُها. والمُخَدَّم: موضع الْخِدام من السَّاق. وفرسٌ مخدَّم، إذا كان تحجيلُه مستديراً فوق أشاعِرِه. قال الخليل: الخَدَمةُ سيْرٌ محْكم مثل الحَلقة، تُشَدُّ في رُسْغ البعير ثم تشدُّ إليه سَرِيحة النَّعْل.

قال: وسمِّي الخلخال خَدَمَةً بذلك. والوَعِل الأرَحُ المُخَدَّم: الواسع الأظلاف الذي أحاط البياضُ بأوظِفته.

ومن هذا الباب الخِدْمة. ومنه اشتقاق [الخادم]؛ لأنَّ الخادمَ يُطيف بمخدومه كالخلخال[٢]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" عَلَى مَكَانِكُمَا " أي :اثبتا ولا تبرحاه و"مكانكما" اسم فعل أمر يفيد المبالغة والتوكيد فقولنا "مكانك، أبلغ من إثبت مكانك ،وعليك نفسك أبلغ من إلزم عليك نفسك ، لما فيه من الاختصار والسرعة [٣]فأصبح والأمر باستخدام هذه الصيغة واجباً .

ولما كان من صنيع فاطمة رضي الله عنها إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم أن تسير في لقائه[٤] عدل إلى هذه الصيغة من صيغ الأمر ، في سرعة وعزم جلي ، إكراما لها ورحمة بها ، و تأكيداً على ما يتسم به الموقف من ملامح تربوية في أدب النبوة ، في تعامل الأباء مع أبنائهم والشفقة والرفق بالصغير منهم .

"فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي "، السياق هنا إضافة إلى كونه يجسد صورة من صور الحنو الأبوي و الاحتواء الروحي ، فهو أيضاً يعد نوعاً من الإشارة

---

(١) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (خ.د.م)

(٢) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس مادة (خ . د. م)

(٣) أسماء الأفعال هي "أسماءٌ وضعت للفعل تدل عليه، فأجريت مجراه ما كانت في مواضعها " ينظر : المقتضب ، للمبرد (١٧٩)

(٤)في حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عن فاطمةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-. "كانتْ إذَا دَخلتْ علَى النَّبيِّ -ﷺ- قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا في مَجْلِسِهِ وَكَانَ النَّبيُّ -ﷺ- إذَا دَخلَ علَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وأَجْلَسَتْهُ في مجْلِسِهَا " روه الترمذي ،كتاب المناقب [٣٤٨٧٢]

المفهمة [١] والتهيئة اللافتة دليلاً على اكتمال آلة بيانه صلى الله عليه و سلم ،إذ بعد التقاء الأرواح واتصال القلوب ، يغدو الحديث نافذاً ،والرسالة متمكنة ،كيف وقد تضعضعت أمامها كل العوائق والحجب. وما أبلغ حاجتنا اليوم في حوار الأبناء لأنموذج كهذا بلغ الغاية القصوى في الكمال والرفعة .

" أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا "

- الأداة "ألا " أداة عرض [٢] للترغيب، وتوجيه الخطاب للمثنى بإضافة ضمير التثنية للإشراك في الحكم دعوة إلى التعاون بين الزوجين
- وصف الأمر بالخيرية مبالغة في الترغيب والتشويق
- الإبهام والتنكير في كلمة "خير" للتعظيم خير مطلق ،فإذا قال قائل من أين يأتي الخير ،في مقابل هذا المطلوب وهو الاستخدام " أجيب لعل الله تعالى يعطي للمسبح قوة يقدر بها على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه أو يسهل الأمور عليه بحيث يكون فعل ذلك بنفسه أسهل عليه من أمر الخادم بذلك أو أن معناه أن نفع التسبيح في الآخرة ونفع الخادم في الدنيا والآخرة خير وأبقى "[٣]
- الجملة كلها " أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا " إطناب ،فلم يأمر بالتسبيح مباشرة بل رغب فيه وشوق إليه وهو ضرب من الإبهام ليكون الإيضاح بعده متمكناً في النفس فضل التمكن بعد أن أخذ موضعه اللائق من التعظيم والتفخيم وهو في علم البلاغة من باب الإيضاح بعد الإبهام[٤]

" إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا "

- إذا الشرطية التي من معانيها إثبات وقوع الفعل[٥]بعكس إن التي لا تقطع للفعل بالحدوث.
- "أخذتما مضاجعكما " كناية عن الإستعداد والتهيؤ للاضجاع ولو كانت الجملة " إذا اضجعتما " فمتى سيكون الذكر وكيف سيتم التكليف إذن

---

(١)من الخصائص البلاغية للبيان النبوي ،ذكر د.الحمزاوي الإشارة المفهمة الموضحة كطريقة من طرق الأداء ينظر : الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، محمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي (٧٢) الرياض ، مكتبة الرشد ـ ط١ ـ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧

(٢)"العرض : تعرض عليه الشيء فينظر فيه " ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (٣٨١)

(٣)ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، (٣٠/٣٠٠)

(٤)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القزويني (٢١٣)

(٥)ينظر : السابق(١٠٢)

"أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ "

والتكبير ملازم لكثير من العبادات واقتران التكبير بالتحميد والتسبيح مضطرد ،ولكن ما سر تقدمه على التسبيح والتحميد في هذا الموضع(١)أي عند الحاجة لخادم و قبل النوم ، لعل ذلك لأن التكبير يشرع عند الذكر في الارتفاع (٢)، والإرتفاع مشقة وعسر فظاهر أن فيه من معاني التعظيم والإجلال ما فيه ، وأن تقديمه عند الحاجة لخادم إعلان لضعف المخلوق يتناسب مع حاجته للعون والمدد والله أعلم

" فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ "

- "هو " وضع المضمر موضع المظهر ، ليتمكن في الذهن حق تمكن ،لان السامع إذا لم يفهم من الضمير ماكان ينتظره من معنى ظل منتظرا لما يعقبه ، فإذا جاء تمكن في ذهنه فضل تمكن[3]
- تكرار الجملة بذكرها في موضع الحذف ، إطناب يفيد التأكيد والتقرير
- تقديم شبه الجملة "لكما " مزيد العناية بهما ،فإذا كانت فضل هذه الكلمات عام للمسلمين ، هنا تكمن مزيد خصوصية وعناية ،وهو من مسوغات التقديم يقول الإمام القز ويني " أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك والتفات خاطرك إليه في التزايد " (٤).

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر: إلى المثنى باستخدام ضمير التثنية في " مَكَانِكُمَا ، أَعَلِّمُكُمَا ، سَأَلْتُمَا أَخَذْتُمَا ،مَضَاجِعَكُمَا ،لَكُمَا " ثم الضمير " فهو" أي الذكر

والإحالة بالموصولية في " مَا تَلْقَى ، ما سَأَلْتُمَا "

والربط بالعطف في " وَأَتَى ، فَانْطَلَقَتْ ،فَلَمْ ،ولَقِيَتْ ،فَأَخْبَرَتْهَا ،فَلَمَّا جاء ،فَجَاءَ ،وَقَدْ أَخَذْنَا ،ذَهَبْنَا ،فَقَالَ ،فَقَعَدَ ،ثُمَّ قَالَ "

ثم التكرار في " خيرٌ، خيراً " وفي " جَاءَ النَّبِيُّ، بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ "

---

(١)هناك روايات فيها اختلاف نظمي حيث تأخر فيها التكبير ،جاء في مسند أحمد " إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَاحمدا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وكبِّرَا أَرْبَعاً وثَلاَثِين ».ومن الملاحظ تقدم التسبيح وتأخر التكبير في مختلف أنواع الذكر.بينما جاء التكبير كذلك متأخرا في رواية البخاري ـ الدعوات [٦٣١٨]

(٢) في سنن أبي داود[٩٠٦] كانوا " إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا فَوُضِعَتِ الصَّلاَةُ عَلَى ذَلِكَ."

٣ ينظر : الإيضاح ، للقزويني (٨١)

(٤)ينظر : السابق (١٣٠)

ثم التوكيد في " وَقَدْ أَخَذْنَا ، أَنْ تُكَبِّرَا"
الربط بالشرط ، ودلالة أسلوب الشرط في التماسك النصي يظهر في عده أمور منها : إحداث علاقة بين السبب والمسبب وهي القائمة بين الشرط وجزائه ،والتلازم الذي يحدث بين تركيبين إسناديين لكل منهما مقوماته ودلالته كما في "إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا الله "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البلاغي للخطاب هو أسلوب العرض للترغيب وقد هيأ له السياق المقامي للخطاب
ثم توالت أساليب الحث والترغيب فجاء الإبهام والتنكير ثم التقديم ، والتكرار للتأكيد
وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والوضوح والبعد عن الغموض وكذلك خلا الخطاب من التصوير والمحسنات البديعية
ومعاني هذا الخطاب تلامس واقع المرأة المسلمة وإرشادها في تيسير ما تعانيه من مشقه في خدمة البيت ، ثم علاقة الأب بابنته ورحمته بها وحرصه على ماينفعها .وحثها على الذكر والتقرب لله تعالى الذي يستمد منه العون في كل الأمور ، وهو ما يربط معاني هذا الخطاب بما سبق في خطابه السابق .

٣.الترغيب في الصبر على مرض الصرع

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِى رَبَاحٍ قَالَ قَالَ لِى ابْنُ عَبَّاسٍ أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَتْ إِنِّى أُصْرَعُ وَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِى. قَالَ « إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. قَالَتْ أَصْبِرُ. قَالَتْ فَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : جاءت هذه المرأة على صفتها التي نص عليها السياق من كونها سوداء البشرة ، فبشرها رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة ،وهي ماشطة السيدة خديجة رضي الله عنها ، حبشية صفراء عظيمة اسمها سعيرة الأزدية وتكنى بأم زفر[١]،وقد كانت تصرع ، فسألت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يدعو لها بالشفاء ليُرفع عنها شيئاً من البلاء فحثها على الصبر ورغبها في احتساب الأجر.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : فيه فضل من يصرع ، وأن الصبرعلى بلايا الدنيا يورث الجنة وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة [٢].

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: "الصرع أصل واحد يدل على سقوط شيء إلى الأرض ، ومنه صرعت الرجل وصارعته ورجل صريع ."[٣]

الصبر أصل من الحبس[٤]ومنه : نَصْبُ الإنسان للقَتْل، فهو مَصْبُور. والصَّبْرُ : الإكراه. يقال: صَبَرَ الحاكم فُلاناً على يَمين أي أكرهه.

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقي . ((١٩٢)

(٢)ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر الشافعي العسقلاني (١٠/ ١١٥) بيروت ، دار المعرفة ـ ط٢ ـ ١٣٧٩ وعمدة القاري ،لبدر الدين العيني (٣١/٢٥٤)

(٣)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس مادة (٣/ ٤٠٩)

(٤)ينظر : السابق مادة (٣/ ٣٢٩)

والصَّبْرُ: نقيض الجَزَع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فهو صابِرٌ حَبْس النفس عند الجزَع، ومن الصَّبْرُ: الجَراءة؛ وعليه قوله عز وجلّ: "فما أَصْبَرَهُمْ على النار"؛ أَي ما أَجْرأَهُم على أعمال أهل النار.

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ "

- جاء الخطاب جملة خبرية قيدت بالشرط [١] بالأداة "إن" خاصة التي لا يجزم للفعل بالوقوع بعدها[٢] مما يترك للمخاطب حيزاً من التفكر والاختيار، وترغيباً في المحاولة ولو أن التعبير كان "إذا شئت "لأوحى للمخاطب بالإعراض والاستحالة .
- حذف المفعول به في فعل المشيئة لدلالة جواب الشرط عليه[٣] والتقدير "أن شئت أن تصبري صبرت" ولذلك فائدة بلاغية وهي مجيء البيان بعد الإبهام[٤] فيكون أكثر وقعاً وأبلغ أثراً في النفس ،وحذف مفعول المشيئة مطرد ولا يذكر إلا في غريب عجيب ([٥])، أما وقد حذف في السياق فدل ذلك أن أمر الصبر ممكن مقدور عليه
- اقتران التكليف بالمشيئة إثبات للأهلية والقدرة ، وله دلالات ،فهو من جهة احترام للمرأة ، ومن جهة أخرى بيان القدرة والاستطاعة فلا يكلف أو يخير عاجز.

"وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ "

- قدم في التخيير والشرط ذكر الجنة على طلب العافية للتشويق وجذب الانتباه
- الوصل بين الجملتين " بالواو "ضرورة بلاغية تبين مابين الجملتين من تساوي واتفاق ،خبراً وانشاءً لفظاً ومعنى

---

(١)التقييد بالشرط ، المطول ، التفتازاني (٣١٦)
(٢)" وعدم الجزم لا يعني الشك "بل عدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها من عدمه " ينظر : شرح الرضي لكافية ابن حاجب ، محمد بن الحسن الإستراباذي السمناني النجفي الرضي (٢/ ٩٠٤) تحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ،الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،ط١ ـ ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ، و الإيضاح ، للخطيب القزويني (١٠٢)
(٣) مختصر المعاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(١٠٨) دار الفكر ـ ط١ـ
(٤)السابق نفسه
(٥) يقول عبد القاهر عن ذكر مفعول فعل المشيئة "وإذا استقريت وجدت الأمر كذلك أبدا متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر " ينظر : دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني (١٢٧)

وبكل هذا البيان النبوي وعت المرأة المسلمة المخاطبة ، في أحلك مواقفها مضمون الخطاب.

"قَالَتْ :أَصْبِر "اختارت الصبر والجنة في تسليم تام

"قالت :فَإِنِّى أَتَكَشَّفُ" صيغة "تَفَعَّل" في تكشّف من الثلاثي المزيد لها مدلولات عديدة منها المطاوعة و التكرار والصيرورة ،[١]وهي هنا شملت كل مدلولاتها ، المطاوعة لان ذلك حادث دون وعي منها فسيطاوع الجسد بعضه بعضاً ،و التكرار فلا عدد يحصر لما قد يحصل ، ثم الصيرورة في التحول من التستر إلى التكشف ،ويضاف على ذلك دلالتها على التدرج في الأمر ثم التكلف و بذل الجهد في زمن طويل ووقت مبالغ فيه[٢]

إنها معركة لن ترضي كائناً من كان طبعا وشرعا .

ولنا في ذلك بليغ أسوة فقد اشغلها أمر التكشف ، وهذا هو حال من تغلغل الإيمان في قلبها

" فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ "الفاء للتعقيب والعزم والإلحاح على طلب الفعل دون تردد. وبين" أَتَكَشَّفُ ، لاَ أَتَكَشَّفَ " طباق

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر إلى المخاطبة في " شِئْتِ ، صَبَرْتِ ، وَلَكِ ، يُعَافِيَكِ فَإِنِّى" وإلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في" دَعَوْتُ ، فَادْعُ "

والإحالة بالإشارة في " هَذِهِ الْمَرْأَةُ"

والعطف في " وَإِنِّى ،فَادْعُ ،وَلَكِ ،وَإِنْ ،فَإِنِّى ،فَادْعُ ،فَدَعَا "

ثم الربط بالطباق في "إِنِّى أَتَكَشَّفُ ، لاَ أَتَكَشَّفَ"

والتوكيد في " إِنِّى أُصْرَعُ، إِنِّى أَتَكَشَّفُ، أَنْ يُعَافِيَكِ"

والتكرار في " فَادْعُ اللهَ لِى ،دَعَوْتُ اللهَ أَنْ ،فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ " والتكرار في " إِنْ شِئْتِ، وَإِنْ شِئْتِ" وفي " صَبَرْتِ ،أَصْبِرُ " وفي " أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَلَكِ الْجَنَّةُ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١) مثال الأول كما في جمَّعته، فتجمع ، والثاني كما في تجرع الدواء جرعة جرعة ، والثالث كما في تزبَّب العنب ، شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل (٢٦٤/٤) ،وينظر : الكتاب ، لسيبويه (٣٤٩/١)

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القراني ، فاضل صالح السامراني (٣٨)القاهرة ، شركة العاتك ـ ط٢ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

المرتكز البلاغي في الخطاب هو أسلوب الشرط الذي اتضح أثره فيما سبق ، بدءاً بالأداة ثم فعل المشيئة ، وحذف المفعول ،واقتران التكليف في عمومه بالشرط ، كلها وسائل ساعدت من بلوغ التثقيف النفسي للترغيب في الصبر ما بلغه في نفس المخاطبة

كما أن الألفاظ جاءت غاية في الوضوح والسهولة ، وكان الخطاب في هذا السياق غنيا عن التصوير والتلوين والزخرف

أما المعاني فهي معانٍ إسلامية واقعية ترغب المسلمة في الصبر واحتساب الأجر ، مع التزام الستر والعفاف طلباً لسلعة الله تعالى، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة .

٤.الترغيب في الصبر على الحمى

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- دخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ « مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ». قَالَتِ الْحُمَّى لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ « لاَ تَسُبِّى الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : هذه أم السائب ، امرأة من نساء الأنصار دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم يعودها في مرضها ويسري عنها بعض ما تجد .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : الترغيب في الصبر والنهي عن سب الحمى والمرض .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : تزفزف من الزَّفيف : سُرْعةُ المشي مع تقارب خَطْو وسكون، وقيل: هو أَوّل عَدْو النعام ، وزَفْزَفتِ الرِّيحُ الحَشِيشَ حَرَّكَته [١]

والحُمَّى والحُمَّةُ: علة يسْتَحِرُ بها الجسمُ ، من الحَميم ، وحُمَّ الرجلُ: أَصابه ذلك، [٢]

والكِيرُ: كِيرُ الحدّاد، وهو زِقّ أَو جلد غليظ ذو حافاتٍ ، وأَما المبني من الطين فهو الكُورُ. والكِير الزِّقّ الذي يَنْفُخ فيه الحدّاد [٣]

أَصلُ الخُبْثِ في كلام العرب : المكروه؛ فإِن كان من الكلام، فهو الشَّتْم، وإِن كان من المِلَل، فهو الكُفْر، وإِن كان من الطعام، فهو الحرام ؛ ومنه قيل لما يُرْمَى من مَنْفِيِّ الحديد: الخَبَث [٤]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)ينظر : لسان العرب ، مادة (ز.ف.ف)
(٢)ينظر : السابق مادة (ح.م.م)
(٣)ينظر : السابق مادة (ك.ي.ر)
(٤)ينظر : السابق مادة (خ.ب.ث)

"مالك ؟ يا أم السائب تزفزفين؟"

- الاستفهام بـ "ما " عن صفة ما يعقل
- "تزفزفين" وهي في الألفاظ لفظة تفرد بها هذا الخطاب في البيان النبوي وهي لفظة تنبئ أصوات حروفها عن مدلولها واستخدامها في هذا الموضع من

الصناعة اللفظية المؤاتية في البيان النبوي التي تجد للفظة فيها دلالة صوتية تستمد نغمها وجرسها من طبيعة الأصوات .

فلو أن أعجميا سمع هذه اللفظة لظن أن هناك شي تتكرر حركته من شدة البرد وفيه مبالغة في الوصف ، والاستفهام هنا تسرية للشاكي وتخفيفا لوطأة معاناته عند عيادته ومؤانسته ، وليس من باب الزجر و التوبيخ ، فالسياق يأباه ، وهو كان تجد طفلا يكثر الحركة بسبب بعوضة فتقول له مالك تطير فيتند ويهدأ وقد يبسم ساخرا من نفسه .

الحمى. لا بارك الله فيها."

كان الجواب جملتين الأولى خبرية لازمة السؤال و الأخرى إنشائية دعائية رغم أنها تبدو تذيل لا حاجة له في السياق إلا أن هذه الجملة الدعائية التي تفوهت بها المرأة كان لازمها ما وعته المخاطبة من المبالغة في وصف ارتعادها بالزفيف ، فكانت بعد ذلك مسوغا لما نتج عنها من بيان نبوي خالد وإعجاز علمي فريد

"لا تسبي الحمى "

لا ناهية ، وهل ما جاءت به في حديثها سبابٌ أو أنه من باب الدعاء غير أن تسمية الدعاء سباباً فيه مجاز(1)علاقته السببية لأن الجامع بينهما،"أن السباب والدعاء يشتركان في كونهما يصدران عن تضجرٍ وقلة في الصبر"(2)

"فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد"

- تشبيه تمثيل في تشبيه الحمى بالكير وهو زِقّ أو جلد غليظ ذو حافاتٍ ينْفُخ به الحدّاد، ليميز بلفحاته جيد الحديد من خبيثة بعد انصهار بالحرارة ،" أي صفاه تألمه بمرضه من ذنوبه كتصفية الكير للحديد من الخبث" (3)

---

(1) والعرب تسمي الدعاء سباباً يقول الزمخشري" من المجاز خيل مسببة يقال لها قاتلها الله تعالى و أخزاها "ينظر : أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (1/ 432) تحقيق. محمد باسل عيون السود ، دار الكتب المصرية ، القاهرة.

(2)ينظر : الملهم (2 / 192)

(3)ينظر: فيض القدير ، للمناوي (1/365)

والتشبيه بالكير "مبالغة في وصف حرارة الحمى "(١)"وتشبيه الخطايا بالخبث للتكثير"غير أن تقييد الكير بإزالة الخبث من الحديد والحمى بإزالة الخطايا به من الجمال وروعة التصوير الشيء الكثير ،فقد شبه طرفان مقيدان بطرفين مقيدين آخرين(٢)زيادة في تقرير الصورة من جانبيها وتمكينها في الذهن ، فالكير أو زق الحداد ينفخ في الحديد فيزيل مكروهه وسيئة ، وكذلك تفعل الحمى في الإنسان ،في تخفيف ذنوبه رويدا رويداً وإزالة خطاياه .

- العدول إلى الجمع في"خطايا "و "بني أدم "للعموم
- مراعاة التنكير في "خطايا و خبث " للتكثير وما أكثر الخطايا والآثام
- الدقة في اختيار الألفاظ في "خطايا" لأن الخطايا من الخطيئة ، والخطيئة تغلب على ما يقصد بالعرض ، كما أن الخطيئة ما كان بين المرء و ربه، أما السيئة فما كان بينه وبين العباد ،و الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الإثم إلا تعمدا[٣]،قال تعالى﴿ لَيْس عليْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطأتُم بِهِ﴾ [الأحزاب ٥]وجاء في فيض القدير"أي الصغائر"(٤)

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في " مالك ، تسبي ، تزفزفين " في خطاب أم السائب ، ثم في " فيها ، فإنها " للحمى
ومنها الربط بين السؤال والجواب في "مَا لَكِ مَا لَكِ ،قَالَتِ الْحُمَّى"

وكذلك الربط بين ركني التشبيه "الْحُمَّى ... تُذْهِبُ خطَايَا بَنِى آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١)ينظر : المجازات النبوية ، للرضي (٢٤٠)
(٢)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القزويني (٢٦٤)
٣) ينظر : الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، الفرق بين الخطأ والذنب (٨٥٨)، والخطيئة والإثم(٨٦٣)
٤) ينظر : فيض القدير ، للمناوي (٣٦٥/١)

الأسلوب العمدة هو التشبيه التمثيلي الذي به اتضحت وجاهة النهي عن سب الحمى ، فكأنه يذكر من حسنات الحمى ، وما تأتي به من نفع وخير ما يشفع لها ، ويرغب في تحمل أذاها ، وأن نفعها ممتد متصل ، ثم هي دعوة إلى الصبر وترغيب في عاقبته وأمر المؤمن كله له خير .

وقد جاء التشبيه بياناً للنهي ، ثم الفصل بين الجملتين لأن جملة التشبيه ماهي إلا بيانٌ وإيضاح لما حوته الجملة الأولى من نهي وهو تثقيف نفسي بعدي يحث على تقبل الحكم ويرغب في امتثاله .

وقد جاءت ألفاظ الحديث تتسم بالجزالة والوضوح وقد استظلت بشيء من البيان القرآني كما في التعبير بكلمة " تزفزفين " من قوله تعالى { فأقبلوا إليه يزفّون}[الصافات٩٤

ومعاني الحديث قريبة واقعية فالمرأة التي تكثر اللعن والسباب ،مع عدم الصبرعن الألم والمرض في حاجة ماسة إلى النهي عن ذلك والترغيب فيما هو خير لها مما تفعل . وهذا هو الخطاب الثالث الذي تدور معانيه حول الصبر وبيان أهميته وما له من أجر ومثوبة عند الله تعالى .

٥ـ الترغيب في الاحتساب لمن مات لها ولد

عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك. فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه. تعلمنا مما علمك الله. قال "اجتمعن يوم كذا وكذا". فاجتمعن. فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. ثم قال "ما منكن من امرأة تقدم بين يديها، من ولدها، ثلاثة، إلا كانوا لها حجابا من النار" فقالت امرأة: واثنين. واثنين. واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ "واثنين. واثنين. واثنين".

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : أرادت النساء أن تلحق بالرجال في مضمار العلم والتفقه في أمور الدين فطلبن ذلك من رسول صلى الله عليه و سلم فكان اللقاء العلمي الخاص بالمرأة كما طلبت بتقديم "لنا" في جملة " فاجعل لنا من نفسك "دون أن يشركهن فيه احد من الرجال ، فوصاهن ووعظهن ،وكان من جملة وصاياه لهن لزوم الصبر عن فقد الوليد ثم كانت البشرى التي تدافعت إليها النساء طمعا فيما عند الله ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله هي الجنة

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : هذا النص في بيان " تعليم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ[1] و" فضل من مات له ولد واحتسب "[2]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : حجب: الحِجابُ: السِّتْرُ . وحِجابُ الجَوْفِ : ما يَحْجُبُ بين الفؤاد وسائره والحِجابُ: لحْمةٌ رَقِيقةٌ كأَنها جِلْدةٌ قد اعْتَرَضَتْ مُسْتَبْطِنةً بين الجَنْبين، تَحُولُ بين السَّحْرِ والقَصَبِ . وحَجَبَ الشيءَ يَحْجُبُه حَجْباً وحِجاباً وحَجَّبَه: سَتَرَه. وقد احْتَجَبَ وتَحَجَّبَ إذا اكْتَنَّ من وراءِ حِجابٍ. وامرأَة مَحْجُوبةٌ: قد سُتِرَتْ بِسِتْرٍ."[3]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال (١٠/ ٣٥٧)
(٢) ينظر: السابق (٣/ ٣٤٥)
(٣) ينظر: لسان العرب مادة (ح.ج.ب)

"ما منكن من امرأة " القصر بما وإلا يفيد التخصيص فالأصل في القصر الحبس وهو من قصر الموصوف على الصفة قصر حقيقي و القصر "بما، وإلا " من طرق القصر التي درج استعمالها في البيان النبوي لنكات منها (1)

- اعتباره من أقوى طرق القصر التي تتناسب مع مقام الشك أو التردد
- لفائدة التقرير والتوكيد والإثبات .

ومن تكون للتبعيض وتكون للجنس وتكون زائدة وهي في الموضعين " منكن " وفي "من امرأة " للجنس أي من جنس النساء فخطاب النبي صلى الله عليه و سلم خاص بهن وهو أجلال و أيما إجلال وتكريم و أيما تكريم والتنكير في "امرأة " للإفراد وبيان للعناية تقدم بين يديها " تقدمه محمولا بين يديها إلى مثواه وقد وافاه الأجل والتقديم كناية عن الرضا بالقضاء والقدر احتسابا للأجر ، يقول الدكتور إبراهيم الجعلى" التعبير "بتقدم" على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه الفقد بالتقديم " (2)ولا يوجد وجه شبه بين الفقد والتقديم فلا يكون مجازاً لأن التقديم بمعنى العطاء حاصل من الأم أو من ينوب عنها ، فلا قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، لذا ترجح الباحثة أن في قوله " تقدم بين يديها "أسلوب كناية عن الرضا والقبول والاستسلام التام بعد الفقد ، إذ ليس مجرد الفقد هو ما يؤهلها لذلك الثواب العظيم ، ولكن ذلك بتحقيق معنى الصبر والاحتساب المأمورة به لذلك كانت الكناية هنا ابلغ من التصريح بالموت.[3]

"من ولدها " بعضا مما تلد ذكرا أو أنثى وفيه تخصيص واستشعار للحنو ، وفي تقديم المعدود "ولدها " على العدد "ثلاثاً "إشارة إلى الاهتمام بالولادة ، و لأنها الأهم في الذكر من العدد ،فالأصل "أن تقدم ثلاثة من ولدها "

كما أن لذكر العدد أياً كان العدد دلالة نفيسة لا تظهر إلا مع قيام المعنى كاملاً في النفس. فهو يدل حيناً على الكثرة ،وحيناً على التأكيد،وقد يدل أيضا على ضرورة التسابق والتنافس ، ومحاولة بلوغ الكمال، وأحياناً قد يدفع إلى الصبر والعزم والثبات.

وقد أجاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفس الإجابة مع اختلاف العدد ثلاث، واثنين، وفي رواية و واحدة وقيل في ذلك " يحتمل أن يقال : إن ذلك بحسب شدة وجد الوالدة، وقوة صبرها ، فقد لا يبعد أن تكون من فقدت واحدا أو اثنين أشد ممن فقدت ثلاثة أو مساوية لها ، فتلحق بها في درجتها ، والله تعالى أعلم " انتهى.(4)

---

(1)أضواء على البلاغة النبوية ، الجعلي (169)

2.ينظر : السابق نفسه

3 جاء في مسند احمد [11601] « ما مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ يَمُوتُ لَها ثَلاثَةٌ مِن الْوَلَدِ ». وفي المراوحة بين الكناية والتصريح تأكيد للمعنى وإيضاح له.

(4)ينظر : المفهم ، للقرطبي (5/ 233)

"إلا كانوا " عدل عن التعبير بصيغة المستقبل "يكونوا " و عبر بالمضي في "كانوا" وذلك " تنبيهاً على تحقق وقوعه وان ما هو للوقوع كالواقع "[1]، ثم ذكر اسم كان لتعظيم الفاعل وكمال العناية به الذي أوجب لها الجنة فلو كانت الجملة "إلا كان لها حجابا من النار " لما إفادة المعنى نفسه .

"لها" تقديم الجار والمجرور زيادة في التخصيص

"حجابا "اعتمد التصوير البليغ في حجاباً فالحجاب ستر وحاجز صفيق واختار لفظة حجاب وعدل عن غيرها من مرادفاتها لأنها أعمق في الدلالة واشمل في التصوير والتشبيه وجعل المشبه واو الجماعة ، وحجاباً المشبه به

"من النار" ذكر النار مفردة رغم تعدد الفقد وعظم الأجر وما ذاك إلاّ لهولها وعظمتها وشدة النفور منها حيث لفظ " النار" من الألفاظ التي لم ترد في القرآن كله بلفظ المفرد في حين وردت الجنة مجموعة في مواضع عدة ترغيبا ولطفاً بالعباد ،وكذلك وردت معرفة "بال " العهدية للتعظيم فهي النار المعهودة بين المتلقي والمخاطب بحرها وحرورها ،ثم انه اختار لها اعم أسمائها واشملها ليكون حجاباً من كل نار ، الحطمة والزمهرير و سقر وجهنم

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر: في " فقالت، بحديثك، لنا، نفسك، نأتيك، تعلمنا، علمك، فعلمهن، علمه، اجتمعن ،فاجتمعن ،فعلمهن ،ما منكن ،يديها ، ولدها ، لها كانوا ، لها " .

والإحالة بالموصولية " مما علمك، مما علمه"

التكرار : مظهر من مظاهر اتساق النص في " واثنين ، واثنين ، واثنين "

وفي " علمك ،علمه ،تعلمنا ،علمك ،فعلمهن ،علمه"

والعطف في " فقالت ، فاجعل ، فاجتمعن ،فأتاهن ،فعلمهن ثم قال ،فقال "

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في الخطاب هو التشبيه الذي أكسب المعنى تأكيدا ووضوحاً لأن تشبيهاته صلى الله عليه و سلم تحمل معان ذات طابع تخييلي استمدت معانيها من الواقع القريب المشاهد [2]فالحجاب في واقع المرأة وفطرتها شيء مدرك معاش

وكذلك الكناية ومالها من أثر في تقبل الأمر والترغيب إليه في رضا واحتساب تام

(١)ينظر : الإيضاح ، للقزويني (٨٩)

(٢) ينظر : الخصائص الفنية ، محمد الدبل (٢٠٢)

ذلك أن التعبيرعن المعنى بالكناية أو الإرداف أو التابع ، من القوة والحسن ماليس في اللفظ الموضوع لذلك المعنى ، لأن الكناية ابلغ من التصريح ، وأجمل من الإفصاح (١)

ثم جاء أسلوب القصر بـ"ما وإلا " في " ما منكن امرأة ، إلا كانوا لها حجاب " وماله من بلاغة في التأكيد والإثبات على أهمية الصبر والاحتساب

ثم تتالت وسائل التأكيد والتقرير ، من التعبير بصيغة الماضي مكان المستقبل ، و التقديم والتنكير و الإفراد للتعظيم والتكرار

كما تميزت الألفاظ بالسهولة و السلاسة والبعد عن الغموض ومع أن هذه سمة من سمات البيان النبوي في مجمله إلا إنها في هذا السياق تتناسب مع حاجة المخاطبة في مقام التثقيف النفسي .

و جاءت المعاني متممة لما يحتاجه المسلم و المسلمة في مجال العقيدة من صبر ، ورضي بالقضاء و القدر ، مع الترغيب فيما يترتب على ذلك من ثواب وأجر.

---

(١)ينظر : السابق (٢١٥).

٦.الترغيب في حج الصبي

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : لما أستقر في الأذهان أن الحج لا يجب إلا إذا توفرت شروط منها الإسلام والعقل والبلوغ تعرضت هذه المرأة لرسول الله ﷺ بسؤالها ، و لم ينص السياق على هوية المرأة أو تعمد قدومها إلى رسول الله ﷺ [١]، ووقوفها سائلة بين يديه وهو ما يعطي دلاله واضحة على أن المرأة المسلمة لم تترك فرصة مؤاتية إلا استدركتها ، فكان لها الفضل في تقعيد قواعد التشريع وإحكام أحكامه ، فلما أدركت رسول الله صلى الله عليه و سلم رفعت إليه الصبي لتسأله عن حكم حجته .

المقصد الكلي لنص الخطاب : أَنَّ حَجّ الصَّبِيّ مُنْعَقِد صَحِيح يُثَاب عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لَا يُجْزِيه عَنْ حَجَّة الإسلام[٢]

المعجمُ اللُّغويُّ : الصبي : من لَدُنْ يُولَد إلى أَنْ يُفطَم، والجمع أَصْبِيَةٌ وصِبْوةٌ وصِبْيَةٌ ومنه الصبا والصَّبْوَة ، جَهْلَة الفُتُوَّةِ واللَّهْوِ ،وأما الفتى فهو الشابُّ من كل شيء[٣] وفي اللغة يقال " صبي وصبية وطفل وطفلة وغلام وجارية وكله للين والانجذاب وترك الشدة . وذلك أن صبيأ من صبوت إلى الشيء إذا ملت إليه ولم تستعصم دونه. وكذلك الطفل: هو من لفظ طفلت الشمس للغرب أي مالت إليه وانجذبت ومنه قيل: فلان طفيلي وذلك أنه يميل إلى الطعام. وغلام من الغلمة وهي اللين وضعفة العصمة. و جارية. فهي فاعلة من جرى الماء .

فهذا الحكم الذي ورد يقاس على كل ماسبق فقد تلاقت معانيها وإن اختلفت أصولها ومبانيها[١]

---

(١)ينظر : كتاب الأم ، للإمام محمد بن إدريس للشافعي(المتوفى ٢٠٤هـ) (٢/ ٢٧٦)،باب تفريع حج الصبي والمملوك ،تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب ، المنصورة ، مطبعة دارالوفاء ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

(٢)ينظر : المنهاج في شرح صحح مسلم بن الحجاج ، للنووي ،(٥/ ٤٤٢)

(٣)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة(ص.ب.و)

والأجر والأجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا، نحو قوله تعالى: ﴿إن أجري إلا على الله﴾ [يونس/٧٢]، ﴿واتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ وفرق بين الأجر والجزاء ، فالأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ، ولا يقال إلا في النفع دون الضر ، نحو قوله تعالى : ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ [آل عمران/١٩٩]، وقوله تعالى : ﴿فأجره على الله﴾ [الشورى/٤٠] أما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ، ويقال في النافع و الضار ، نحو قوله تعالى : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ [الإنسان/١٢] ، وقوله تعالى : ﴿فجزاؤه جهنم﴾[٢]،وكذلك بين الأجر والثواب : فأن الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والشاهد أنك تقول ما أعمل حتى آخذ أجري ولا تقول لا أعمل حتى آخذ ثوابي لأن الثواب لا يكون إلا بعد العمل[٣]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

دل على جواز الحج للصبي تطوعا ونافلة ، إذ لا يجزيه عن حجة الإسلام [٤]
ثم زاد رسول الله صلى الله عليه و سلم على الجواب بأن فصل القول فيما هو أولى من ذلك من ضمان المثوبة والأجر بقوله "وَلَكِ أَجْرٌ "
وكلمة " أجر" نكرة تفيد العموم حيث إنه لم يقل ولكِ الأجر أو أن يقول ولكِ أجره ، فدل ذلك على أن أجر الحج راجع للصبي ولها ، وهو مقابل ،"حَمْلَهَا وَتَجْنِيبهَا إِيَّاهُ مَا يَجْتَنِبهُ الْمُحْرِم وَفِعْل مَا يَفْعَلهُ الْمُحْرِم "[٥]وتكلفها المشقة والعنت والمجالدة ،وما تحملته من صبر في التعليم والترويض على شعائر الله وهي معانٍ افادها التنكير وإيجاز القصر، الذي تعين به سؤال هو، أجر ماذا ؟ ومتى ؟ فيصدق أن يكون أجرٌ دنيوي وأخروي.
و في تقديم شبه الجملة واستخدام الضمير "كاف الخطاب" في " لك " يتأكد التخصيص بالأجر للمرأة المخاطبة أم الصبي ، باعتبارها السائلة لما تفردت به من سؤال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك في عدد من الروايات ، وباعتبار أن الأم اشد حرصاً وتعلقاً بصغارها وأعظم عاطفة نحوهم ، لأن في الأصل أن ما جعلها تصحب الصبي في حجها كان مجرد عاطفة ، قبل أن تعلم بالأجر ، فأكرمها رسول الله ﷺ بالجمع بين

---

[١] ينظر : الخصائص ،لابن جني أبي الفتح عثمان بن جني (٥٦) تحقيق محمد علي النجار ،بيروت ،لبنان ،عالم الكتب ـ ط١ـ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
(٢)ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، للراغب الأصفهاني مادة" أ.ج.ر"
٣ينظر : معجم الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري (٥٥)
(٤)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٦ / ٢٢٦)
٥ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٦ / ٢٢٦)

الحسنيين ، ويدخل في ذلك كل من أعان على خير أو دل عليه من والدٍ ومربٍ ومعلم وهو ما يستفاد من استخدام ضمير الخطاب دون التصريح بالاسم كما لو قال : "ولأمه أجر" ، أو قال : " ولوالديه أجر"

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمير في " لَهَا، فَقَالَتْ، قَالَ، لك "
والإحالة بالاشارية في " هذا "
والعطف في " فَقَالَتْ، وَلَكِ"
والربط بالسؤال والجواب في " أَلِهَذَا حَجٌّ ، نَعَمْ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على الإيجاز بنوعيه ،إيجاز حذف في حذف جملة الجواب ، وإيجاز قصر في بيان نوع الأجر ومقتضاه ، " والحذف يكون لتصفية العبارة وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها "[1]، كما يفيد التعميم وفتح الباب على مصراعيه في تعظيم الأجر ، وهو ما يبعث الفكر وينشط الخيال ويثير الانتباه" بالتعويل على النفس في إدراك المعنى " [2]،وقد أضاف أسلوب التنكير الذي فادة معنى النكرة أي النوعية والجنس في كلمة " أجر" معنى العموم والشمول.
ثم كان التقديم والتأخير في شبه الجملة للتخصيص و التأكيد ، مدعوما بالفصل الواجب بين الجملتين.
وقد اتسمت العبارة في الخطاب بالقرب والسلاسة والوضوح .
كما أن المعاني معاني إيمانية عميقة تميل إلى الواقعية وملامسة الحس المتقد لدى السائلة التي تتلمس كل مواطن الخير والتقرب إلى الله بحسن العمل والمبادرة إلى الطاعة.

---

(١)ينظر : دلالات التراكيب – دراسة بلاغية. محمد أبو موسى،(١٩٦) ط١، القاهرة – مصر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
(٢)ينظر : السابق(١٩٧)

٧. الترغيب في تأنيس من سبه رسول الله ﷺ

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ وَهِىَ أُمُّ أَنَسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْيَتِيمَةَ فَقَالَ « آنْتِ هِيَهْ لَقَدْ كَبِرْتِ لاَ كَبِرَ سِنُّكِ ». فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِى فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ قَالَتِ الْجَارِيَةُ دَعَا عَلَىَّ نَبِىُّ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنِّى فَالآنَ لاَ يَكْبَرُ سِنِّى أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ قَرْنِى - فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ». فَقَالَتْ يَا نَبِىَّ اللَّهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِى قَالَ « وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ». قَالَتْ زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلاَ يَكْبَرَ قَرْنُهَا - قَالَ - فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ قَالَ « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِى عَلَى رَبِّى أَنِّى اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّى فَقُلْتُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِى بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وَقَالَ أَبُو مَعْنٍ يُتَيِّمَةٌ. بِالتَّصْغِيرِ فِى الْمَوَاضِعِ الثَّلاَثَةِ مِنَ الْحَدِيثِ.

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : أم سليم أم أنس بن مالك كانت لها يتيمة تتعهدها وقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه و سلم التردد على بيت أم سليم ،ولعله تغيب عنها فترة من الزمان فطالت يتيمتها وعبلت فخاطبها رسول الله صلى الله عليه و سلم حين رآها

المقصد الكلي لنص الخطاب :

" التأنيس للمسبوب لئلا يستولى عليه الشيطان ، ويقنطه ويوقع بنفسه أن سيلحقه من ضرر سبّه ما يحبط به عمله إذا سبّه رسول الله ﷺ "[١]

المعجمُ اللُّغويُّ :

الطهر أصل واحد يدل على النقاء وزوال الدنس ، والتطهر التنزه من الذم وكل قبيح [٢] والطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس قال تعالى: ﴿وإن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾ المائدة/٦،و قال تعالى: ﴿يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة/٢٢٢ أي: التاركين للذنب والعاملين للصلاح، وقال: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ التوبة/١٠٨ فإنه يعني تطهير النفس [٣]

(١)ينظر : شرح صحي البخاري ، لابن بطال (١٠/ ١١٦)
(٢)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس مادة(ط.ه.ر)
(٣)ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للأصفهاني (ط.ه.ر)

وكلُّ طَهورٍ طاهرٌ، وليس كلُّ طاهرٍ طَهوراً. قال الأزهري: وكل ما قيل في قوله عزوجل: ﴿وأنزلنا من السَّماء ماءً طَهُوراً﴾ الفرقان ٤٨ فإن الطَّهُورَ في اللغة هو الطاهِرُ المُطَهِّرُ لغيره، لأنه لا يكون طَهوراً إلا وهو يُتَطَهَّر به [١]

والزكاة من زكى : أصل يدل على النماء والزيادة ، يقال زرع زاك أي بين الزكاء

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" أَنْتِ هِيَهْ لَقَدْ كَبِرْتِ لاَ كَبِرَ سِنُّكِ "

- استفهام ،حذفت أداته بمعنى أأنت هي ؟وأضيفت هاء السكت إلى الضمير المنفصل[٢]
- "لقد كبرت "جملة خبريه بغرض التعجب لان المخاطب عالم فائدة الخبر
- " لا كبر سنك " بين كبرت ولا كبر طباق غير متكلف
- " الدعاء " قال كثير من أهل العلم[٣] إنه دعاء ليس على معناه وإنما هو على نحو كلام العرب تربت يداك وثكلتك أمك

ولكنه لو كان كذلك ـ كما تعتقد الباحثة ـ لما كرهته الجارية العربية فضلا عن أم سليم التي ما طرق هذا اللفظ مسامعها في كلام من كلام العرب ، ولما برر رسول الله صلى الله عليه و سلم دعاءه بما ورد بعد ذلك في خطابه لأم سليم ،كل ذلك يدل على أن الدعاء كان على ظاهره غير أنه من رسول الله ﷺ له وسمٌ وخصيصة.

أما الجارية فقد فهمت اللفظ على ظاهره فراحت تشكو باكية ، وبعد أن أخبرت أم سليم بالخبر استعظمته لما تعلم من استجابة الله تعالى دعاء نبيه فعجلت " تلوث خمارها " أي تلفه على رأسها " وكان بينهما حوار

" مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ " وبلهجة مطمئنة هادئة يتساءل رسول الله ﷺ استفهام تعجبي و " ذكر " لك" إنما هو لبيان المعنيّ بالسؤال وقد يذكر مع العلم للتوكيد[٤]

وبعد أن قصت عليه الخبر " ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ" وما كان يضحك إلاّ تبسما وبادر يرغبها فيما لم تكن تعلم من الخير.

---

(١)ينظر : لسان العرب " ط.ه.ر "
(٢) فتح الملهم ،شبير العثماني(٥/ ٢٠٩)
(٣)المصدر السابق
(٤)ذكره سيبويه في بيان قولهم "سقيا لك ،و مرحباً بك" ينظر : الكتاب ، لسيبويه (١/ ٦٣)

" يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي"النداء للتنبيه ، الاستفهام للأمر[1] والمعنى اعلمي أني وضعت شرطا على ربي ، وهو مما اختّص به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ما كانت تجهله ويجهله غيرها ممن حول رسول الله صلى الله عليه و سلم.

"فَقُلْتُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

في هذا الخطاب من التثقيف النفسي ما يحتاج منا مجلداً لإيضاحه غير أني سأقف هنا على كل معنى وشيّ بحلية من سمات بيان النبوة المتفرد.

" إنما " للقصر والتوكيد الذي يتلاءم مع حالة المخاطبة المترددة في قبول الخبر، وقد تعين استخدام طريقة القصربـ " إنما" التي لا تكون إلا في خبر معلوم لدى المخاطب ،فهي تعلم أن رسول الله بشر، يرضى كما يرضى البشر ويغضب كما يغضبون ، أو ينزل منزلة المعلوم ، وهو ما بينه صاحب الدلائل بقوله "وموضوع إنما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة " [2]

- الاقتباس من القران الكريم " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" [الكهف ١١٠] إثبات وتنبيه لما له من خصائص البشرية من خطأ ونسيان وسخط ورضى .
- المقابلة بين الأضداد في "ارضى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ" إشارة إلى أن الأمر ليس على الدوام بل الإنسان يتقلب بين الحالين ولكل سمات ، فبضدها تتميز الأشياء
- أسلوب الشرط بالأداة " أي " التي هي في أصلها مبهمة يتعين معناها بما أضيفت إليه و هي متناسبة مع السياق الذي يدل على العموم ، وكذلك لفظة "أحد " النكرة المبهمة .
- "ليس لها بأهل" جملة صفة ، لبيان وجه الكراهة ، وهو الدعاء على أحد بدون حق.
- قرب المعنى وسلاسته في قوله " طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً "
- الترادف المعنوي[3] بين " طهور وزكاة " لتأكيد المعنى وتقريره في الذهن.

---

(١)الاستفهام في السياق قد يكون للتقرير لأنه استفهام منفي ولكن الباحثة تظن أن الأمر فيه أولى لأن التقرير يكون لما يقع في إدراك علم المخاطب إذ كيف يقرر بما لا يعلم ، وربما جاء التقرير بما لا تعلمه المخاطبة في هذا السياق بغرض التشويق وإثارة الانتباه

(٢)ينظر : دلائل الإعجاز ، للجرجاني (١٥٠)

(٣)وقد اختلف القدماء من علماء اللغة كابن جني ، وابن الأعرابي وثعلب و ابن فارس حول وجود ما يعرف بالترادف في اللغة العربية من عدمه ، ينظر : الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (١٥٤)،حيث يوضح رأيه بقوله :" ولسنا نقول أن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ماقالوه ، وإنما نقول أن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى"

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمير ظاهراً ومستتراً متصلاً ومنفصلاً كما في "كبرتِ ، اشْتَرَطْتُ ، فَقُلْتُ ، دَعَوْتُ لَهَا ، تَجْعَلَهَا ، بِهَا ،أَنْتِ ،سِنُّكِ ، فَرَجَعَتِ ،لَكِ ، عَلَيَّ ، لَهَا ، تَعْلَمِينَ ،أَنِّي ،أَنَا ،عَلَيْهِ ، أُمَّتِي، لَهَا، تَجْعَلَهَا ،لَهُ ، يُقَرِّبُهُ ، بِهَا ، مِنْهُ "
الطباق في" كبرت لا كبر "والمقابلة في " أرضى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ " لَقَدْ كَبِرْتِ أَنْ لاَ يَكْبَرَ أَبَدًا
والعطف في " فَقَالَتْ ، فَالآنَ، فَخَرَجَتْ، وَمَا ذَاكِ ، وَمَا ذَاكِ ، ثُمَّ قَالَ ، فَقُلْتُ ، وَأَغْضَبُ، فَأَيُّمَا ، وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً "
والتكرار في " يَتِيمَةٌ ، الْيَتِيمَةَ، الْيَتِيمَةُ ، يَتِيمَتِى " وفي تكرار " لاَ يَكْبَرَ سِنِّى ، و لاَ يَكْبَرُ سِنِّى أَبَدًا ، أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا " وكذلك في " دَعَا ، أَدَعَوْتَ ، دَعَوْتَ ،دَعَوْتُ ،بِدَعْوَةٍ " وفي " شَرْطِى ، اشْتَرَطْتُ"
والتوكيد " لَقَدْ كَبِرْتِ ،أَنْ لاَ يَكْبرَ أَبدًا ، أَنَّ شَرْطِى، أَنِّى اشْتَرَطْتُ، أَنْ تَجْعَلَهَا "
وكذلك الترادف المعنوي في "طهور ،وزكاة"

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة في الخطاب هو أسلوب القصر بإنما ،وماله من أثر في التخصيص والإثبات للمعنى يشيعه أسلوب الاستفهام التقريري "أما تعلمين " مسبوقاً بالنداء الذي يكثر استخدامه في التثقيف النفسي
كما جاءت ألوان من البديع غير المتكلف متمثلاً في الاقتباس والمقابلة ، مع خلو الخطاب من التصوير والتشبيه.
واتسمت الألفاظ بالسهولة والبعد عن الغموض .
و المعاني بالواقعية في ملامسة ما يخشاه المسلم على نفسه من دعاء بما يكره ، وهي من جانب أخر تلامس خصائص النفس البشرية وما تتصف به من الرضا والغضب والدعاء والسخط ، فإذا كان من كرمه جل شأنه أن جعل دعاء رسوله ﷺ رحمة وبركة على أمته ، فليس ذلك لأحد من الناس سواه ، مما يوجب على المسلم التحرز والحيطة في الدعاء على الغير دون وجه حق .

٨.الترغيب في ركوب البحر للجهاد البحر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ ». يَشُكُّ أَيَّهُمَا قَالَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ ». كَمَا قَالَ فِى الأُولَى قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ قَالَ « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ ». فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ.

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : كانت أم حرام خالة النبى (ﷺ) من الرضاعة [١]، وكان يأتيها زائرًا لها من صلة الرحم" [٢]فلما نام عندها استيقظ مسروراً بما رأى من نصر للإسلام والمسلمين ، فطلبت منه أن يدعو لها الله بأن تكون في صفوف المجاهدين

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : ذكر ابن بطال هذا الحديث في" باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء" "بأن يقول اللهم ارزقني الجهاد أواللهم اجعلني من المجاهدين" [٣]وفي " باب غزو المرأة في البحر " [٤]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ :

"ثَبَجُ كلِّ شيء: مُعْظَمُهُ ووَسَطُهُ وأعلاه، والجمع أَثْباجٌ ، والثَّبَجُ: الوسط ما بين الكاهل إلى الظهر والأَثْبَجُ: العريضُ"[١]

---

(١)وقال بعضهم بل خالة لأبيه أو لجده ، ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال(٥/ ١٠)
(٢)ينظر :السابق نفسه .
(٣)ينظر : عمدة القارئ(١٤/ ١١٩) باب الجهاد والسير
(٤)ينظر : السابق (١٤/ ٢٣١)

"والسَّرِيرُ: المُضطَجَعُ، والجمع أَسِرَّةٌ وسُرُرٌ؛ والسرير: الذي يجلس عليه معروف. وفي التنزيل العزيز: على سُرُرٍ متقابلين"[٢]

" الصَرْعُ: الطَّرْحُ بالأَرض، وخَصَّه في التهذيب بالإِنسان ، صارَعَه فصَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعاً وصِرْعاً، ورجل صَرّاعٌ وصَرِيعٌ بَيِّنُ الصَراعةِ، وصَرِيعٌ: شَدِيد الصَّرْع ، والصُّرَعةُ : الحلِيمُ عند الغَضَبِ لأَن حِلْمَه يَصْرَعُ غَضَبَه على ضِدّ معنى قولهم: الغَضَبُ غُولُ الحِلْمِ ، وصَرَعَ البابَ: جعَل له مِصْراعَيْن"[٣]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" استيقظ وهو يضحك" "وضحكه ﷺ هو سرور منه ، بما يدخله الله على أمته من الأجر، وما ينالوه من الخير"[٤]وقد" أخبر فيه بضروب من الغيب قبل وقوعها ، فمنها : جهاد أمته في البحر ، وضحكه دليل على أن الله يفتح لهم ويغنمهم ، ومنها : الإخبار بصفة أحوالهم في جهادهم "[٥]

"ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله" ناس نكرة موصوفه مما سوغ الابتداء بها ، والتنكير تخصيص وتشريف ومن أغراض التنكير في معاني النحو التعظيم والتكثير وكذلك التخصيص إذا كانت النكرة عامة وأراد تخصيصها [٦]

" عرضوا " حذف الفاعل وجاء بما ينوب عنه وهو معلوم للتعظيم .

"يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ" في ركوب البحر كناية عن الجهاد في البحر على متن السفن وفي قوله " ثبج البحر" مجاز([٧]) حيث جعل الركوب على جزء من البحر وهو الأمواج والمقصود كله ، إشارة إلى عظم الأمر، وهو ما سر به رسول الله ﷺ وليس ثمة مايسره عليه صلوات الله وسلامه غير ذلك ، فهو ترغيب في ركوب البحر وخوض غماره على مافيه من هلاك ، فهو الثبج أعلاه وعرضه وليست السواحل أو الأطراف ، فهو جهاد لا كأي جهاد ، ولو أنه صرح بذكر الجهاد لما أدى نفس المعنى ،

---

(١)ينظر : لسان العرب (ث.ب.ج)
(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (س.ر.ر)
(٣)ينظر : السابق مادة (ص.ر.ع)
(٤)ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال(٥/ ١٠)
(٥)ينظر : السابق(٥/ ١١)
(٦)ينظر : شرح الرضي على الكافية (٣/ ٨)
(٧) ينظر : أساس البلاغة ، للزمخشري (١/ ١٠٤)

وفي ذلك دلاله وقيمة تربويه لافتة فيما ترى الباحثة فإذا كانت مسرة رسول الله صلى الله عليه و سلم بما وجد من عزة الإسلام والمسلمين وقد تحقق ذلك في عهد معاوية رضي الله عنه كما ذكرت الروايات ، فهو مدعاة للسعي في ذلك في كل زمان ومكان وفي عصرنا هذا على وجه الخصوص،وحثٌ للغزاة والمجاهدين على المضي قدماً ، في الابتكار والتجديد لملاقاة أعدائهم أعداء الدين .

"ملوكا على الأسرة .أو مثل الملوك على الأسرة" "راهم ملوكًا على الأسرة في الجنة في رؤياه"(١)ورؤيا الأنبياء حق ، أو تشبيها لهم بالملوك على الأسرة فرحين مستبشرين "خبرا عن حالهم في الغزو من سعة أحوالهم وقوام أمرهم ، و كثرة عددهم" (٢)وهناك وجه أخر وهو" أنهم فيما هم فيه من النعيم الذي أثيبوا به على جهادهم مثل ملوك الدنيا على أسرتهم " (٣)

وهو في الحالين مما اصطلح علماء البلاغة على تسميته بالتمثيل من باب الترغيب في غزو البحر ، وقد أورد ابن العربي تخصيص الإمام مالك إيراد هذا الحديث في باب الترغيب في الجهاد للقادر عليه (٤)وفيما ترى الباحثة أنه كذلك تثقيف نفسي لترغيب المرأة في حقيقة الجهاد حتى وإن لم يكن منها ذلك ،فالمرأة هي الأم والزوجة والأخت والإبنه ولها دورها البارز في نقل ذلك الترغيب إلى كل من حولها.

وتكرر ذلك من رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت "يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. الضمير هم عائد على قوله "ناس "وهو يشمل ـ كما ترى الباحثة ـ في مالهم من جهاد في البحر وعزة ومنعة في الدنيا و ثواب يوم القيامة

قال (أنت من الأولين)" وفيه حذف لدلاله السياق ، أي أدعو الله أن تكوني في الأولين

وفي فقه الحديث فوائد منها بيان " غزو النساء في البحر "(٥)ومخاطبه المرأة رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

تحقق في النص من عوامل التماسك والسبك عنصر الإحالة بالضمائر متصلة ومنفصلة في " فَتُطْعِمُهُ ، عَلَيْهَا ،تَفْلِى، وَهُوَ، فَقُلْتُ ،يُضْحِكُكَ ،عُرِضُوا ،يَرْكَبُونَ يَجْعَلَنِى ،مِنْهُمْ ،لَهَا ،أَنْتِ ،دَابَّتِهَا"

والإحالة بالإشارة كما في " هَذَا الْبَحْرِ"

ومن العوامل العطف في " فَتُطْعِمُهُ ،فَدَخَلَ ،فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ ،فَنَامَ ،ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ،فَقُلْتُ ،فَدَعَا ،ثُمَّ وَضَعَ ،فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ،فَقُلْتُ ،فَرَكِبَتْ ،فَصُرِعَتْ ،فَهَلَكَتْ "

---

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ، لابن بطال(٥/ ١١)

(٢)ينظر : تحفة الأحوزي ،للمباركفوري، (٥/ ٢٧٨)

(٣)ينظر : السابق نفسه

(٤)ينظر : المسالك ، لابن العربي(٥/ ٩٩)

(٥)ينظر : السابق (٥ / ١٠٤)

والتكرار وهو ظاهر في قولها " فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ ، وفي المرة الثانية ، فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ"
وكذلك التكرار في" يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ " والتكرار في " يَرْكَبُونَ ، فَرَكِبَتْ"
والترادف المعنوي في " فَصُرِعَتْ، فَهَلَكَتْ"
وكذلك جاء التشبيه عنصراً من عناصر الربط في نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ .

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب

الأسلوب العمدة في النص هو التمثيل اللافت في قوله: " ملوكاً على الأسرة " الذي جسد الرؤيا وجملها وهيأ لها سبل المسرة والقبول
وهو ما تحتاج إليه المرأة ، فهو العدو ثم البحر الغامض المجهول ، فكان أن تم له صلى الله عليه و سلم ما أراد حيث بادرت بطلب الدعاء منه ﷺ بأن تكون من ألئك الغزاة الذين وصفهم بهذا الوصف الجميل .
وقد سبق التشبيه بدلالة التراكيب من التنكير في " ناس " للتعظيم والتخصيص ، ثم حذف الفاعل وبناء الفعل لغير فاعله في " عرضوا" لتركيز الاهتمام بالفعل ، مما جعل الأمر إخباراً بالمغيبات من معجزات النبوة
كما أن الكناية " يركبون ثبج " أدت دورها في التعظيم لما سيئول إليه أمر المسلمين مما يثلج الصدر ويسعده .
وقد اتسمت الألفاظ بالوضوح والجزالة .
كما جاءت المعاني إسلامية تدعو إلى الجهاد وترغب فيه وتعطي المرأة كامل الحق في خوض غماره إن رغبت فيه.

ب- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في مجال الترهيب في الشأن العام

٩.الترهيب من إضجار الضرة

عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ اسماء جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَتْ إِنَّ لِى ضَرَّةً فَهَلْ عَلَىَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ مِنْ مَالِ زَوْجِى بِمَا لَمْ يُعْطِنِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَىْ زُورٍ »

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : هذه امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قيل هي أسماء وزوجها الزبير بن العوام وبعضهم قال لم نقف على تعيين هذه المرأة وزوجها[١]وضرتها ، التي تريد أن تتزين أمامها وتدعي الحظوة عند زوجها بما لم يهبها وتبث في نفسها الضيق والضجر فهل يجيز لها رسول الله ﷺ هذا الفعل و ذلك الهدف في ظل مبادئ الإسلام وشرعته.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : النهي عن إضجار الضرة و إلحاق الغم والقلق وضيق النفس بها [٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: ضَرَّةُ المَرْأَةِ: امرأةُ زَوْجِها. والضَّرَّتان: امرأَتا الرجُلِ ، كلُّ واحدةٍ منهما ضَرَّةٌ لصاحِبَتِها، سُمِّيتا ضَرَّتَينِ لأَنَّ كلَّ واحدةٍ منهما تُضارُّ صاحِبتَها[٣]
الزُّور: أصل واحد يدل على الميل والعدول ، يقال ازور عن كذا ، أي مال عنه[٤]و الزور الكذب والباطل، ورجل زُورٌ وكلام مُزَوَّرٌ مُمَوَّهٌ بكذب[٥]

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني (٢٩ / ٤٩٨)
(٢)ينظر : السابق نفسه
(٣)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ض.ر.ة)
(٤)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس مادة(ز.و .ر) (٣ / ٢٧)
(٥)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ز.و.ر)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" إِنَّ لِى ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ مِنْ مَالِ زَوْجِى بِمَا لَمْ يُعْطِنِى "

إظهار النعمة مباح في الأصل ، وهو ما سوغ سؤال السائلة بدليل قولها " فهل علي جناح " التي لا تأتي في الأصل إلا في سياق المباحات ، ولكن في قولها " مَا لَمْ يُعْطِنِى" وفي السياق قولها " لي ضرة " ظهر الإدعاء والكذب والحاجة إليه ، فأصبح التشبع كذبة بل كذبتين ، وليست واحدة ، حتى " أظهر الشبع ، فأحد الكذبين قولها أعطاني زوجي والثاني إظهارها أن زوجي يحبني أشد من ضرتي "(١)

والسؤال في هذا السياق مما يظهر فيه تردد السائلة بين معرفة الجواب وعدمه هو ما جعل جواب رسول الله صلى الله عليه و سلم جملة من التشبيه بغرض البيان والتوضيح وتقريب الصورة الكريهة للمتشبع وتقريرها وتقبيحها في نفس المخاطبة وهو من أجل أغراض التشبيه .

"الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ "

- سماه متشبع ، وليس شبعان ،وفيه مبالغة ، والشبع من الطعام الاكتفاء وتشبع على وزن تفعل التي من معانيها التكلف والتصنع وتشبع إذا اظهر الشبع تصنعا وتكلفاً " يعنى المتزين بأكثر مما عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون للرجل ولها ضرة، فتتشبع بما تدعيه من الحظوة عند زوجها بأكثر مما عنده لها تريد بذلك غيظ صاحبتها وإدخال الأذى عليها، وكذلك هذا في الرجل أيضًا "(٢)
- " أل" العهدية لأن ما تسأل عنه متعارف ومعهود بين الضرائر
- " المتشبع " مجاز استعارة حيث شبه من ينسب لنفسه هبة لم توهب له حقيقة بأكل الطعام يدعي الشبع منه وليس بشبعان ، بجامع إدعاء غير الحقيقة في امتلاك شيء لم يملك له في كل .
- "يُعطى" مبني لغير الفاعل إثباتاً وتأكيدا لنفي وجود العطاء و المعطي ، وفيه إطلاق للحكم وتحويله من الخصوص للعموم ، افليس الأمر خاص بما سألت عنه السائلة بل هو عام لكل من شابه فعله فعلها .
- وجملة "بما لم يعطَ " متعلقة بما قبلها للإحتراس ودفع التوهم من أن يكون النهي شاملا لإظهار العطاء عامة

(١)ينظر : تحفة الأحوذي ،للمباركفوري (٦ / ١٥٥)
(٢)ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣ / ٣٤٣)

"كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"

- لابس ثوب زور هو" الرجل يلبس ثياب أهل الزهد في الدنيا، يريد بذلك الناس ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه، فهذه ثياب الزور والرياء "[1]" فإذا احتيج إلى شهادة زور لبس ثوبيه وأقبل فشهد فقبل لنبل هيئته وحسن ثوبيه فيقال امضاها بثوبيه يعني الشهادة "[2]فهوتشبيه تمثيلي، شبه المتشبع في إدعائه وزوره وغرضه من الإدعاء ـ رجلاً كان أو امرأة ـ بذلك الرجل الذي يرتدي ثوب الزور وسوى بينهما والزور الكذب والميل عن الحق ، وكذلك في التشبع ميل عن الحق ومخالفة للواقع ، ثم جعل التشبع ثوباً ولباساً يرتدى مجازاً، كما هو في لابس ثوب الزور ، لما بينهما من إخفاء و ستر وتغطية وهو من التشبيه المركب[3]"
- في " ثَوْبَيْ زُورٍ " بالتثنية وليس بالإفراد ، لأن المتشبع أسوء منزلة فقد جاء بالزور مرتين فكان زوره زورين وإثمه إثمين ،ادعى أنه أعطي ولم يعط شيء ونسب العطاء لمن لم يقم به يقول ابن بطال " التثنية معنى صحيح؛ لأن كذب المتحلي بما لم يعط مثنى، فهو كاذب على نفسه بما لم يأخذ، وكاذب على غيره بما لم يبذل "[4]
- في الخطاب إيجاز قصر فدل على المعنى بأيسر الطرق وأقل الألفاظ واستعاض عن الزجر والنهي المباشر للمرأة بالترهيب من الزور وأسبابه أياً كانت و" تنفير المرأة عما ذكرت خوفا من الفساد بين زوجها وضرتها ويورث بينهما البغضاء فيصير كالسحر الذي يفرق بين المرء وزوجه "[5]

❧ ❧ ❧

عوامل الانسجام والتماسك النصي :من عوامل الربط في الخطاب الإحالة بالضمائر في " لِى ، زَوْجِى ، يُعْطِنِى "

والإحالة بالموصولية في " بِمَا لَمْ يُعْطِنِى ، بِمَا لَمْ يُعْطَ "

التكرار في " أَتَشَبَّعَ و الْمُتَشَبِّعُ " وفي " بِمَا لَمْ يُعْطِنِى و بِمَا لَمْ يُعْطَ "

والتوكيد في " إِنَّ لِى ، أَنْ أَتَشَبَّعَ"

الربط بالسؤال والجواب في " فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ ،و الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ"

---

(١) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣ / ٣٤٣)
(٢)ينظر : فتح الباري - ابن حجر العسقلاني (٩/ ٣١٨)
(٣)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (٧٣/١)
(٤)ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال (١٣ / ٣٤٣)
(٥)ينظر : فتح الباري - ابن حجر العسقلاني (٩ / ٣١٨)

وكذلك جاء التشبيه في" كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في الخطاب هو المجاز الذي به اتضح سبب النهي عن التشبع من كذب وبهتان وتقديمه في هيئة منفرة ، لابساً ثوبي زور، في تصوير يَعِبُّ تثقيفاً نفسياً مبالغة في التنفير والترهيب . ثم في تكرار المجاز الذي جاءت به السائلة في لفظة " التشبع " بالغ الأثر في توكيدها وإقرارها ، ثم مجيء لفظة " المتشبع " معرفة بال العهدية مع جملة " مالم يعطى " إسهماً في بيان وتوضيح نوع التشبع المذموم في السياق وما يقاس عليه في غيره من السياقات .

وقد تميزت الألفاظ بالجزالة والقوة في غير تكلف ، وقد جاءت المعاني قريبة متناولة مستمدة من واقع المرأة المسلمة ، ومجيبة على تساؤلاتها ومتماشية مع مبادئ الإسلام وما يجب أن تكون عليه أخلاق المسلم في تعاملاته مع أخيه المسلم أياً كانت صلته به.

١٠.الترهيب من وصل الشعر

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ عَنْ اسماء بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ قَالَتْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِى ابْنَةً عُرَيِّسًا أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا أَفَأَصِلُهُ فَقَالَ « لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ »

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : جارية من الأنصار تزوجت فمرضت حتى تساقط شعرها[١]، فلما شفيت طلبها زوجها فأرادوا أن يصلوا لها شعرها تتزين به لزوجها فسألوا في ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم .

المقصد الكلي لنص الخطاب : عن وصل المرأة شعرها بشيء ،قال الطبري : "غير جائز أن تصل بشعرها شيئًا من الأشياء لتتجمل به ، شعرًا كان أو غيره لعموم النهى عن النبى عليه السلام أن تصل بشعرها شيئًا" [٢]

المعجمُ اللُّغويُّ: والحَصَبُ والحَصْبةُ: الحجارةُ والحصى، واحدته حَصَبةٌ، وهو نادر. وأَرضٌ حَصِبةٌ حصب وريحٌ حَصِبةٌ: فيها حَصباء ، والحَصْبةُ والحَصِبةُ، البَثْر الذي يَخْرُج بالبَدَن ويظهر في الجِلْد، فهو مَحْصُوبٌ[٣]

تمرق : الميم والراء والقاف أصلٌ صحيح يدلُّ على خروجِ شيءٍ من شيء. ومنه المَرَق لأنَّه شيءٌ يَمرُق من اللَّحم. وأمْرَقْتُ القِدرَ ومَرَقْتُها
والمُروق: الخروج من الشيء. ومرق السهمُ من الرَّميَّة: نفذ. ومرقت الإهاب، إذا حلقْت عنه صُوفَه ، وهو قياسٌ صحيح لأنَّك كأنَّك أبرزتَ الجلدَ عن شعره وإذا عُطِنَ الإهابُ حَتَّى يُنْتِنَ فهو مَرْقٌ.
ويقال إن المُرَاقَة: الكَلأُ اليسير، ومعناه أنَّ الأرضَ كأنَّها تجرَّدت ومَرقَت.[٤]

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال (١٧ / ٢٠٦)
(٢)ينظر : السابق نفسه
(٣)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ح.ص.ب)
(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (م . ر . ق)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

إن اللغة في هذا الخطاب على ما اتسمت به من وجازة وبلاغة عالية اتكأت على السياق الذي كان قطب الرحى في الخطاب . ومراعاة السياق سمة نفيسة في الدرس البلاغي ، فإذا نظرنا إلى ما جاءت به المرأة في خطابها لرسول الله ﷺ وجدناه بياناً مفصلاً بنسق منضبط يقنع المخاطب

" يا رسول الله! إن لي ابنة عريسا. " فيض من مشاعر الأمومة يدفع السائلة إلى خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم

تقديم المتعلق "لي " للتخصيص فابنتي خاصتي يشغلني ويعنيني أمرها .

وقطع كلمة "ابنه "عن الإضافة من باب التجريد [١]الذي يوحي بالضعف والحاجة ولو قالت " أن ابنتي عريسا" لما اشعر بفيض الاهتمام والرعاية المتحقق في الجملة الأولى.

"عُرَيِّسَاً " تصغير عروس من باب التمليح فهي صغيرة السن

وفي الكلام زيادة إشباع للإشارة إلى ما يلزم الوقوف عليه والعناية به وإلا فرسول الله صلى الله عليه و سلم لم يسأل عن صفات هذه الابنة .

"أصابتها حصبة فتمرق شعرها "[٢] والتنكير للتقليل والتحقير وهي الجدري مرض فيروسي شائع ، ومن أعراضه ظهور الطفح الجلدي في مناطق متفرقة من الجسم ، له أزمنة ينتشر بها ، وقد يكون التنكير للتعظيم وذلك إذا ما ندر هذا المرض وأنكرته العامة فخافته .

والفعل" فتمرق" في زمن الماضي ، والفاء للتعقيب ، وتأتي بمعنى السببية فقد تمرق شعرها بسبب المرض.

وتمرق أي تساقط وانتثر وشعرها عرف بالإضافة أي شعر رأسها أو جزء منه ولو قالت "فتمرق الشعر منها" لكان أدل على عموم البلاء

---

(١)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القز ويني(٣٨٩)

(٢) جاء في سن أبي داود ـ باب الترجل [٤١٧٢] "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ لُعِنَتِ الْواصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ و النَّامِصَةُ وَالْمُتَنَمِّصَةُ و الْواشِمَةُ و الْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ داءٍ". والسياق يأباه ، فقد أظهر أن اللعن حاصل حتى في حالة المرض والداء ، وقد تواتر ذكر هذا السياق في أكثر من رواية

ومن المؤكد أن هذه الفتاة على هذه الهيئة التي وصفتها الأم ببيانها لم تذهب إلى بيت زوجها لمرضها [1]والآن وبعد أن شفيت وطلبها زوجها للانتقال إلى بيتها ، أرادوا لها أن تتزين له.

"أفأصله ؟" تستفهم عن حكم الوصل والحال على ما وصفت ولم تحدد المرأة في سؤالها أي نوع من الوصل تعني ، أهو وصل الشعر بشعر أدمي أم بخروق أم بالخيط ، لقد كان السؤال عاماً[2]، غير أن أهميه السياق تبرز كونها حددت أنها في حاجة من مرض وعرس ، رغم أن رسول الله ﷺ لم يستفصل منها ، مع أن وصل الشعر كان محرماً في اليهودية قبل الإسلام ولكن أحداً لا يستطيع أن يجزم بوقوف العرب على تشريعات بني إسرائيل كلها .

"لعن الله الواصلة والمستوصلة"

- التثقيف النفسي بالترهيب وبيان عاقبة الواصلة والمستوصلة
- التعبير بالفعلية عدولاً عن الاسمية كما جاء التعبير بالماضي عن المستقبل [3]لبيان الاستمرار والتجدد ، وأن اللعن مستمر دائم إلى قيام الساعة ، فرسالة محمد ﷺ لايحدها زمان أو مكان ، ثم العدول إلى الماضي دون المضارع ، لبيان التحقق والتأكيد لذلك اللعن .
- اتسم الخطاب بالشمول والعموم بقوله " الواصلة والمستوصلة " دون توجه الخطاب إلى معين عن طريق الضمائر أو أدوات الربط .
- "أل" التي تفيد الاستغراق في عامة الجنس، فلم يحدد نوع الوصل أو سببه أو مدته
- وتمثل في الخطاب نوع من البديع يسمى بالجمع[4]وهو أن يجمع بين عده أشياء في حكم واحد ، فاللعن يشمل كلا الطرفين الواصلة والمستوصلة.بنفس الدرجة ،لا فرق بينهما قال تعالى: ﴿إِنَّما الْخَمْرُ والْمَيْسِرُ والأنصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المائدة٩٠
- بين أَفَأَصِلُهُ ،والواصلة والمستوصلة جناس اشتقاق
- .ففي الجملة إيجاز قصر، انتظمت فيها أربع كلمات مفادها :

١. الترهيب والنهي والزجر من الإقدام على هذا الفعل .

---

(١)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٧ / ١١٣) ذكر إنها قد شفيت من مرضها وزوجها يستعجل في طلبها .

(٢)اختلف العلماء في تفصيل حكم الوصل على أقوال غير أننا نبين ما دل عليه النص في لغته وأسلوبه أما البحث في القرائن والأحكام فموجود في كتب الفقه والحديث بتوسع ،ينظر فتح الملهم ، شبير العثماني(١١٣)

(٣) ينظر : المثل السائر لابن الأثير (٢ / ١٥)

(٤)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القزويني(٣٨٣)

٢. أن ما تسألين عنه كبيرة توجب اللعن .

٣. أنه لعن من عند الله وليس سبابا أو شتماً أو دعاء من خلقه باللعن([1]).

٤. أن الحكم في عمومه يشمل الفاعلة والمفعول بها " المستوصلة " وهي هنا الابنة الأثيرة التي جاءت الأم تشفق عليها ، فحقيق بها أن تشفق عليها من لعنة الله .

فبلغ خطابه صلى الله عليه و سلم قمة البلاغة والإيجاز، حيث أصاب المقصود من أقرب طريق ، وأوجز عبارة ، فبين نوعية المنكر ، و رهب من عاقبة الإقدام عليه ، وأن هذا الحكم مقطوع من عند الله تعالى ، ثم أنه يشمل الفاعل والمفعول به على السواء.

❧ ❧ ❧

عوامل الانسجام والتماسك النصي: من عوامل التماسك في الخطاب الإحالة بالضمير في " لِي ، أَصَابَتْهَا ، شَعْرُهَا ، أَفَأَصِلُهُ "

والعطف في " فَقَالَتْ ، فَتَمَرَّقَ، فَقَالَ، وَالْمُسْتَوْصِلَةَ "

والتوكيد في " إِنَّ لِي"

والسؤال والجواب في " أَفَأَصِلُهُ ، لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ "

❧ ❧ ❧

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على الإيجاز البليغ الذي اكتنف بجملة من الأساليب التركيبية كالتعبير بالفعلية دون الاسمية لبيان أن هذا الفعل من النساء مستمر متجدد على مدى العصور والأزمنة واللعن لفاعلته كذلك ، ولذا مال الخطاب إلى العموم والشمول والمباشرة وخلا من التصوير والتخييل

وقد وشي الخطاب بلطيف البديع كأسلوب الجمع والجناس

وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والوضوح والبعد عن التكلف ، والمعاني جاءت كسابقتها في الإجابة على سؤال السائلة معانٍ تلامس واقع المرأة المسلمة وتلبي حاجاتها وتنبو بها عما يخدش دينها ويتعارض مع مبادئها الإسلامية .

---

[1] جاء اللعن فيما يربو عن عشر روايات في كتب الصحاح ،بينما جاءت روايتين فقط بقوله "سبَّ " عند البخاري - باب اللباس [٥٩٣٥] "فَسَبَّ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ " فظهر أن المقصود بالسبِّ اللعن نفسه

١١ـ الترهيب من التصوير مضاهاة لله

عن عَائِشَةَ قالت دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللهِ - ﷺ- وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِى بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ » قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَطَّعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ.

أ) تحليل الخطاب :

السياق المقامي للخطاب : سياق الخطاب ما حدث في بيت النبوة عندما عاد رسول الله صلى الله عليه و سلم من سفر قيل هو سفره في غزوة تبوك ، فدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكانت لها صُفَّةٌ في جانب البيت سترت جدارها بستر رقيق فيه نقش أوتصاوير ،فلما أن أبصره رسول الله صلى الله عليه و سلم غضب لذلك وهتكه إنكاراً له ، فجعلت التصاوير في البسط والوسادة التي توطأ ذلا وامتهاناً لها (١).

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : أن التصوير كبيرة من الكبائر متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد و صنعته حرام لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى (٢)

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: السَّهوةُ حائطٌ صغيرٌ يُبنيَ بين حائطَي البيت ويُجعلُ السقفُ على الجميع، فما كان وسَط البيت فهو سَهْوةٌ، وما كان داخِلَه فهو المُخْدَع (٣)

القرام ، أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حزّ أو قطعٍ في شيء ، قَرْم أنفِ البعير قطعُ جُليدةٍ منه للسِّمة والعلامةِ وتلك القُطَيعة القُرامة ، والقِرَام ما لَزِق بالتَّنُّور من الخبز والقِرام السِّتْر: الرّقيق كأنَّه شيءٌ قد غُشِّيَ به الباب، فهو كالقُرمة التي تُقرَم من أنف البعير.(٤)

والمضاهاة هي مشاكلَة الشيء بالشيء، ومعارَضَتُه. وفلان ضَهِيُّ فلانٍ أي نظيرُه وضَاهَأْتُ الرجل وضاهَيْتُه أي شابَهْتُه (٥)

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : فتح الباري - ابن حجر العسقلاني (١٠ / ٣٨٦)
(٢)ينظر : المنهاج ، النووي (١٤ /٨١)
(٣)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة(س.ه.و)
(٤)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس مادة (ق.ر.م)
(٥)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ض.ه.ي)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

- النداء للتنبيه إنكاراً للفعل .
- أشد ،صيغة تفضيل ،وهي نكرة في تقدمها على الخبر زيادة في التوكيد والتشويق لمعرفة الخبر المسند ليها.
- و"أل" لإفادة العموم في " الناس "
- التنكير في "عذابا" للتهويل ، فلم يبين نوع العذاب أو صفته وذلك للترهيب من شأن التصوير
- جملتي " عند الله ، يوم القيامة "([1])إطناب وزيادة بالإيغال([2])للتعظيم،

"الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ "

"المضاهاة " الدقة في اختيار اللفظة المناسبة للسياق ، وحاق اللفظ بدقة مدلوله يخرج من اختلاف العلماء حول حكم التصوير والصور([3])لأن المضاهاة معارضة ومناظرة فوق المشابهة ، فهي أقوى في التعبير من لفظة "المشابهة " التي ترادفها التي ذكرها كثير من علماء الحديث في شروحاتهم ،وبتأمل السياقات التي وردت فيه كل من اللفظتين في بيان النبوة ، يظهر لنا مدى مطابقة لفظة "المضاهاة " مع السياق في هذا الموضع ،والمدلول الذي ترمي إليه ، فقد جاءت كلمة "المشابهة" في بيان النبوة في عدة مواضع ، ولم يكن يحسن استبدالها أو الاستعاضة عنها بكلمة المضاهاة ، مما يدلل على وجود فارق بين الكلمتين يقتضيه السياق .

ومن ذلك قوله ﷺ وقد سئل أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ فَقَالَ " تَرِبَتْ يَدَاكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا "([4])بكلمة المشابهة ، وليس المضاهاة ، ومنه قوله صلى الله عليه و سلم لِجَعْفَرٍ رضي الله عنه " أَشْبَهْتَ خَلْقِى وَخُلُقِى »([5])و في سياق حديثه ﷺ عن متاع أهل الجنة ،

---

(١) جملة " عند الله " ليست في البخاري ينظر : باب اللباس [٥٩٥٤]

(٢)والإيغال هو " أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى اخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا، وأصل الكلمة من قولهم: أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه ينظر : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ،أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (١ / ١٥) (٩٤) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ، المكتبة العنصرية ، ١٤١٩هـ

(٣)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٤ / ٩٨)

(٤) مسلم ـ باب الحيض [٧٣٨]

(٥) البخاري ـ باب المغازي ـ [٤٢٥١]

حديث سأورد النص كاملا لما يتسم به من بهاء وجمال "جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ ثُمَّ قَالَ الأَعْرَابِىُّ فِيهَا فَاكِهَةٌ قَالَ « نَعَمْ وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى ». فَذَكَرَ شَيْئاً لاَ أَدْرِى مَا هُوَ. قَالَ أَىُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ قَالَ « لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ ». فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « أَتَيْتَ الشَّامَ ». فَقَالَ لاَ. قَالَ « تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ وَيَنْفَرِشُ أَعْلاَهَا ». قَالَ مَا عِظَمُ أَصْلِهَا قَالَ « لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَماً ». قَالَ فِيهَا عِنَبٌ قَالَ « نَعَمْ ». قَالَ فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ قَالَ « مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ وَلاَ يَفْتُرُ ». قَالَ فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ قَالَ « هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْساً مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيماً ». قَالَ نَعَمْ. قَالَ « فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ قَالَ اتَّخِذِى لَنَا مِنْهُ دَلْواً ». قَالَ نَعَمْ. قَالَ الأَعْرَابِىُّ فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِى وَأَهْلَ بَيْتِي. قَالَ « نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ " [١] وبتأمل تلك السياقات ندرك كيف إنها تتناسب مع كلمة "المشابهة " من المضاهاة ، وما ذاك إلا لأن تلك السياقات لم تكن تحمل معنى المعارضة والمناظرة والخصومة ، التي تدل عليها كلمة المضاهاة ، ومن ذلك تجد الباحثة " والله أعلم " أن استخدام كلمة مشابهة عوضاً عن المضاهاة لا يعد صواباً تاماً والعكس قد يكون صحيحاً ، ففي كل تصوير مشابهة وليست كل التصاوير مضاهاة .

ولذلك " قيل هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر، له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره فأما من لم يقصد بها العبادة لا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير "[٢]

"بِخَلْقِ اللهِ "[3]

- الْبَاء فِي بِخَلْقِ الله جاءت بِمَعْنَى فِي
- وفي إسناد لفظ الجلالة للمصدر "خَلْق" في " خلق الله " تعظيم مقصود، مبالغة في الزجر.

❧ ❧ ❧

عوامل الانسجام والتماسك النصي : منها الإحالة بالضمائر في " عَلَيَّ ،سَتَرْتُ ،لِي ،فِيهِ ،رَآهُ ،هَتَكَهُ ،وَجْهُهُ ،فَقَطَعْنَاهُ ،فَجَعَلْنَا ،مِنْهُ "

والإحالة بالموصولية في " الَّذِينَ يُضَاهُونَ "

ومنها العطف في " وَقَدْ سَتَرْتُ ، فَلَمَّا، وَتَلَوَّنَ، وَقَالَ، فَقَطَعْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا، أَوْ وِسَادَتَيْنِ."

ومنها المقارنة في " أشد"

---

(١)مسند أحمد - [١٨١٠٩]

(٢)ينظر : المنهاج ، أبو زكريا النووي (١٤ /٩١)

(٣) جاء فيه اختلاف نظمي ،في رواية عند النسائي - باب الزينة [٥٣٨٠] " الَّذِينَ يُضَاهُونَ اللهَ فِي خَلْقِهِ " وبه فسر العلماء المقصود بالباء في قوله "بِخَلْقِ اللهِ "

* * *

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في الخطاب هو استخدام صيغة التفضيل "أشد " التي جاءت في افتتاح الخطاب بنبرة عالية توحي بالتهويل والترهيب ، ثم جاءت لفظة المضاهاة في إشارة دقيقة للفعل المنهي عنه ، وكان للتعميم والتنكير دورٌ بارز في الترهيب كما كان للإطناب اثر بارز بما حواه من تأكيد وتعظيم وتفخيم وقد سبق كل ذلك بأسلوب النداء ، الذي كان له أثره في تنبيه للمخاطب إلى مصدر الخطاب وموضوعه .

وندرك كيف أن الألفاظ بما اتسمت به من القوة والجزالة كان لها أثر بالغ في توجيه الخطاب إلى معانيه الدالة عليه ، وقد خلا الخطاب من التصوير والبديع موافقاً بذلك مقتضى الحال ، فرسول الله ﷺ يخاطب في شيء ينزعه بيده مما لا يحتاج إلى بيان .

وقد جاءت المعاني تسهم في تعميق عقيدة المسلم ، وهي معان عميقة تتميز بالأصالة .

١٢. الترهيب من بكاء الميت

قَالَتْ أُمُّ سلمه لَمَّا مَاتَ أبو سلمه قُلْتُ غرِيبٌ وَفِى أَرْضِ غُرْبَةٍ لأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ. فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِى فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَالَ « أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِى الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ ». مَرَّتَيْنِ فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : مات أبو سلمه عبد الله بن أسد المخزومي في أرض المدينة وهو من أهل مكة[١]، بعد أن انتقض له جرح كان قد اندمل ، فحزنت لذلك أم سلمه حزناً شديداً وتهيأت لبكائه ، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم واقفاً بالباب فإذا امرأة تقبل من أعالي المدينة تريد أن تشارك في البكاء وتنوح مع النائحات ، على عادات الجاهلية فاستقبلها رسول الله ﷺ بخطابه .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : تحريم النوح والندب والبكاء على الميت[٢]والحث على الصبر احتساباً للأجر.

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: الصَّعِيدُ: الطريقُ يكون واسعاً وضَيِّقاً. والصَّعيدُ: القبر. مأخوذ من الصَّعيدِ وهو التراب

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

« أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِى الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ »

- أسلوب استفهام الغرض منه التقريع والتوبيخ .

---

(١)ينظر : المنهاج ، أبو زكريا النووي (٦ /٢٢٥)
(٢)ينظر : السابق نفسه

- « أنْ تُدْخِلِى الشَّيْطَانَ »، مجاز مرسل علاقته السببية والمقصود أن تدخلي أفعال الشيطان من نياحة وعويل ودعاء الشيطان سببه، أفعال كانت من عادات الجاهلية ، كلها وحي من الشيطان ، وفي وصفها بذلك تثقيف نفسي عميق الدلالة للترهيب والتنفيرمن إتيان هذا الفعل ،وهو ما جعل أم سلمه تقول أنها كفت عن البكاء منذ ذلك الحين .
- « بَيْتًا » التنكير يدل على الشمول والعموم فالنهي يشمل كل بيوت المسلمين ، في كل زمان ومكان ، وقد يكون للتخصيص نوع من الخصوصية والتشريف لهذا البيت .
- « أَخْرَجَهُ " والهاء عائدة على الشيطان والمقصود به الكفر والجاهلية بعادتها الذميمة وفيه مجاز كذلك
- « أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْهُ " إسناد الفعل إلى الله تعالى يتضمن معاني القضاء والإرادة ، والخشية والخوف ، فهي إرادة الله أن كتبهم من المهتدين ، وعليك أن تخشي سخط الله وعذابه.

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي : منها الإحالة بالضمائر في " قُلْتُ ، لأَبْكِيَنَّهُ ، فَكُنْتُ ، تَهَيَّأَتْ ، تُسْعِدَنِى ، فَاسْتَقْبَلَهَا ، أَتُرِيدِينَ ، تدخلي ،أخرجه ، منه ، فَكَفَفْتُ "

والعطف " وَفِى ،فَكُنْتُ ،فَاسْتَقْبَلَهَا ،وَقَالَ ،فَكَفَفْتُ ،فَلَمْ "

ومنها التكرار في " لِلْبُكَاءِ ،لأَبْكِيَنَّهُ، بُكَاءً ،عَنِ الْبُكَاءِ"

والتوكيد في " لأَبْكِيَنَّهُ، قَدْ تَهَيَّأَتْ، أَنْ تُسْعِدَنِى، أَنْ تُدْخِلِى "

ومن عوامل الحبك الطباق في " تُدْخِلِى ، أَخْرَجَهُ "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني القائم بالخطاب المجاز المرسل في جعل ما دخلت به دخولاً بالشيطان ،وهو مجاز عميق الدلالة يصح أن يطلق على كل منكر تقوم به النساء لبعضهن البعض بداعي المحبة والتعاون والأصل في سببه الشيطان ليس أكثر والأمثلة على ذلك مما لا يقع تحت حصر

وقد جاءت الألفاظ واضحة سهلة لا غموض فيها ولا تعقيد

كما جاءت المعاني تتسم بالسمو والرفعة فهي تدعو إلى الإيمان بالقضاء والقدر وترك دعاوي الجاهلية مما لا نفع له، كما أنها تتسم بالصدق والواقعية .

المبحث الثاني

الخطاب النبوي للمرأة في شأنها الخاص في سياقات التثقيف النفسي .

أولا : مجالاتُ الخطابِ وَ ما اشْتملت عليه من الأحاديث النبويّة

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أولا : مجالاتُ الخطابِ

أ- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن الخاص في مجال الترغيب .

١٣. أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ. فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي. فأذن لها. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتة. قالت فقال لها رسول الله ﷺ "أي بنية! ألست تحبين ما أحب؟" فقالت: بلى. قال "فأحبي هذه" قالت، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت. وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء. فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله! لا أكلمه فيها أبدا. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب. وأتقى لله. وأصدق حديثا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد كانت فيها. تسرع منها الفيئة. قالت، فاستأذنت على رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها. على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت ثم وقعت بي. فاستطالت علي. وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحيت عليها. قالت فقال رسول الله ﷺ وتبسم "إنها ابنة أبي بكر".[1]

١٤. عن عائشة أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة. فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.
قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث. على رأس جبل وعر. ولا سهل فيرتقى. ولا سمين فينتقل.

---

١ في مسند أحمد[٢٤٥٧٥]مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل عائشة رضي الله عنها[٢٤٤٢]النسائي كتاب عشرة النساء في حب الرجل بعض الأخذ أكثر من بعض[٣٩٤٤]

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره. إني أخاف أن لا أذره. إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق. إن أنطق أطلق. وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة. لا حر ولا قر. ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد. وإن خرج أسد. ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف. وإن شرب اشتف. وإن اضطجع التف. ولا يولج الكف. ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء. كل داء له داء. شجك أو فلك. أو جمع كلالك.

قالت الثامنة: زوجي، الريح ريح زرنب. والمس مس أرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد. طويل النجاد. عظيم الرماد. قريب البيت من النادي.

قالت العاشرة: زوجي مالك. وما مالك؟ مالك خير من ذلك. له إبل كثيرات المبارك. قليلات المسارح. إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع. فما أبو زرع؟ أناس من حلي أذني. وملأ من شحم عضدي. وبجحني فبجحت إلي نفسي. وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق. فعنده أقول فلا أقبح. وأرقد فأتصبح. وأشرب فأتقنح.

أم أبي زرع. فما أم أبي زرع؟ عكومها رداح. وبيتها فساح.

ابن أبي زرع. فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسل شطبة. ويشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع. فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها. وملء كسائها وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع. فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثا. ولا تنقث ميرتنا تنقيثا. ولا تملأ بيتنا تعشيشا.

قالت: خرج أبو زرع و الأوطاب تمخض. فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين. يلعبان من تحت خصرها برمانتين. فطلقني ونكحها. فنكحت بعده رجلا سريا. ركب شريا. وأخذ خطيا. وأراح علي نعما ثريا. وأعطاني من كل رائحة زوجا. قال: كلي أم زرع وميري أهلك. فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"[١]

١ البخاري كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل[٥١٨٩]، مسلم كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع[٢٤٤٨]النسائي في السنن الكبرى كتاب عشرة النساء في شكر المرأة لزوجها[٩٠٨٩]

ب-أحاديث التثقيفُ النفسيُ في الشأن الخاص في مجال الترهيب

١٥. عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ الأخذ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَعَهُ - قَالَتْ عَائِشَةُ - فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِى غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِى فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِى هَوْدَجِى وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِى أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِى فَإِذَا عِقْدِى مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِى فَحَبَسَنِى ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِى فَحَمَلُوا هَوْدَجِى فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِى الَّذِى كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّى فِيهِ - قَالَتْ - وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِى بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِى فَيَرْجِعُونَ إِلَىَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِى مَنْزِلِى غَلَبَتْنِى عَيْنِى فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِىُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِىُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِى فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِى فَعَرَفَنِى حِينَ رَآنِى وَقَدْ كَانَ يَرَانِى قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَىَّ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِى فَخَمَّرْتُ وَجْهِى بِجِلْبَابِى وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِى كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِى الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِى شَأْنِى وَكَانَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىِّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِى قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ وَلاَ أَشْعُرُ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِى فِى وَجَعِى أَنِّى لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- اللُّطْفَ الَّذِى كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِى إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ « كَيْفَ تِيكُمْ ». فَذَاكَ يَرِيبُنِى وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِى أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا وَلاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِى التَّنَزُّهِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِىَ بِنْتُ

أبِى رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِى رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِى مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. قَالَتْ أَىْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِى مَا قَالَ قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ قَالَتْ فَأَخْبَرَتْنِى بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِى فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ « كَيْفَ تِيكُمْ ». قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِى أَنْ آتِىَ أَبَوَىَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا. فَأَذِنَ لِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَجِئْتُ أَبَوَىَّ فَقُلْتُ لأُمِّى يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِى عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا - قَالَتْ - قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِى وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلِىَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْىُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِى فِرَاقِ أَهْلِهِ - قَالَتْ - فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِالَّذِى يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِى يَعْلَمُ فِى نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ - قَالَتْ - فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَرِيرَةَ فَقَالَ « أَىْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِى الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ - قَالَتْ - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ ابْنِ سَلُولَ - قَالَتْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِى مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِى أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِى إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِى إِلاَّ مَعِى ». فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِىُّ فَقَالَ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ - قَالَتْ - فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ - قَالَتْ - وَبَكَيْتُ يَوْمِى ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِى الْمُقْبِلَةَ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَاىَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِى فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِى وَأَنَا أَبْكِى اسْتَأْذَنَتْ عَلَىَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِى

- قَالَتْ - فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ - قَالَتْ - وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِى مُنْذُ قِيلَ لِى مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِى شَأْنِى بِشَىْءٍ - قَالَتْ - فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ». قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِى حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِى أَجِبْ عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فِيمَا قَالَ. فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ لأُمِّى أَجِيبِى عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّى وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِى نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّى بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِى بِذَلِكَ وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِى وَإِنِّى وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِى وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِى - قَالَتْ - وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِى بِبَرَاءَتِى وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِى شَأْنِى وَحْىٌ يُتْلَى وَلَشَأْنِى كَانَ أَحْقَرَ فِى نَفْسِى مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِىَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِنِّى كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِى النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِى اللَّهُ بِهَا قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ -ﷺ- فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْىِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِى الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَيْهِ - قَالَتْ - فَلَمَّا سُرِّىَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ « أَبْشِرِى يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ ». فَقَالَتْ لِى أُمِّى قُومِى إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ بَرَاءَتِى - قَالَتْ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ بَرَاءَتِى - قَالَتْ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِى قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى) إِلَى قَوْلِهِ (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِى. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِى كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِىِّ -ﷺ- عَنْ أَمْرِى « مَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ ». فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِى سَمْعِى وَبَصَرِى وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِىَ الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْ

أَزْوَاجِ النَّبِىِّ -ﷺ- فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ. قَالَ الزُّهْرِىُّ فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ.[1]

١٦. عَنْ أَنَسٍ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِىءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ. قَالَ « مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ ». قَالَ أَوْ قَالَ « عَلَىَّ ». قَالَ قَالُوا أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ « لاَ ». قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِى لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-.[2]

١٧. قالت عائشة: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ ! قلنا: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع. فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج. ثم أجافه رويدا. فجعلت درعي في رأسي، واختمرت، وتقنعت إزاري. ثم انطلقت على أثره. حتى جاء البقيع فقام. فأطال القيام. ثم رفع يديه ثلاث مرات. ثم انحرف فانحرفت. فأسرع فأسرعت. فهرول فهرولت. فأحضر فأحضرت. فسبقته فدخلت. فليس إلا أن اضطجعت فدخل. فقال "ما لك ؟ يا عائش ! حشيا رابية!" قالت: قلت: لا شيء. قال "لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير" قالت: قلت: يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ! فأخبرته. قال "فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟" قلت: نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعتني. ثم قال "أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟" قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله. نعم. قال "فإن جبريل أتاني حين رأيت. فناداني. فأخفاه منك. فأجبته. فأخفيته منك. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك. وظننت أن قد رقدت. فكرهت أن أوقظك. وخشيت أن تستوحشي. فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم". قالت: قلت: كيف أقول لهم ؟ يا رسول الله ! قال "قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين. وإنا، إن شاء الله، بكم للاحقون".[3]

---

١ مسلم كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف [٢٧٧٠]النسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء باب حديث الإفك[٨٨٨٢]البخاري كتاب المغازي باب حديث الإفك[٤١٤١]في مسند أحمد [٢٥٦٢٣]

٢ مسلم كتاب السلام باب السم [٢١٩٠]البخاري كتاب الهبة وفضلها باب قبول الهدية من المشركين [٢٦١٧] بلفظ في مسند أحمد[١٣٢٨٥]بلفظ أبي داود كتاب الديات باب فيمن سقي رجلا سما [٤٥٠٨]

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها[٩٧٤] ، النسائي في السنن الكبرى كتاب الجنائز الاستغفار للمؤمنين[٢١٧٥] ، مسند أحمد[٢٥٨٥٥]

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أ- أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن الخاص في مجال الترغيب

١٣. الترغيب في حب عائشة " احبي هذه"

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ. فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي. فأذن لها. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتة. قالت فقال لها رسول الله ﷺ "أي بنية! ألست تحبين ما أحب؟" فقالت: بلى. قال "فأحبي هذه" قالت، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ. فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت. وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء. فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله! لا أكلمه فيها أبدا. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ. ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب. وأتقى لله. وأصدق حديثا. وأوصل للرحم. وأعظم صدقة. وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد كانت فيها. تسرع منها الفينة. قالت، فاستأذنت على رسول الله ﷺ. ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها. على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت ثم وقعت بي. فاستطالت علي. وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحيت عليها. قالت فقال رسول الله ﷺ وتبسم "إنها ابنة أبي بكر".

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : قصة دارت أحداثها في بيت النبوة[١]وقد اتضح كثير من أطرافها فيما أتت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من بيان خالد ، تجلى بين طياته خطاب رسول لله صلى الله عليه و سلم لابنته فاطمة رضي الله عنها ، ثم خطابه لزوجه عائشة رضي الله عنها.

المقصد الكلي لنص الخطاب : كما أورده مسلم في صحيحه هو باب في بيان فضل عائشة رضي الله عنها[٢]وبيان مكانة ابنته فاطمة رضي الله عنها .

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

"أي بنية! ألست تحبين ما أحب؟" فقالت: بلى. قال "فأحبي هذه"

- أي ، أداة لنداء القريب ، ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وهي هنا مناسبة جداً للسياق المكاني للخطاب ، فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها في مضجعها بجوار رسول لله صلى الله عليه و سلم ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن عمق مشاعر القرب بينه وبين ابنته ، ووطد عرى التواصل باستخدام أداة النداء هذه .
- و"بنية" عدل عن التصريح بالاسم إلى الكنية ،فهي الابنة ومالها من مكانة متأصلة ، ثم جاء التصغير للتمليح ،وكلها أساليب من بلاغة القول تعمق التثقيف النفسي وتعمق مشاعر القرب ،وتهيأ للرضا والقبول وترغب فيما سيأتي بعده من تكليف[٣].
- " ألست تحبين ما أحب " استفهام منفي يفيد التقرير و يؤكد سمو العلاقة القائمة بين الابنة وأبيها ، فهي تحب ما يحب مطلقاً .
- "فأحبي هذه" أمر والفاء التي وقعت في جواب الطلب لتربط بين الطلب وجوابه .
- "تحبين ، أحبُ ، أحبي" جناس اشتقاق [٤]جاءت الكلمات من جزر واحد لمعانٍ مختلفة وظاهرما لهذا اللون البديعي من جمال الجرس وعذوبة اللحن مع أهميته في إبراز المعنى وتأكيده ،ثم ما يتركه لدى المتلقي من تثقيفٍ نفسيٍ بهيج .

---

(١)ينظر : عمدة القارئ (٢٠ / ٨٩) ، المنهاج ،للنووي (١٥ / ٢٠٣)
(٢)ينظر : المنهاج، للنووي (١٥ / ٢٠٣)
(٣)لم أدرج هذا الخطاب في باب التثقيف المقترن بالتكليف ، لان التكليف هنا مختص بأمر قلبي
(٤)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (١٢٢/١) ، خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) (٦٣/١) تحقيق: عصام شوقي ، بيروت ، مكتبة الهلال ،٢٠٠٤م

"إنها ابنة أبي بكر"

- إسناد خبري مؤكد لإنزال المخاطب العالم بالخبر منزلة غير العالم ،فيلقى إليه الخبر لعدم قيامه بموجبه على سبيل التوبيخ والتوجيه.
- التأكيد " إنها ابنة أبي بكر" لإثبات المدح بدلاً من قولهم في مقام الشكوى "ابنة أبي قحافة " وفي ذلك يقول الشيخ العيني "وفيه لطيفة أخرى هي أنه نسبها إلى أبيها في معرض المدح ونسبت فيما تقدم إلى أبي قحافة حيث لما أريد النيل منها"(١)

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " معي ،مرطي ،لها ،أزواجك ،أرسلنني،إليك يسألنك ،وأنا ،لها، ألست ،تحبين ،فأحبي ،فأخبرتهن ،فقلن ،نراك ،أغنيت ،عنا فارجعي ،فقولي ،أزواجك ،ينشدنك ،أكلمه ،فيها ،تساميني ،منهن ،فيها ،منها ،مرطها بها، لها ،يسألنك ،بي ،علي ،وأنا ،طرفه ،لي ،فيها ،عرفت ،يكره ،وقعت ،بها ،أنشبها ،أنحيت ،إنها "
والإحالة بالإشارة في " أحبي هذه ، سمعت ذلك "
والإحالة بالموصولية في " ما أحب ،بالذي قالت، وبالذي قال، التي كانت، الذي تصدق به ، التي دخلت فاطمة"
والعطف في " فاستأذنت ،فأذن ،فقالت ،فأحبي ،فقامت ،فرجعت ،فأخبرتهن ،فقلن فارجعي ،فقولي ،فأرسل ،ولم ار ،وأتقى ،وأصدق ،وأوصل ،وأعظم، وأشد ،وتقرب ثم وقعت بي ،فاستطالت ،وأنا، وتبسم "
وجاء التكرار في " أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ،إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة "وفي " فاستأذنت، فأذن لها ، يأذن" وفي " وقعت بي ، وقعت بها" وكذلك في " مرطها، ومرطي "
والتوكيد في " إن أزواجك ،أن رسول الله ﷺ لا يكره، أن أنتصر ، إنها "
والتفضيل في " أتقى ،وأصدق ،وأوصل ،وأعظم ،وأشد "

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢٠ / ٩٢)

ارتكز الخطاب على عدة أساليب ملتحمة ساهمت في إبراز فحوى الخطاب ، ولعل أبرزها النداء بأي للتقريب ثم ما تلاه من أساليب التقريب .وكان للاستفهام التقريري أثره في تأكيد الخطاب

وقد ظهر في النص أثر جناس الاشتقاق من ألوان البديع المتناغم مع السياق في غير تكلف ، في حين خلا الخطاب من عنصر التصوير ، أما الألفاظ فاتسمت بالسلاسة والوضوح والبعد عن التكلف وكذلك جاءت المعاني سهلة متناولة تنصب في واقع حياة المرأة .

١٤. الترغيب في ذكر حسن المعاشرة "كنت لك كأبي زرع"

عن عائشة أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة. فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث. على رأس جبل وعر. ولا سهل فيرتقى. ولا سمين فينتقل.
قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره. إني أخاف أن لا أذره. إن أذكره أذكر عجره وبجره.قالت الثالثة: زوجي العشنق. إن أنطق أطلق. وإن أسكت أعلق.قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة. لا حر ولا قر. ولا مخافة ولا سآمة.قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد. وإن خرج أسد. ولا يسأل عما عهد.قالت السادسة: زوجي إن أكل لف. وإن شرب اشتف. وإن اضطجع التف. ولا يولج الكف. ليعلم البث.قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء. كل داء له داء. شجك أو فلك. أو جمع كلالك.قالت الثامنة: زوجي، الريح ريح زرنب. والمس مس أرنب.قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد. طويل النجاد. عظيم الرماد. قريب البيت من النادي.قالت العاشرة: زوجي مالك. وما مالك؟ مالك خير من ذلك. له إبل كثيرات المبارك. قليلات المسارح. إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع. فما أبو زرع؟ أناس من حلي أذني. وملأ من شحم عضدي. وبجحني فبجحت إلي نفسي. وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق. فعنده أقول فلا أقبح. وأرقد فأتصبح. وأشرب فأتقنح.أم أبي زرع. فما أم أبي زرع؟ عكومها رداح. وبيتها فساح.ابن أبي زرع. فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسل شطبة. ويشبعه ذراع الجفرة.بنت أبي زرع. فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها. وملء كسائها وغيظ جارتها. جارية أبي زرع. فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثا. ولا تنقث ميرتنا تنقيثا. ولا تملأ بيتنا تعشيشا.قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض. فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين. يلعبان من تحت خصرها برمانتين. فطلقني ونكحها. فنكحت بعده رجلا سريا. ركب شريا. وأخذ خطيا. وأراح علي نعما ثريا. وأعطاني من كل رائحة زوجا. قال: كلي أم زرع وميري أهلك. فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر انية أبي زرع.**قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ " كنت لك كأبي زرع لأم زرع"** (١)

---

(١) سأكتفي في تحليل هذا الحديث بمقولة رسول الله صلى الله عليه و سلم في خطابه لزوجه عائشة رضي الله عنها ، وأما كلام النسوة فهو أولاً ليس مدار بحثنا ، وثانياً قد بسط القول عن معانيه في كتب الحديث .

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم مثلا لتعامله مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بابي زرع وزوجه أم زرع ، لما اتصف به من صفات جعلته نموذجاً متميزاً بين باقي الأزواج

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : جاء خطاب الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها تطيباً لنفسها ، وبياناً لحسن عشرته لها[1]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"كنت لك كأبي زرع لأم زرع"

- التعبير بصيغة الماضي "كنت " لبيان تحقق وقوعه
- تمثيل ،حيث شبه رسول الله ﷺ علاقته بزوجه بأبي زرع وذلك في وفير إحسانه لزوجه وفرط محبة زوجه له.
- الإيجاز البليغ ، وهو من إيجاز الحذف لعموم الفائدة ولما في التفصيل من خروج عن الغرض الحقيقي من التشبيه .

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي : الخطاب مع إيجازه توفرت فيه من عوامل السبك الإحالة بالضمائر فجاءت في " لي ، كنت ،لك "
والتمثيل في " كأبي زرع "
ولحروف الجر دلالة سياقية تحدث نوعاً من التماسك والترابط بين أجزاء النص وذلك ما يظهر في " لي ، لك ، كأبي ، لأم "

❧ ❧ ❧ .

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على التمثيل الذي عزز معنى التثقيف النفسي ، من شعور بالأمن النفسي والارتياح والطمأنينة تجاه الزوج .

---

(١)ينظر :عمدة القارئ ، للعيني (٢٩ / ٤٣٧)

يؤكد ذلك استخدام صيغة الماضي كنت للدلالة على حدوثه في الحال و الاستقبال للتوكيد .
وقد اتسم الخطاب بالإيجاز وخلا من التكلف البديعي والغموض اللفظي
أما المعاني جاءت واقعية مستمدة من حياة المرأة وحاجتها إلى التسرية والتلطف من قبل زوجها .

ب ـ أحاديث التثقيفُ النفسيُّ في الشأن الخاص في مجال الترهيب

١٥. الاستجواب والتحري في حديث الإفك" للترهيب

عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ الأخذ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَعَهُ - قَالَتْ عَائِشَةُ - فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِى غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِى فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِى هَوْدَجِى وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِى أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِى فَإِذَا عِقْدِى مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِى فَحَبَسَنِى ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِى فَحَمَلُوا هَوْدَجِى فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِىَ الَّذِى كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّى فِيهِ - قَالَتْ - وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِى بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِى فَيَرْجِعُونَ إِلَىَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِى مَنْزِلِى غَلَبَتْنِى عَيْنِى فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِىُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِىُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِى فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِى فَعَرَفَنِى حِينَ رَآنِى وَقَدْ كَانَ يَرَانِى قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَىَّ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِى فَخَمَّرْتُ وَجْهِى بِجِلْبَابِى وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِى كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِى الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِى شَأْنِى وَكَانَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِى قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ وَلاَ أَشْعُرُ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِى فِى وَجَعِى أَنِّى لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- اللُّطْفَ الَّذِى كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِى إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ « كَيْفَ تِيكُمْ ». فَذَاكَ يَرِيبُنِى وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِى أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا وَلاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِى التَّنَزُّهِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِىَ بِنْتُ أَبِى رُهْمِ بْنِ

الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِى رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِى مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. قَالَتْ أَىْ هَنْتَاهُ أَوَلَمْ تَسْمَعِى مَا قَالَ قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ قَالَتْ فَأَخْبَرَتْنِى بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِى فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ « كَيْفَ تِيكُمْ ». قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِى أَنْ آتِىَ أَبَوَىَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا. فَأَذِنَ لِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَجِئْتُ أَبَوَىَّ فَقُلْتُ لأُمِّى يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِى عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا - قَالَتْ - قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِى وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلِىَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْىُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِى فِرَاقِ أَهْلِهِ - قَالَتْ - فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِالَّذِى يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِى يَعْلَمُ فِى نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ - قَالَتْ - **فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَرِيرَةَ فَقَالَ « أَىْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ». قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِى الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ** - قَالَتْ - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ ابْنِ سَلُولَ - قَالَتْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِى مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِى أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِى إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِى إِلاَّ مَعِى ». فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِىُّ فَقَالَ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ - قَالَتْ - فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ - قَالَتْ - وَبَكَيْتُ يَوْمِى ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِى الْمُقْبِلَةَ لاَ يَرْقَأُ لِى دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَاىَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِى فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِى وَأَنَا

أَبْكِى اسْتَأْذَنَتْ عَلَىَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِى - قَالَتْ - فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صل الله عليه وسلم - فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ - قَالَتْ - وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِى مُنْذُ قِيلَ لِى مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِى شَأْنِى بِشَىْءٍ - قَالَتْ - **فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ « أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ »**. قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِى حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِى أَجِبْ عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فِيمَا قَالَ. فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ لأُمِّىَ أَجِيبِى عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّى وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِى نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّى بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِى بِذَلِكَ وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِى وَإِنِّى وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِى وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أبو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِى - قَالَتْ - وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّى بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِى بِبَرَاءَتِى وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِى شَأْنِى وَحْىٌ يُتْلَى وَلَشَأْنِى كَانَ أَحْقَرَ فِى نَفْسِى مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِىَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِنِّى كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِى النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِى اللَّهُ بِهَا قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ -ﷺ- فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْىِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِى الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَيْهِ - قَالَتْ - فَلَمَّا سُرِّىَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ « أَبْشِرِى يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ ». فَقَالَتْ لِى أُمِّى قُومِى إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ بَرَاءَتِى - قَالَتْ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ بَرَاءَتِى - قَالَتْ - فَقَالَ أبو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِى قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبَى) إِلَى قَوْلِهِ (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَ أبو بَكْرٍ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِى. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِى كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِىِّ -ﷺ- عَنْ أَمْرِى « مَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ ». فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِى سَمْعِى وَبَصَرِى وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا. قَالَتْ

عَائِشَةُ وَ هِىَ الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ -ﷺ- فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ. قَالَ الزُّهْرِىُّ فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ.

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : تمثل خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياق التثقيف النفسي للترهيب ،في خطابه لبريرة جارية عائشة رضي الله عنهما يستوضح منها ما تقول في عائشة ،ويرهبها من مغبة مخالفة الواقع ،فيما تدلي به من قول، ثم في خطابه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن نقهت من مرضها وقد عرفت بما يخوض الناس فيه من إفك للأمر نفسه .

المقصد الكلي لنص الخطاب : الثقة بالله مع التثبت والتحري والاستجواب عند التهم ، وبيان موقف النبي صلى الله عليه و سلم في حادثة الإفك[1].

المعجمُ اللُّغويُّ :

ارْتَبْتُ فلاناً أي اتَّهمْتُه. ورابني الأمرُ رَيْباً أي نابَنِي وأَصابني. ورابني أمرُه يَرِيبُني أي أدخل عليَّ شَرّاً وخَوْفاً ورابَني فلان يَرِيبُني إذا رأَيت منه ما يَرِيبُك، وتَكْرَهُه.
وهذيل تقول: أَرابَني فلان، وارْتابَ فيه أي شَكَّ. واسْتَرَبْتُ به إذا رأَيتَ منه ما يَرِيبُك.
وأَرابَ الرجلُ: صار ذا رِيبةٍ، فهو مُرِيبٌ. بمعنى الشَّكِّ مع التُّهمَةِ؛ تقول: رابني الشيءُ وأَرابني، بمعنى شَكَّكَنِي؛ وقيل: أَرابني في كذا أي شككني وأَوهَمَني الرِّيبةَ فيه، فإِذا اسْتَيْقَنْتَه، قلت: رابَني[2]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

« أَىْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ».

- أي ، لنداء القريب في خطاب الجارية وظاهر ما لهذه الصيغة في النداء من اثر في تعميق الشعور بالترابط والقرب ، وإقامة علاقة خطاب وحوار مع

---

(١)لهذا الحديث مقاصد وفوائد جمة أفاض فيها العلماء أما ما ذكرته في بحثي هو مقصد خطابه صلى الله عليه و سلم لبريرة والسيدة عائشة رضي الله عنهما ينظر : المنهاج في شرح صحيح مسلم ،للنووي (١١٦/١٧)
(٢) لسان العرب ، لابن منظور مادة (ر.ا.ب)

المخاطب ، وبريرة جارية عائشة رضي الله عنها هي حقاً مقربة ، ولها مواقف أفاض في تفصيلها العلماء ، في قصة عتق عائشة لها ،وتخييرها(١)، وشفاعة رسول الله لزوجها (٢)، وأكل رسول لله لما وهبت من طعام (٣)، فجاء خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم لبريرة في هذا السياق مناسباً لمكانتها وشأنها.

- "هَلْ رَأَيْتِ" أسلوب استفهام طلبي باستخدام الأداة هل التي تختص بالتصديق كما إنها تستخدم فيما يتوقع في جوابه النفي(٤) وقد جاء جواب بريرة كذلك منفياً بقولها : "والله ما رأيت منها "
- "يَرِيبُكِ " عدولاً عن يشك لأن الشك هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء.وأما الريب فهو شك مع تهمة (٥)فهي الدقة المتناهية في التحري .
- " مِنْ شَيْءٍ ، مِنْ عَائِشَةَ " جاء كل من الحرفين بمعنى مختلف عن الأخر فهو في الأول في "مِنْ شَيْءٍ " جاء بمعنى التبعيض (٦)أي من بعض ما اتهمت به في حادثة الإفك، بينما جاء في المعنى الثاني في " مِنْ عَائِشَةَ " بمعنى الجنس (٧)أي من ما يخص(٨)عائشة رضي الله عنها في حياتها عامة ، فباستخدام معاني الحروف في السياق أصبح للسؤال شقين ، وهذا لعمري مسلك في البيان لطيف لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم يتحرى من الجارية عن كل ماتعرفه عن زوجه عائشة رضي الله عنها ، خاصة وعامه ، ليس من شك أو ريبة ،وإنما هي البلاغة المؤاتية ،والقدوة والمثل الأعلى، حتى إذا ما جاء النفي جاء نفياً لعموم الحال ، ثم هو توجيه تربوي يرشد الأمة ، من جهة كيف تسعى للتحقق والتبين مصداقاً لقوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " ومن جهة أخرى يدل على أن في طباع المرء ما يدل على

---

(١) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب العتق ،باب بيع الولاء وهبته [٢٥٣٦]

(٢) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي في زوج بريرة [٥٢٨٣]

(٣) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب إذا تحولت الصدقة [١٤٩٥]

(٤) ينظر :المقتضب ، للمبرد (١٩٦) مصداق ذلك من كتاب الله " هل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار" سورة غافر (٤٧) ، فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨) الحاقة ، هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. سورة الروم (٤٠)

(٥) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٠٣٩) و(١٤٣)

(٦) ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني ،للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (المتوفى٧٠٢) (٣٢٣) تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ـ ط٣ ـ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م

(٧)السابق نفسه .

٨ " كثيراً ما تقترب التي للتبعيض من التي لبيان الجنس ، حتى لا يفرق بينهما إلا بمعنىً خفي ، وهو أن التي للتبعيض تقدر بـ" بعض " التي لبيان الجنس تقدر بتخصيص الشيء دون غيره "السابق نفسه

ماقد يصدر منه من تصرف ، ووعت الجارية الخطاب، وأحدث فيها المرجو من تثقيف نفسي فجاء جوابها موضحاً الشق الثاني من السؤال، مغضياً عن الأول تمام الإغضاء " أَنَّها جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِها فَتَأْتِى الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ"

فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ " أَمَّا بَعْدُ يَاعَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ"

وقد تميز الخطاب بالجدية والحزم وفيه من الأثر والتثقيف النفسي ماجعل السيدة عائشة رضي الله تستعد للمواجهة وتتهيأ نفسياً للمصاب ومقام الإستجواب والتحري وقد عبرت عن ذلك بقولها " فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِى حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً " ، فلا بكاء ولا عاطفة أنه أمر جلل وهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تجد منه ما كانت تجده من لين وشفقة وكذلك كان خطابه لها جاداً قويا حازماً صادقاً:

- تَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حين جلس ، و التشهد النطق بالشهادتين ويطلق على ما يقرأ فيه التشهد من دعاء وذكر [1]، وقد كان لافتتاح خطابه عليه الصلاة والسلام بالتشهد وذكر الله أثره ودلالته النفسية في هذا المقام لما فيه من التذكير بمقتضى الشهادتين وما يتحقق بذلك من اطمئنان واستقرار نفسي ، تستقيم به عقيدة المسلم التي هي أساس صلاح كل أمر ،فيصلح شأنه كله ، ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قوله : « كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِىَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ »[2]، أي المقطوعة ، فيتضح مافي ذلك من تثقيف نفسي للترغيب في الإقبال على خطابه صلى الله عليه و سلم ، ومما يسترعي النظر كذلك وما يجب أن يتنبه إليه المسلم أن التشهد في هذا المقام أولى من الإسترجاع بقول " إنا لله وإنا إليه راجعون ، لما في الإسترجاع من إقرار بالمصاب ، وهو ما لا يتناسب مع مقام التحري عامة ، وفي هذا الحادثة على وجه الخصوص .
- " أما بعد " أسلوب شرط ، والتقدير مهما يكن من أمر بعد في إشارة إلى ما تناقله الناس وهو أسلوب يسمى بالاقتضاب أي الاقتطاع والانتقال من موضوع لآخر دون أن تكون بينهما مناسبة([3])، وهو من بلاغة الإيجاز
- " فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى " الأسلوب مؤكد بعدة مؤكدات
- " فَإِنَّهُ "ضمير الشأن أو القصة الذي يفيد التفخيم والتعظيم [4]وهل ثمة أمر أعظم من مصاب الأمة في أمها رضي الله عنها وأرضاها.

---

١ التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرءوف المناوي (١/ ١٧٨)، تحقيق محمد رضوان الداية ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ـ،ط١ ، ١٤١٠

٢ سنن أبي داود ، الأداب [٤٨٤٣]

٣ ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني (١/ ٢٩٨)

(٤)ينظر : دلائل الإعجاز، للجرجاني (١٠٢)

- " فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً " أسلوب شرط بإن غير المقطوع بوقوع الفعل بعدها ، وهو لا يعني شكه ﷺ في براءة أم المؤمنين رضي الله عنها ، غير انه دليل على جدية الحوار بما يتناسب مع سياق الحال ، فجاء التعبير " بإن " في السياقين المتطابقين "إن كنت بريئة ، وان كنت ألممت بذنب"
- " فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ" وفيه تثقيف نفسي باعث على الطمأنينة والهدوء فبراءة البريء ظاهرة ولو بعد حين حيث جاء "بالسين" لدلالة التوكيد والاستقبال ، واختار " السين" دون "سوف" لأن "السين" أكثر قرباً مع أن "سوف" أشد تأكيداً ، كما أن مقام الإيجاز والحزن يقتضي "السين "لا كمقام التلذذ الذي يقتضي "سوف" كما في قوله تعالى :"وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى"[الضحى5]
- " وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ " غير أن ثقته صلى الله عليه و سلم بخالقه أولا ثم بزوجه الحبيبة رضي الله عنها تظهر جلية فتية في هذا السياق ،فهو يطلب منها التوبة من اللمم ومواضع الريبة ، أما كبائر الذنوب فبعيدة عنها البته ، فجاءت كلمة "ألممت " واللمم: مقاربة المعصية ، ويعبر به عن الصغيرة ومنه قوله تعالى:" الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"[النجم ٣٢] وهو من قولك: ألممت به وقاربته من غير مواقعة، ويقال: زيارته إلمام أي: قليلة [١] ولعل ذنبها في ذلك عودتها أدراجها بحثاً عن عقدها دون أن تخبر احداً بذلك ، ومن طريف ما يروى أن حادثة ضياع العقد تتكرر معها مرة أخرى غير إنها لم تنسَ الدرس ،واستفادت منه واستفادت بذلك أمة الإسلام وهو ما ذكره العلماء في سبب مشروعية التيمم.[٢]
- " فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ "الفاء سببية ، أي ليكن استغفارك لله بسبب ما ارتكبت من ذنب أو لمم
- في ذكر لفظ الجلالة ، وتكرار الذكر بعود الضمير إليه في "توبي إليه" ، تعظيم لله تعالى ، وتأكيد الحرص على رضاه ، وأن رضا الله مقدم على رضا سواه ،ولم يعرج على حقه وغضبه وغيرته كزوج، وفي ذلك معنى جلي وتثقيف نفسي ينهض بنفسه ، يخاطب به رسول الله ﷺ المرأة المسلمة ـ في كل عصر وفي هذا العصر خاصة ـ المرأة التي تحرص على رضا زوجها وتراقب سمعه وبصره غافلة عما هو أولى من ذلك من تعظيم واجب لله تعالى.
- "فَإِنَّ الْعَبْدَ " الفاء للتعليل ، والخطاب مؤكد لحاجة المقام ، فإن المذنب قد يتشكك أو يشككه الشيطان في قبول الله لتوبته حتى يتمادى ويستمر في الذنب ، مع أن نصوص القرآن واضحة في ذلك .
- "إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ " التنكير في " ذنبٌ" للبيان والعموم ، و"ثم" للترتيب مع التراخي ، لبيان كون الاعتراف سابق للتوبة ، وبيان ما بينهما من بون بحيث لا يقوم أحدهما مكان الآخر

---

(١)ينظر : معجم مفردات القرآن، مادة (ل.م.م)
(٢) ينظر : صحيح البخاري ، باب التيمم [٣٣٤]

- وفيه حذف والتقدير "ثم تاب من الذنب" لدلالة السياق ،وللإيجاز الذي يقتضيه المقام ، فليس في الأمر مايتلذذ بذكره وتكراره .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في" فَدَعَا ،رَأَيْتِ ،يَرِيبُكِ ، لَهُ، بَعَثَكَ ،رَأَيْتُ ، عَلَيْهَا ،أَغْمِصُهُ ،عليها ،أنَّهَا، أَهْلِهَا ،فَتَأْكُلُهُ ،بَلَغَنِي ،عَنْكِ ،كُنْتِ ،فَسَيُبَرِّئُكِ ،أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي ،وَتُوبِي ،إِلَيْهِ ،عَلَيْهِ "

والربط بالعطف في" فَدَعَا ،فَقَالَ، فَتَأْتِي ،فَتَأْكُلُهُ ،فَإِنَّهُ ،فَإِنْ كُنْتِ ،وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ ،فَإِنَّ الْعَبْدَ ،فَسَيُبَرِّئُكِ ،فَاسْتَغْفِرِي ،وَتُوبِي ،فَإِنَّ الْعَبْدَ ، ثُمَّ تَابَ"

وكذلك التكرار في " مِنْ شَيْءٍ ، مِنْ شَيْءٍ ، ثم مِنْ عَائِشَةَ" و" وَتُوبِي ،تَابَ ،تَابَ "

وفي" ألممت بِذَنْبٍ، اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ"

والتوكيد في " أَنَّهَا، فَإِنَّهُ ، قَدْ بَلَغَنِي، فَإِنْ كُنْتِ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ ،

والربط بين السؤال وجوابه في " هَلْ رَأَيْتِ ، قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ"

المقابلة بين " فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ".

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

جاء الخطاب في مجريين ارتكز في الأول على الاستفهام الطلبي بهل وذلك لإحداث نوع من التثقيف النفسي لبيان أهمية المستفهم عنه ، فجاء النداء بأي .

ثم ارتكز في مجراه الثاني على التوكيد لبيان اهمية موضوع الخطاب ثم تضافرت الأساليب في إبراز التوكيد على أهمية موضوع الخطاب ، كل ذلك سعياً إلى الاستفهام غير المباشر كما كان في المجرى الأول للخطاب في خطاب بريرة رضي الله عنها ، فجاء ضمير الشأن للتفخيم والتعظيم مع التأكيد على أهمية الأمر ثم جاءت أدوات التوكيد، ثم أسلوب الشرط

وكان من الطبيعي أن يخلو الأسلوب من التصوير أو التمثيل ، كما جاءت الألفاظ غاية في الدقة كما هو في لفظة "يريبك وفي " ألممت "

وجدير بنا أن نقارن بين الأساليب البلاغية والقيم التربوية في خطابه في هذا السياق لكل من بريرة ، وعائشة رضوان الله تعالى عليهن جميعاً ، الذي اتفق في المقصد والموضوع واختلف في كل ماعدا ذلك ، فكان خطابه مطابقاً لمقتضى الحال من حيث حالة المخاطبة ، "الجارية والزوجة الأثيرة " ثم "الشاهدة والمتهمة"

ومعاني هذا الخطاب الذي حمل طابع التحري والاستجواب والاستفهام جاءت قريبة متناولة مناسبة لواقع المرأة المسلمة وما قد يحدث في حياتها من وقائع ونكبات.

١٦. التحري في أمر من أرادت قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِىءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ. قَالَ « مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَلِكِ ». قَالَ أَوْ قَالَ « عَلَىَّ ». قَالَ قَالُوا أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ « لاَ ». قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِى لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : في محاولةٍ وضيعةٍ لقتل نبي الأمة محمد ﷺ أقدمت اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم بوضع السم في ذراع شاةٍ قدمتها هدية لرسول الله ﷺ الذي كان لا يرد الهدية .

تناول عليه الصلاة والسلام "ذراع الشاة "و الْتَقَم جزءاً منها قبل أن تخبره الذراع بخبر السم، فنجاه الله بعظيم قدرته ، غير أن الصحابي الجليل بشر بن البراء الذي كان قد أكل مع رسول الله ﷺ ، لم يلبث السم أن سرى في أحشائه ،فهلك من فوره وقيل بعد عام [١].

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب :

عصمته ﷺ مع تأكيد بشريته ،وأنه يتأثر بما يتأثر به البشر، وتسامحه في حق نفسه مع وفائه بحق غيره ، حيث أمر بقتل المرأة لما مات صاحبه بالسم .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ :

واللُّهيةُ العَطِيَّةُ، وقيل: أَفضل العطايا وأَجزلها.واللُّهوةُ واللُّهْوةُ: ما أَلقيْتَ في فَمِ الرَّحى من الحُبوب للطَّحْن ؛ واللَّهاةُ : لَحمة حَمْراء في الحَنك مُعَلَّقَةٌ على عَكَدَةِ اللسان، والجمع لَهَياتٌ "[٢]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)المفهم ، لشبير العثماني (٣ / ٣٦٧)

(٢)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ل.ه.ا)

ولما سال النبي عليه الصلاة والسلام اليهودية عن فعلتها([1]) كان أن أجابت بقولها أردت لأقتلك " فأي غاية أخرى يمكن أن تكون وراء استخدام السم في الطعام ، إنه القتل بأي حال.! فلم السؤال إذن ؟ جاء هذا الاستفهام تقريراً للفاعلة بجرمها واعترافاً منها به من جهة ، ومن جهة أخرى فالتقرير والاعتراف بما كانت تظن أنه يخفي ؛ يظهر لها بالغ عجزها عما أرادت ، فتكون الصدمة عليها أوقع والحسرة في قلبها أشد .

"ما كان الله ليسلطك "

- "ماكان " التي تفيد نفي الفعل الماضي القريب في الحال ، وهي غالباً ما تكون رداً على كلام قبلها كما في السياق ([2]) حيث جاءت رداً على كلام اليهودية.
- "ليسلطك" اللام لتوكيد النفي بإضمار "إن" بعدها[3] وهي لام الجحود وفرق بين أن تقول ما كنت أضربك ، وما كنت لأضربك فالفعل في الثانية بمعنى لن يكون
- عدل عن التعبير بـ" ليمكنك أو ليقدّرك " أو " ما كنت لتقتليني" إلى الفعل "سلّط" وقد جاء في اللسان "السَّلاطةُ: القَهْرُ، وقد سَلَّطَه الله فتَسَلَّطَ عليهم ، والحجة ، والسليطُ ما يُضاء به ، وهو عند عامّة العرب الزيْتُ ، واشتق السلطان من السَّليط، والسلطان قُدْرةُ الملِك "([4])

فإن بدا في ظاهر الأمر أن رسول الله ﷺ قد مات بالسم فلن يكون ذلك قهراً من الله لرسوله، ولا حجّةً ولا قوة لا سطوة ، لم تقتل اليهودية رسول الله ﷺ كما قتلت الصحابي " بشراً " ولن يكون لها ذلك النصر بحال .

حتى إذا جاء الأجل وحانت الساعة ورد عنه ﷺ أنه كان يَقُولُ فِى مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ « يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِى أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِى مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ »[5] حبس الله أثر السم رغم نفاذ مفعوله سنوات تاركاً أثره على (لهوات رسول الله ﷺ)

إنها معجزات النبوة :

---

١ في رواية البخاري ، لم يرد خطاب النبي صلى الله عليه و سلم لليهودية - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا فجيء بِهَا فَقِيلَ أَلاَ نَقْتُلُهَا . قَالَ « لاَ » . فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم ، البخاري - باب الهبة - (٢٦١٧)

(٢)ينظر : معاني النحو لسامرائي (١ / ٢٠٣)

٣ اللامات ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (المتوفى : ٣٣٧هـ) (٦٥/١) ،ت. مازن المبارك ، دار الفكر – دمشق ، ط ، الثانية ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

(٤)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (س.ل.ط)

٥ البخاري - باب المغازي [٤٤٢٨]

إعجاز علمي / توصل إليه الخبراء مؤخراً من أن هذا النوع من السم المحتوي على مادة " الزرنيخ أو القصدير" يؤدي إلى قطع شريان الأبهر بشكل مباشر وهو عرق مرتبط بالقلب.

إعجاز بلاغي /أن عبّر النبي عليه ﷺ بالفعل " سلط " دون غيره "عليّ - وعلى ذلك"

- أما قوله : "عليّ" فكما تقدم من نفي التسليط عليه ﷺ
- وأما إن كان قوله :"ما كان الله ليسلطكِ على ذلك " فالإشارة إلى إجابتها حين قالت : أريد أن أقتلك ، وهو الأولى في السياق لما تقدم من أنها لم تتمكن من قتله بل كانت سبباً حبسه الله إلى حينه .

قال انس " فمازلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه و سلم " فقد كان يرى أثرها بتغيّر لون اللّهوات أو بنتوءٍ فيها[1]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائرفي " مِنْهَا ،بِهَا، فَسَأَلَهَا ،أَرَدْتُ ،لأَقْتُلَكَ ،لِيُسَلِّطَكِ، نَقْتُلُهَا ،أَعْرِفُهَا "
والإحالة بالإشارة في " عن ذلك ،على ذلك "
ومنها العطف في " فَأَكَلَ، فَجِيءَ ، فَسَأَلَهَا ، فَقَالَتْ "
والتوكيد في " أَنَّ امْرَأَةً ، لِيُسَلِّطَكِ"

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على أسلوب النفي بما ، المؤكد بلام الجحود ، لإثبات استحالة وقوع الفعل بعدها .
وقد اتسمت الألفاظ بالجزالة ، كما خلا الخطاب من عناصر التصوير والمحسنات البديعية، وقد جاءت المعاني تلامس جانباً من حياة المرأة عندما تقدم على اقتراف هذا الجرم.

(١)ينظر :المفهم ، للقرطبي (٣ / ٣٦٧)

١٧."وجدها حشيا رابية فشرع يستجوبها " ترهيباً

قَالَتْ عَائِشَةُ أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّى وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. قُلْنَا بَلَى. قَالَ قَالَتْ لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِىَ الَّتِى كَانَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- فِيهَا عِنْدِى انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا فَجَعَلْتُ دِرْعِى فِى رَأْسِى وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِى ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى أَثَرِه حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلاَّ أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ فَقَالَ « مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً ». قَالَتْ قُلْتُ لاَ شَىْءَ. قَالَ « لَتُخْبِرِينِى أَوْ لَيُخْبِرَنِّى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ». قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى. فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ « فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِى رَأَيْتُ أَمَامِى ». قُلْتُ نَعَمْ. فَلَهَدَنِى فِى صَدْرِى لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِى ثُمَّ قَالَ « أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ ». قَالَتْ مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ نَعَمْ. قَالَ « فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِى حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِى فَأَخْفَاهُ مِنْكِ فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِى فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِىَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ». قَالَتْ قُلْتُ كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « قُولِى السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ »

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : في ليلة من ليالي النبوة و ساعة متأخرة من الليل يقص علينا هذا النص واقعة جرت في بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ولما كانت هذه الواقعة جرت في ليلة السيدة عائشة رضي الله عنها ،تولت نقل تفاصيلها إلينا بروعة بيانها ودقة تصويرها وحسن تخليصها للأحداث وذلك لما تضمنته هذه الواقعة من غزير الفائدة وعمق الدلالة .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب :

الترهيب من تتبع الزوج ، وتساؤله صلى الله عليه و سلم عن سبب ما وجد عليه زوجه من تهيج واضطراب واهتمامه[1] لذلك ، مودة ورحمة ،اثر خروجه عنها ليلا ،ثم اخباره لها عن سبب خروجه وان ذلك ماكان إلاّ استجابة لنداء ربه ، ثم حرصه صلى الله عليه و سلم على تعميق الإيمان بالله في نفس زوجه وتأكيد ثقتها بالله جل في علاه.

❧ ❧ ❧

١ من الهم والانشغال

المعجمُ اللُّغويُّ:

الحَشَى، وهو الرَّبْوُ والبُهْرُ والنَّهِيجُ الذي يَعْرِض للمُسْرِع في مِشْيَته والمُحْتَدِّ في كلامه من ارتفاع النَّفَس وتواتُره، وقيل: أَصله من إِصابة الرَّبْوِ حَشاه. [١]
الدرع ،قميص وثوب تَجُوب المرأَةُ وسطَه ،والخمار للمرأة ،النَّصِيفُ ،وما تغطي به المرأة رأسها، والقناع للوجه([٢])

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

"انقلب " الانقلاب الرجوع ، وقد رجع من مسجده إلى غرفة عائشة رضي الله عنها .
"فوضع رداءه وخلع نعليه ،فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع " هذه جملة من افعال أكثر ما يميزها التفصيل في وصف الجزئيات
ثم هذا التباين في موضع حرفي العطف " الفاء والواو " فكانت الفاء مع كل فعل متعاقب متوالٍ بينما لم يدل حرف الواو على غير مجرد القيام بأفعال مشتركة قد يكون بينها مهلة وقد لا يكون
ثم بعد ذلك هي أفعال مرتبة ترتيبا منطقيا ،وكثيرا ما تتأتى في حياة الإنسان على هذا النحو دون سابق استعداد ،وقد تكون هذه الأفعال مما اعتاده صلى الله عليه و سلم في بيته كل يوم ،فإن قال قائل إن في وضعه نعليه عند رجليه استعداد مسبق للخروج ،قلنا نعم قد يكون عزم على الخروج للصلاة وقد قال الأبي في ذلك "أن العازم على الشيء ييسر أسبابه قبل حضور وقته " [٣]ولم يذكر الشيء الذي يقصد عزمه ﷺ عليه.
"فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت "
بيان السيدة عائشة الذي يخلص الأحداث ويقف على ما يهم السامع أو القارئ بيانه ويخفي مادون ذلك لم يذكر لنا كيف قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلته أهو في ذكر وتلاوة ودعاء وكيف وصل بنا إلى حيث ظن أنها رقدت .
ثم هي تخبر انه صلى الله عليه و سلم بقي وقتا قصيرا لا يكفي لان ترقد ولكنه اعتقد جازما رقادها، فعبرت عن ذلك بملامح بلاغية غاية في الإيجاز:

- استخدام أسلوب القصر بالنفي والإثبات بإلاّ ،للتأكيد على نفي الفعل "يلبث " فقد لبث زمنا ولكنه في حكم من لم يلبث

(١) ينظر : لسان العرب ، لابن منظور مادة (ح.ش.ي)
٢) ينظر لسان العرب ، لابن منظور (در ع)
(٣) فتح الملهم، شبير العثماني (٤ /٥٠٥)

- النفي "بلم " التي تنفي المضارع وتصرف معناه إلى المضي[1]
- التوكيد في "أن قد رقدت" مما يقتضيه السياق ،لبيان حرصه صلى الله عليه و سلم على إثبات عذره لزوجه ،في خروجه تلك الساعة المتأخرة دون إخبارها، وان ذلك ماكان إلاّ حرصا عليها حتى لا تفزع في منامها .

"فأخذ رداءه رويداء وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج. ثم أجافه رويدا".
جمله أخرى من أفعال المصطفى صلى الله عليه و سلم مفصلة مرتبة متعاطفة ،يجمع بينها معنى التروي والتمهل رويدا رويدا لبيان صلاح النية والقصد ، وشديد الحرص على أن لا تستوحش زوجه في منامها وقد خرج وتركها في الليل وحدها [2]
وأجاف الباب إذا رده [3]،ولم يحكم إغلاقه ، ويعد من جميل الطباق هنا "فتح وأجاف" طباق إيجاب لمناسبته للسياق ، فهو يظهر كون الفاعل عازم على العودة سريعاً ،إذ لو كان ينوي المكوث طويلا لأحكم إغلاقه .
"فجعلت درعي في رأسي و اختمرت وتقنعت إزاري. ثم انطلقت على أثره" أي إنها اتخذت فوق الخمار قناعاً يخفي وجهها([4])وما دفعها إلى ذلك إلاّ الغيرة على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وقد خرجت في أثره ظنا منها انه ذاهب إلى بعض نسائه [5]
"حتى جاء البقيع فقام. فأطال القيام. ثم رفع يديه ثلاث مرات"
و سارت خلفه زمنا إلى أن وصل إلى الغاية بـ" حتى " وكان ما رأته من أمر قيامه ودعائه ما خالف ظنها وتصورها ومع إنها أدركت خطأها ظلت ترافقه حتى أتم مراده رغم الإطالة في المقام حيث لم تمنع نفسها الاستفادة والحرص على المعرفة
"ثم انحرف فانحرفت. فأسرع فأسرعت. فهرول فهرولت. فأحضر فأحضرت. فسبقته فدخلت."
الكلام هنا يصل إلى ذروة الحبكة ونقطة الحسم قبل الانجلاء ، فقد انتهت المهمة وقفل رسول الله صلى الله عليه و سلم راجعا وهي أمامه تجاهد انكشاف أمرها وازداد الأمر سوءا عندما شعر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن سواداً يسير أمامه ، وهو ما كشف عنه صلى الله عليه و سلم فيما بعد والإحضار العدو، فحث الخطى خلفه حتى عدا والعدو والجري اشد من الهرولة وكلها مراتب للجري
"فليس إلا أن اضطجعت فدخل " أسلوب حصر لم تفعل شيئاً غير الاضطجاع مع ما يلزمه من خلع الدرع والخمار .

---

(١)الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي(٢٦٧)
(٢)المفهم ، للقرطبي (٢ / ٣٦٥)
(٣)لسان العرب ، لابن منظور مادة (ف.ج.أ)
٤) البحر المحيط الثجاج ، محمد بن علي الولوي(١٧/ ٦١٥)
(٥)المفهم ، للقرطبي(٢ / ٣٦٥)

"ما لك ؟ يا عائش ! حشيا رابية!"

- بلهجة هادئة وألفاظ رقيقة يتساءل عما وجد عليه زوجه من تهيج و اضطراب ،استفهام تعجبي ،وفرق بين " مابك " و " مالك " الأولى للسببية والثانية للاختصاص لوجود اللام إضافة إلى السببية[1] وظاهر ما تضمنه المعنى من مزيد عناية وتودد ،و"يا عائش" نداء والتصغير للترخيم يحمل كذلك معنى التودد
- "حشيا رابية "رابية من الربو والارتفاع ، وحشيا حال مقصور والمعنى ارتفاع الحشا وتهيج النفس وتوتره وهذا التركيب المعنوي " حشيا رابية " مما تفرد به البيان النبوي في أصالة وجدة وابتكار.

"لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير"

- اللام للقسم . والتكرار للتوكيد
- التعريف للتعظيم "اللطيف الخبير " لمناسبتهما لسياق التثقيف النفسي للترهيب
- تخبريني، ويخبرني والخبير، جناس غير متكلف

"يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ! فأخبرته "إعلان السيدة عائشة رضي الله عنها لمحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم في مبادرة إلى الإعتذار المتعين في هذا الموقف قبل إخباره بحقيقة الأمر وهو من لطف الزوج وحسن تبعلها لزوجها عند الوقوع في الخطأ.

"فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟" قلت: نعم"

استفهام تقريري للفاعل محذوف الهمزة

"فلهدني في صدري لهدة أوجعتني "

اللهد :الدَّفْعُ الشديد والصدمة في الصدر[2] وهي لفظة بهذا المعنى يندر استعمالها في كلام العرب ، وهي ليست إلاّ دليل ملاطفة وتأنيس ودليل ذلك ما عقبها من بيان النبوة مما يدل على هدوء اللهجة وعدم الانزعاج ، كما أن لهذه اللهدة نظيرها في حياته صلى الله عليه و سلم فقد روي في صحيح مسلم "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ - قَالَ - فَجَاءَ فَحَطَأَنِى حَطْأَةً وَقَالَ "اذْهَبْ وَادْعُ لِى مُعَاوِيَةَ " والحطأة الدفع بواسطة الكف بين الكتفين ، وفي شرح تكملة الفتح " إنما فعل هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيساً "([3])

"أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله "

(١)الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي(٣٦) و(٩٥)
(٢)لسان العرب ، لابن منظور مادة (ل.هـ.د)
٣)فتح الملهم، شبير العثماني (٤ /٥٠٥)

اي فيظلمك بدخوله على غيرك في نوبتك[1]

وفيها جملة من درر وبدائع :

- استفهام إنكاري ، وتثقيف نفسي بأن هذا مما لا يكون أبداً.
- الظن ، علمك الشيء بغير يقين وقد يكون يقين إلاَّ أنه ليس بيقينِ عِيانٍ، إنما هو يقينُ تَدَبُّرٍ، فأما يقين العِيانِ فلا يقال فيه إلاَّ علم [2] قال تعالى :﴿ وتظُنُّونَ بالله الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب ١٠
- "يحيف "من الحيف وهو المَيْلُ في الحُكم، والجَوْرُ والظُّلم فإذا كان للرجل أولاد فيُعْطي بعضاً دون بعض، وقد أمر بأن يسوّي بينهم ، فإذا فضَّلَ بعضهم على بعض فقد حاف[3] أي مال وجار وفيه تأكيد إنها ظنت انه ذاهب إلى بعض الأخذ ورسول الله صلى الله عليه و سلم يحرص على تعميق الثقة بالله في نفس زوجه وانه لو فعل ذلك لكان حيفاً وجوراً ، فأنى يكون ذلك منه صلى الله عليه و سلم .
- تقدم ذكر لفظ الجلالة على ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم للتعظيم والتهويل من جهة ، ومن جهة أخرى إثبات أن الأمر بيد الله أولا وأخيرا ، فهو تكليف بتعظيم الله تعالى الذي بيده النصر والتمكين .
- "عليك " الفصل بين المتعاطفين " يحيف الله" "ورسوله" للتخصيص، والتقديم إظهار مزيد عناية من الله تعالى بها خاصة وهي أم المؤمنين وأحب أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم .
- اقتباس من قول تعالى " أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ " النور ٥٠

"مهما يكتم الناس يعلمه الله. نعم." أسلوب شرط فيه إقرار وتصديق " وكأنها صدقت نفسها فقالت نعم"[4]

" فإن جبريل أتاني حين رأيت. فناداني. فأخفاه منك. فأجبته. فأخفيته منك. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك "

جمل خبرية مؤكدة ، تقدم فيها صنيع جبريل عليه السلام من إخفاء نفسه عن السيدة عائشة رضي الله عنها لأهميته ،ثم صنيع رسول الله صلى الله عليه و سلم على أثره من إخفائه لجبريل عليه السلام عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، ثم أردف ذلك بعلة مناسبة.

"ظننت أن قد رقدت. فكرهت أن أوقظك. وخشيت أن تستوحشي "

---

١) البحر المحيط الثجاج ، محمد بن علي الولوي (١٧ / ٦١٨)

(٢) لسان العرب ، لابن منظور مادة (ظ.ن.ن)

(٣) السابق مادة (ح.ي.ف)

(٤) ينظر فتح الملهم، شبير العثماني (٤/ ٥٠٦)

- تسلسل المعاني وتعلق بعضها ببعض فمن جانب "ظننت ، فكرهت ، وخشيت " أفعال قلبية ، ومن جانب أخر " رقدت ، أوقظك ، تستوحشي " أفعال محسوسة باستثناء " تستوحشي" وكلا الجانبين مناط عناية المخاطب ومدعاة تأمله .
- عطف العلة على المعلول(١)لبيان التعليل المنطقي المقنع ، فقد كره إيقاظها لأنه ظن رقادها ، ولم يوقظها لأنه خشي أن تستوحش
- توازن العبارات وتناسبها في المقدار وعدد الحروف ،وقد جاءت العبارة الأخيرة أطول من سابقتيها " خشيت أن تستوحشي" وهو مما يستجاد في النثر(٢)
- التناسب المعنوي بين " ظننت ، خشيت "
- تكرار التوكيد " أن ،قد ، أن ، أن "
- الطباق بين " رقدت ، و أوقظك " والضد يظهر حسنه الضد .

كل ما سبق هو من أساليب إقناع المخاطب والحرص على استقراره وتثقيفه النفسي .

" فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم "

وهو خطاب جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم

"كيف أقول لهم ؟ يا رسول الله ! "

حولت موضوع الخطاب إلى الإقتداء والهدى ،في دلاله واضحة على قدرته صلى الله عليه و سلم على الإقناع وقد أدى أسلوب الخطاب دورا بارزا في ذلك ،كما انه من ذكاء الزوج في احتواء غضب زوجها بأسلوب استفهامي طلبي وقد طابت نفسها واستقر خاطرها وأدركت خطأها

"قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين. وإنا، إن شاء الله، بكم للاحقون"

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر التي منها ما يعود إلى المخاطبة السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في "عنّى، ما لك ، لتخبريني ، فأنت ، أظننت ، عليك ، رأيت، منك ، عليك ، ثيابك ، رقدت ، أوقظك ، قولي "

ثم ما يعود إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في " لتخبريني ، ليخبرني، أنت، فأخبرته، فلهدني، أتاني، فناداني ، فأجبته، فأخفيته ، ظننت ، فكرهت ، وخشيت ، يأمرك ، فتستغفر "وتتراوح بين دلالة الفاعل والمفعول

١ البحر المحيط الثجاج ، محمد بن علي الولوي (١٨ / ٦١٨)
٢ سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي (١٤٨)

وجاء من الضمائر ما يحال إلى جبريل عليه السلام في " أتاني، فناداني ، فأجبته ، فأخفيته ، يدخل ، فقال "
والإحالة بالموصولية في " الَّذِى رَأَيْتُ "
ومن العوامل العطف وذلك في " وَعَنْ ،فوضع ،وَخَلَعَ، فَوضعهما، وَبَسَطَ ،فَاضْطَجَعَ، فَأَخَذَ ،وَانْتَعَلَ ،وفتح ،فَخَرَجَ ، فَجَعَلْتُ ،وَاخْتَمَرْتُ ،وتَقَنَّعْتُ ،ثُمَّ انطَلَقْتُ، فَقَامَ، فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ ،ثُمَّ انْحَرف، فَانحَرَفْتُ ،فَأَسْرَع ،فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَل، فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ، فَأَحْضَرْتُ ،فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ، فَدَخَلَ ،فقالَ ،أَوْ لَيُخْبِرَنِّى، فَأَخْبَرْتُهُ ،فَلَهَدَنِى، ثُمَّ قَالَ ،وَرَسُولُهُ ،فَنَادَانِي ،فَأَخْفَاهُ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ ،فَكَرِهْتُ، وَخَشِيتُ، فَتَسْتَغْفِرَ، وَالْمُسْلِمِينَ ،وَيَرْحَمُ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ "
ومنها التوكيد في " أَنْ ،قَدْ رَقَدْتُ ،أَنِ اضْطَجَعْتُ ،لَتُخْبِرِينِى ،لَيُخْبِرَنِّى ،أَنْ يَحِيفَ ،فَإِنَّ جِبْرِيلَ ،وَقَدْ وَضَعْتِ ، أَنْ أُوقِظَكِ ،أَنْ تَسْتَوْحِشِى ،إِنَّ رَبَّكَ ،أَنْ تَأْتِىَ، وَإِنَّا "
ومنها التكرار في " أَنْ قَدْ رَقَدْتُ ، أَنْ قَدْ رَقَدْتِ " وفي " رُوَيْدًا رُوَيْدًا" وفي " انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ ، فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ ،فَهَرْوَل ،فَهَرْوَلْتُ ،فَأَحْضَرَ ،فَأَحْضَرْتُ ، فَاضْطَجَعَ ،اضْطَجَعْتُ "وفي "لَتُخْبِرِينِى ، لَيُخْبِرَنِّى ، فَأَخْبَرْتُهُ "وفي " فَأَخْفَاهُ ، فَأَخْفَيْتُهُ "
والربط بالسؤال والجواب في " أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّى ، قُلْنَا بَلَى" وفي " مَا لَكِ يَا عَائِشُ، قُلْتُ لاَ شَىْءَ " وفي " فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِى رَأَيْتُ ، قُلْتُ نَعَمْ "
ومن التماسك ما جاء بالتضاد في " وَفَتَحَ الْبَابَ ، أَجَافَهُ،و رقدت، أوقظك ، و الْمُسْتَقْدِمِينَ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ،

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة في الخطاب هو الاستفهام الذي خرج عن معناه متدرجاً حسب السياق ليؤدى مقصد الخطاب من الوقوف على شأن السيدة عائشة رضي الله عنها تلك الليلة ، فجاء الاستفهام تعجبياً في " مالك يا عائشة " ثم استفهاماً تقريريًا في " فأنت السواد الذي رأيت أمامي " ثم استفهاماً إنكاريًا في "أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله " ومن ثم يتكون الترهيب من مغبة المستفهم عنه بعد التعجب والتقرير والإنكار والتوبيخ
ثم ساند أسلوب الاستفهام التوكيد باللام والتكرار ، ثم في " أن ،قد ، أن " على ما تقدم .
وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد
كما اتسم الخطاب باستخدام المحسنات البديعية مناسبة بلا تكلف أو تعقيد لتساهم في التثقيف النفسي للمرأة كما جاء الجناس في "تخبريني، ويخبرني والخبير" و جاء الطباق بين " رقدت ، وأوقظك "
وقد اتسمت المعاني بالواقعية والصدق ، فهي معانٍ متناولة في بيت الزوجية وما يعتريه من حوادث نتيجة لما جبلت عليه المرأة من غيرةٍ وحرصٍ على الاستئثار بالزوج .

المبحث الثالث

تحديدُ الكلياتِ و السماتِ البلاغيّة في الخِطابِ النَبويّ للمرأةِ في سياقاتِ التثقيفِ النفسيّ

سمات خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياق التثقيف النفسيّ

"اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً"[1] وبعضهم " مثل المعنى بالصورة ،واللفظ بالكسوة ، فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ،ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها"[2]وقد اتسمت الألفاظ في الخطاب النبوي للمرأة في سياق التثقيف النفسي بالعديد من السمات :

أولا :الدقة في اختيار اللفظة المفردة الدالة على المعنى المراد :

ومن تلك المفردات اختيار لفظة "الصلب " عدولا عن " الظهر" لان الظهر هو ذلك العضو الخارجي ،والمقصود في السياق الصلب فصرح به ولم يكنِّ ، وفي تزفزفين" وفي لفظة " المضاهاة " و في اختيار لفظة " يحيف " دون يظلم أو جور موطن من مواطن العدول والدقة في اختيار الألفاظ أما الحيف فهو الأخذ من الشئ حتى ينقص، وكذلك الظلم نقصان الحق بينما الحيف استمرار للظلم بلا انقطاع ، وأما الجَور فهو أعظمها درجة وهو" من العدول عن الحق من قولنا جارعن الطريق" وظاهر أن في لفظة " يحيف " تحقيقاً لمقام الترهيب وتناسباً مع سياق التثقيف النفسي كون السيدة عائشة رضي الله عنها كما في السياق خشيت ذهاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بعض نسائه فينقص حقها ولم تخشَ الظلم المطلق أو الجَور، ثم في "وزنتهن بمعنى الرجحان دون وازنتهن بمعنى التكافؤ ، ثم في "حجابا " وفي" يَرِيبُكِ و أَلْمَمْتِ ويُسَلِّطَكِ و خطايا "على ما بينت الدراسة في موضعه .

ثانياً : السهولة والوضوح والبعد عن التكلف أو الغموض

وهي السمة الغالبة في الخطاب فجاءت الألفاظ واضحة الدلالة وبعيدة عن الغموض كما في " أَهْلاً طَهُورًا ، وَزَكَاةً ، بَشَرٌ ، شَرْطِي ، يَسَعُكِ ، حشيا ، رابية "

(١) العمدة في محاسن الشعر وادابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى ٤٥٦هـ) (٧٠) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ط٥ ـ ١٤٠١هـ ١٩٨١م
(٢) السابق (٧٣)

ثالثاً : إخبار المخاطبة فائدة الخبر أو لازم الفائدة إذا كان الخبر مما يعلم:(١)

جاء الإسناد الخبري في سياق التثقيف النفسي لإخبار المخاطب فائدة الخبر من جهة ثم ليسهم في التثقيف من ترغيب وترهيب من جهة أخرى ومنه قوله صلى الله عليه و سلم " فإن جبريل أتاني حين رأيت " فالمخاطبة لم تكن على علم بفائدة الخبر
وفي " "كنت لك كأبي زرع لأم زرع" وفي " « يَسَعُكِ طَوَافُكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ " على ما بينت الدراسة .
ومما جاء فيه الإسناد لإخبار المخاطب لازم فائدة الخبر قوله صلى الله عليه و سلم " "إنها ابنة أبي بكر" فهو إسناد خبري ينزل المخاطبات منزلة غير العالم بالخبر وهو في السياق عن مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها وذلك لعدم قيام المخاطب بموجب ذلك من اعتراف لها بتلك المكانة وتجنب الاستطالة عليها في حضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم .

رابعاً : مراعاة أضرب الخبر:

في سياقات التثقيف النفسي جاء الخطاب مؤكدا بمختلف أدوات التوكيد ومن ذلك ماجاء في خطابه للمرأة في بيان فضل الذكر"لقد قلت بعدك أربع كلمات " الإسناد مؤكد بعدة مؤكدات: القسم المقدر ، وقد ،وفي " أن تكبرا الله "وكذلك في قوله عن عائشة " إنها ابنة أبي بكر " وفي " إن شرطي على ربي " وفي " إن أشد الناس" وفي " لتخبريني أو ليخبرني ،وأن يحيف الله ، وإن جبريل أتاني " وفي خطابه عن الحمى " إنها تذهب خطايا بني أدم " " أن يعافيك " وفي " ومن الملاحظ أن المخاطبة في سياق التثقيف النفسي بحاجة إلى التأكيد غير انه غالبا ما يكون التأكيد بمؤكد واحد .
هذا في مجال الترغيب ،أما في مجال الترهيب فلا نلمح شيئاً من ذلك

خامساً : مراعاة أغراض التعريف والتنكير :

فقد جاء **التعريف للتعظيم** كما في لفظة " النار " وفي اسمي الجلالة " اللطيف الخبير"

(١)ينظر : المطول ، للتفتازاني(١٧٩)

وكذلك جاء التنكير في " ناس من أمتي" نكرة موصوفه للتخصيص والتشريف وفي «بَيْتًا » التنكير للشمول ، والتنكير في "عذابا " للتهويل

سادساً :مراعاة التقديم والتأخير في ركني الإسناد والمتعلقات بما يوائم معاني السياق:

فقد جاء التقديم في "يحيف الله عليك ورسوله " المتقدم هو لفظ الجلالة للتعظيم .
وللاختصاص كذلك تقدم شبه الجملة "لها" في "كان لها حجابا من النار " و تقديم شبه الجملة "لكما في " فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ "
وزاد على الاختصاص معاني التشريف والفخر والتكريم في تقديم شبه الجملة " من أمتي"
وقد تقدم قوله " من ولدها " في " تقدم بين يديها، من ولدها، ثلاثة " في مقام **الاهتمام** بماهية الولادة.

سابعاً : الذكر في موضع الحذف لفائدة بلاغية :

في "صُومِى عَنْهَا" و "حُجِّى عَنْهَا " الإسناد زيادة في الإيضاح والتقرير لجهل المخاطب

ثامناً : التعبير بالماضي عن المستقبل :

وذلك كما في " إلا كانوا لها حجابا من النار" عدولا عن "يكونوا " تنبيهاً على تحقق وقوعه
وفي "كنت لك كأبي زرع" عدل عن المستقبل إلى الماضي لتأكيد وقوعه.

تاسعاً : تقييد الفعل بالشرط :

هناك من التثقيف النفسي ما جاء مقيداً بالشرط كما في التقييد "بإذا" المقطوع للشرط بوقوعه مستقبلاً في " إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا "
أو التقييد بالأداة " لو " التي للشرط مع الجزم بانتفائه كما في" لو قيلت بما قلت منذ اليوم"

وكذلك بالأداة " إن" غير مقطوع بوقوع الفعل بعدها كما في "فإن كُنْتِ بَرِيئَةً " " وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ " "وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ " وهو ما يتناسب مع واقع حال المخاطبة في السياق

كما جاء الشرط بالأداة " أي" لإفادة العموم وشمول الرحمة كما في " فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ "

ونلحظ بذلك تنوع أدوات الشرط في هذا السياق وتعدد مواضعه

عاشراً : البيان والإيضاح بأسلوب " القصر " :

وقد جاء القصر "بما و إلا " في قوله "ما منكن من امرأة " لإفادة التأكيد مع التخصيص وهو من القصر الإضافي ،قصر موصوف على صفة للتعين ،أي تعين الأجر والمثوبة مقابل الصبر والاحتساب ، لأن المرأة في الأصل خالية الذهن تساوى عندها الأمران ،وحاصل الفقد للولد كائن دون خيار ، وللترغيب في الصبر بين لها رسول الله صلى الله عليه و سلم عن طريق القصر، أن المرأة الصابرة على فقد ولدها لن تنقطع صلتها بولدها لمجرد موته ، ولن يذهب حزنها وألمها سُدىً دون مقابل شريطة أن تصبر وتحتسب ، فتعين لها بذلك خلاف ماكانت تظن ، من الجزاء الأوفر وهو أن يكونوا لها حاجزا وواقياً من نار جهنم - والعياذ بالله - ولن يكون فقدهم حزناً وعناءً بلا مثوبة أو جزاء .

الحادية عشرة : استخدام أساليب الإنشاء الطلبي :

وقد كثر في هذا الباب الإنشاء الطلبي الذي يعد أكثر مناسبة في سياق التثقيف النفسي ومنه أسلوب **النداء** ،وهوللتنبيه " وطلب استحضار ، يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتمكن من توجيه مايريد إليه "[١] وقد جاء في النداء "ياعَائِشَةُ " في عدة مواضع و" يا أُمَّ سُلَيْمٍ "

وجاء النداء للتقرب بنداء القريب بالأداة " أي" في موضعين " في " أي بنية! " وفي "أَيْ بَرِيرَةُ "

ومن الإنشاء الطلبي الذي يخرج عن معناه إلى معان بمعونة السياق [٢]، **الاستفهام**، فقد جاء لمطلق الأمر في " أما تعلمين أني وضعت شرطا على ربي" بمعنى انظري واعلمي ،وفي خطابه لأم المؤمنين فاطمة رضي الله عنها "ألست تحبين ما أحب .جاء للتقرير

---

(١) النداء في اللغة والقرآن ، أحمد فارس (١٣٥)
(٢) ينظر : مختصر المعاني ،للتفتازاني(١ / ١٢٩)

وجاء الاستفهام تقريرياً في "أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله " ، وفي " أنت السواد الذي رأيت أمامي " وفي "أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً "

جاء الاستفهام بالأداة "هل" المختصة بطلب التصديق للفعل أي الحكم له بإثباته أو نفيه في قوله " هلْ رَأَيْتِ من شيء من عائشة " وهو المناسب للسياق وقد يقول قائل ولما عدل عن استخدام " الهمزة " التي تستخدم كذلك للتصديق فيقول " أرأيت من شيء من عائشة " فنقول عدل عن" الهمزة "رغبة في إطالة السؤال من جانب ، و تثقيف نفسي بالترهيب من مغبة المسارعة في الإجابة من جانب اخر والأهم من ذلك "أن الهمزة لا يستفهم بها، إلا وقد هجس في النفس إثبات ما يستفهم بها عنه، بخلاف هل فإنه لا يترجح عنده لا النفي ولا الإثبات." [1]

وجاء بمعنى التعجب في " ما لك ؟ يا عائش " للسؤال عن الحال وكذلك في " مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ " ، لأن التعجب يحمل معنى السؤال عن السبب فمن تعجب من شيء هو سائل بالضرورة عن سببه .

وكذلك في "ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟" استفهام منفي ، خرج إلى معنى التعجب.

الثانية عشرة : استخدام إيجاز الحذف عندما يقتضي المقام :

كما جاء في قوله لعائشة رضي الله عنها " كنت لك كأبي زرع لأم زرع "

الثالثة عشرة :الميل إلى استخدام الصور البيانية من تشبيه و مجاز واستعارة وكناية :

ومن ذلك تشبيه التمثيل في " فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد" والتشبيه في " كانوا لها حجاباً من النار" المشبه واو الجماعة ، والحجاب مشبه به وفي " كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ" .

والاستعارة في "المتشبع " ،

ومن التشبيه قوله صلى الله عليه و سلم "كنت لك كأبي زرع"وكما جاء التمثيل الذي يحتاج إلى براعة في التأويل وتعمق في التفكير في قوله " " ملوكاً على الأسرة "

---

(١) الجنى الداني ، للمرادي (٣٤١)

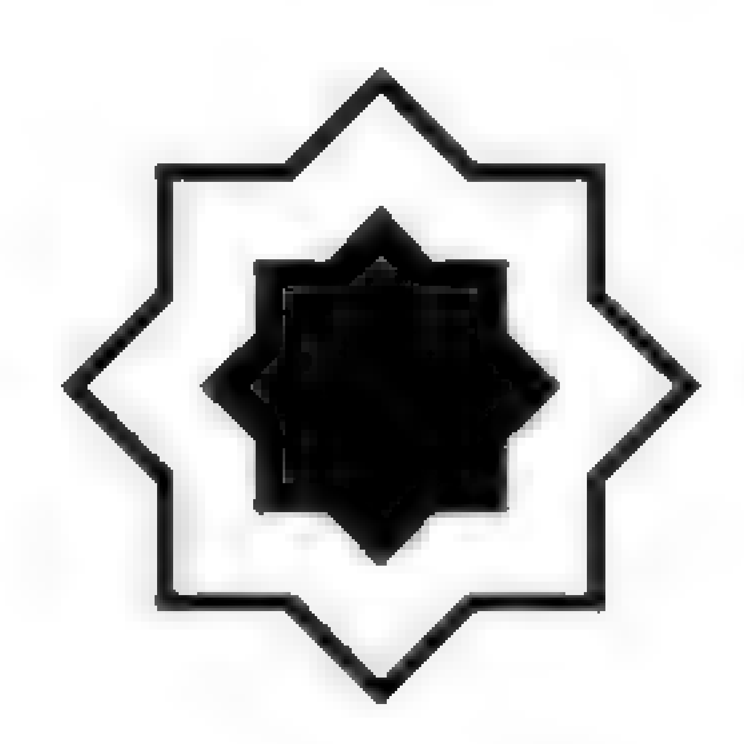
ومن جميل ما ورد من استعارات ، الاستعارة التصريحية في قياس الكلمات بالميزان في " قلت بعدك كلمات لو وزنت "
والاستعارة المكنية في "يسعك طوافك لحجك وعمرتك "
وقد جاءت الكناية [1]بما عرفت به من مزية في الكلام في قوله " في يركبون ثبج هذا البحر" كناية عن الجهاد في البحر على متن السفن .
والمجاز المرسل للسببية في " تُدْخِلى الشَّيْطَانَ "

الرابعة عشرة : استخدام المحسنات البديعية بغير تكلف :

وقد ورد منها في هذا السياق ، الجناس وذلك في مواضع منها في " وتخبريني، ويخبرني والخبير " وفي "تحبين ، أحبُ ، أحبي" وهو ما يسمى جناساً متماثلاً لأن الألفاظ جاءت متفقة من نوع واحد فهي كلها أفعال ويسمى أيضاً جناس اشتقاق.
أما في " يخبرني و الخبير "يسمى جناساً مستوفىً لأن اللفظتين من نوعين مختلفين اسم وفعل[2]
ومن الجناس ماجاء بين " مِنْ شَيْءٍ ، مِنْ عَائِشَةَ " جناس بين الحرفين "من" ومن" السجع وتوازن العبارات في " سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، زنة عرشه، مداد كلماته " في " لعن الله الواصلة والمستوصلة " نوع من البديع يسمى بالجمع ، إشارة إلى توحيد الحكم

---

(١) الإيضاح ، للقزويني (٣٠١)
(٢) مختصر المعاني ،للتفتازاني (٢٧٥)



الفصل الثالث

الفصل الثالث

الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المجال الروحي والتعبدي

المبحث الثاني : المجال الخلقي والاجتماعي

المبحث الثالث : تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي

مدخل :

اقترن سياق التكليف بالتثقيف النفسي في كثير من نصوص التشريع الإسلامي في كتاب الله تعالى ، و في سنة نبيه ﷺ

والخطاب النبوي للمرأة في سياق التكليف المقترن بالتثقيف ، هو سياق عام يشمل كافة النساء في مختلف شؤونهن ، ولا يختص بمخاطبة دون غيرها من النساء

كما أنه خطاب مترامي المجالات متعدد الموضوعات نظراً لتعدد سياقات التكليف والتثقيف النفسي غير أن حصره في مجالات محددة هو مما تقتضيه الدراسة لتأطير أفاقها وتحديد مسارها .

ولذلك جعلت الخطاب في مجالين مختلفين ،وجعلت كل مجال في مبحثٍ مستقلٍ على النحو التالي:

المبحث الأول : المجال الروحي والتعبدي

المبحث الثاني : المجال الخلقي والاجتماعي .

المبحث الأول

المجال الروحي والتعبدي في الخطابُ النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التكليفِ المقترن بالتثقيف النفسي

أولاً : الأحاديث النّبوية في المجال الروحي والتعبدي

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

أولاً : الأحاديث في المجال الروحي و التعبدي

١. عن عائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ دُعِىَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى جَنَازَةِ صَبِىٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ « أَوَغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ».[١]

٢. حَدَّثَنِى عَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأبو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لِعَمْرٍو - قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ مَسْرُورًا فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِىَّ دَخَلَ عَلَىَّ فَرَأَى أُسَامَةَ وَزَيْدًا وَعَلَيْهِمَا قَطِيفَةٌ قَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا وَبَدَتْ أَقْدَامُهُمَا فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ».[٢]

٣. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ».[٣]

٤. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِى عَلَى صَبِىٍّ لَهَا فَقَالَ لَهَا « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى ». فَقَالَتْ وَمَا تُبَالِى بِمُصِيبَتِى. فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-. فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ فَأَتَتْ بَابَهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ يَا

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر باب معني كل مولود يولد علي الفطرة[٢٦٦٢]، سنن النسائي كتاب الجنائز الصلاة علي الصبيان[١٩٤٧] ،سنن ابن ماجة في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب في القدر[٨٢]، مسند أحمد [٢٥٧٤٢]،

(٢) صحيح البخاري كتاب الفرائض باب القائف [٦٧٧١]، صحيح مسلم الرضاع باب العمل بإلحاق القائف الولد[١٤٥٩] ، ، سنن النسائي كتاب الطلاق باب القافة[٣٤٩٣]سنن أبي داود كتاب الطلاق باب في القافه [٢٢٦٧]، سنن الترمذي أبواب الولاء والهبة باب ماجاء في القافه[٢١٢٩]،سنن ابن ماجة كتاب الإحكام باب القافه[٢٣٤٩]، مسند أحمد[٢٥٨٩٥]

٣ في مسند أحمد[٢٤٢٦٥] (اشد من أن يهمهم ذلك) ، مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة[٢٨٥٩] النسائي في الكبرى كتاب التفسير سورة الكهف ٤٧ قوله (وحشرناهم ولم نغادر منهم أحدا) [١١٢٤١] البخاري كتاب الرقاق باب كيف الحشر [٦٥٢٧] (الأمر اشد من أن يهمهم ذلك) ابن ماجه باب ذكر البعث [٤٢٧٦] بلفظه

رَسُولَ اللهِ لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ ». أَوْ قَالَ « عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ ».(١)

٥. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ أَرَادَتْ عَائِشَةُ أَنْ تَشْتَرِىَ جَارِيَةً تُعْتِقُهَا فَأَبَى أَهْلُهَا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْوَلاَءُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ « لاَ يَمْنَعُكِ ذَلِكِ فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ ».(٢)

٦. عن أنس؛ أن أخت الربيع، أم حارثة، جرحت إنسانا. فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله ﷺ (القصاص. القصاص) فقالت أم الربيع: يا رسول الله! أيقتص من فلانة؟ والله! لا يقتص منها. فقال النبي ﷺ (سبحان الله! يا أم الربيع! القصاص كتاب الله) قالت: لا. والله! لا يقتص منها أبدا. قال: فما زالت حتى قبلوا الدية. فقال رسول الله ﷺ (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره).(٣)

٧. عن أم سلمه؛ قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ. فقالت: يا رسول الله ﷺ! إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ "نعم. إذا رأت الماء" فقالت أم سلمه: يا رسول الله! وتحتلم المرأة؟ فقال "تربت يداك. فبم يشبهها ولدها".(٤)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب زيارة القبور[١٢٨٣]، صحيح مسلم كتاب الجنائز باب في الصبر علي المصيبة عند أول الصدمة[٩٢٦] ، سنن ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في الصبر علي المصيبة[١٥٩٦]بلفظه ، سنن أبي داود كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة [٣١٢٤]

(٢) صحيح البخاري كتاب البيوع باب إذا اشترط شروطا في البيع لا تحل [٢١٦٩]، صحيح مسلم كتاب العتق باب إنما الولاء لمن اعتق[١٥٠٥] ، سنن ابن ماجه كتاب العتق باب المكاتب [٢٥٢١] اختلاف اللفظ ،النسائي كتاب البيوع البيع يكون فيه الشرط الفاسد[٤٦٤٤] سنن أبي داود كتاب الفرائض باب في الولاء[٢٩١٥]

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلح باب الصلح في الدية[٢٧٠٣] ، صحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها[١٦٧٥]،سنن أبي داود كتاب الديات باب القصاص من السن [٤٥٩٥] بلفظ ، سنن النسائي كتاب القسامة القصاص في السن [٤٧٥٥]، سنن ابن ماجة كتاب الديات باب القصاص في السن[٢٦٤٩] بلفظ البخاري ،مسند أحمد[١٤٠٢٨] ،

(٤) صحيح البخاري كتاب العلم باب الحياء في العلم[١٣٠] مسلم كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها [٣١٣] ،النسائي كتاب الطهارة غسل المرأة تري في منامها ما يرى الرجل ١٩٧الترمذي أبواب الطهارة باب ماجاء في المرأة ترى في المنام مثل ما يري الرجل [١٢٢] و في مسند أحمد[٢٦٥٠٣]

٨. عن أم سلمه، قالت: قلت: يا رسول الله! إني امرأة أشد ضفر رأسي. فأنقضه لغسل الجنابة؟ قال "لا. إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات. ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين".(١)

٩. عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أسماءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ -ﷺ- عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ « تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا ». فَقَالَتْ أسماءُ وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ « سُبْحَانَ اللهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِى ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ « تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِى الدِّينِ. (٢)

١٠. عن عائشة؛ قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله! إني امرأة أستحاض فلا أطهر. أفأدع الصلاة؟ فقال "لا. إنما ذلك عرق وليس بالحيضة. فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة . وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي".(٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحيض باب حكم ضفائر المغتسلة[٣٣٠\٥٨ ، سنن أبي داود كتاب الطهارة باب في المرأة هل تنقض شعرها عند الغسل [٢٥١، سنن الترمذي أبواب الطهارة باب هل تنقض المرأة شعرها عند الغسل [١٠٥، سنن النسائي كتاب الغسل التيمم باب ذكر ترك المرأة نقض ضفر رأسها عند اغتسالها من الجنابة[٢٤١ ، سنن ابن ماحة كتاب الطهارة وسننها باب ماجاء في غسل النساء من الجنابة [٦٠٣]، مسند أحمد[٢٦٦٧٧]

(٢) صحيح البخاري كتاب الحيض باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت[٣١٤]
صحيح مسلم كتاب الحيض باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصه من مسك [٣٣٢\٦١]، سنن أبي داود كتاب الطهارة باب الاغتسال من الحيض[٣١٦]، سنن النسائي كتاب الغسل التيمم باب العمل في الغسل من الحيض[٤٢٧]، سنن ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها باب في الحائض كيف تغتسل[٦٤٢]، مسند أحمد[٢٥١٤٥]

٣)صحيح البخاري كتاب الوضوء باب غسل الدم[٢٢٨]،صحيح مسلم كتاب الحيض باب المستحاضة وغسلها وصلاتها[٣٣٣\٦٢]،سنن أبي داود كتاب الطهارة باب من روي أن الحيضة إذا أدبرت لا تدع الصلاة[٢٨٢] ، سنن الترمذي أبواب الطهارة باب في المستحاضة[١٢٥] سنن النسائي كتاب الحيض والاستحاضة [٢١٢]،سنن ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها باب ماجاء في المستحاضة التي قد عدت أيام إقرائها قبل أن يستمر بها الدم[٦٢١]، مسند أحمد[٢٤٥٢٣]

١١. عن أسماء؛ قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ. فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة. كيف تصنع به؟ قال "تحته. ثم تقرصه بالماء. ثم تنضحه. ثم تصلي فيه".(١)

١٢. عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ طُلِّقَتْ خَالَتِى فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ فَأَتَتِ النَّبِىَّ -ﷺ- فَقَالَ « بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا ».(٢)

١٣. عن أُمَّ سلمه تَقُولُ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَتِى تُوُفِّىَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنُهَا أَفَنَكْحُلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « لاَ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ لاَ ثُمَّ قَالَ « إِنَّمَا هِىَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِى الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِى بِالْبَعَرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ »(٣)

١٤. عن فاطمة بنت قيس ؛ أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة. وهو غائب. فأرسل إليها وكيله بشعير. فسخطته. فقال: والله ! مالك علينا من شيء. فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال "ليس لك عليه نفقة". فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك. ثم قال: "تلك امرأة يغشاها أصحابي. اعتدى عند ابن أم مكتوم. فإنه رجل أعمى. تضعين ثيابك. فإذا حللت فآذنيني" قالت: فلما حللت ذكرت له ؛ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني. فقال رسول الله ﷺ: " أما أبو جهم فلا يضع

---

(١) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب غسل الدم [٢٢٧] صحيح مسلم الطهارة باب نجاسة الدم وكيفيه غسله [٢٩١ ، مسند أحمد[٢٦٩٣٢]

(٢) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب جواز خروج المعتده البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها[١٤٨٣] ، سنن النسائي خروج المتوفى عنها بالنهار[٣٥٥٠]،سنن ابن ماجة كتاب الطلاق باب هل تخرج المرأة في عدتها[٢٠٣٤] مسند أحمد[١٤٤٤٤] سنن أبو داود كتاب الطلاق باب المبتوتة تخرج بالنهار[٢٢٩٧]

(٣) البخاري كتاب الطلاق باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا [٥٣٣٦]صحيح مسلم كتاب الطلاق باب وجوب الاحتداد في عدة الوفاه وتحريمه في غير ذلك [١٤٨٨] سنن أبي داود كتاب الطلاق باب إحداد المتوفى عنها زوجها [٢٢٩٩] سنن الترمذي أبواب الطلاق واللعان باب ماجاء في عدة المتوفى عنها زوجها[١١٩٧]سنن النسائي كتاب الطلاق باب ترك الزينة للحاده المسلمة دون اليهودية أو النصرانية[٣٥٣٣]،سنن ابن ماجه كتاب الطلاق باب كراهية الزينة للمتوفى عنها زوجها[٢٠٨٤]

عصاه عن عاتقه. وأما معاوية فصعلوك لا مال له. انكحى أسامة بن زيد" فكرهته. ثم قال: "انكحى أسامة" فنكحته. فجعل الله فيه خيرا، واغتبطت[1]

١٥. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد (واللفظ لعمرو) قالا: حدثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة. فطلقني فبت طلاقي. فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير. وإن ما معه مثل هدبة الثوب. فتبسم رسول الله ﷺ. فقال: " أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا. حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك". قالت: وأبو بكر عنده. وخالد بالباب ينتظر أن يؤذن له. فنادى: يا أبا بكر ! ألا تسمع هذه ما تجهر به عند رسول الله ﷺ![2]

١٦. عن عائشة. قالت: دخلت هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان، على رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح. لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني. إلا ما أخذت من ماله بغير علمه. فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ (خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك).[3]

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها [١٤٨٠]، سنن أبي داود كتاب الطلاق باب في نفقه المبتوتة [٢٢٨٤]، سنن الترمذي أبواب النكاح باب ماجاء أن لا يخطب الرجل علي خطبه أخيه [١١٣٥] ، سنن النسائي كتاب النكاح خطبة الرجل إذا ترك الخاطب أو أذن له [٣٢٤٤] ، مسند أحمد[٢٧٣٢٧]

(٢) أخرجه مسلم النكاح باب لا تحل المطلقة ثلاث لمطلقها حتى تنكح [١٤٣٣]، وأخرجه البخاري كتاب الشهادات باب شهادة المختبي[٢٦٣٩]،و النسائي كتاب الطلاق باب إحلال المطلقة ثلاثا والنكاح الذي يحلها به [٣٤١١]، ابن ماجة كتاب النكاح باب الرجل يطلق امرأته ثلاثا فتزوج فيطلقها قبل أن يدخل بها ترجع إلي الأول [١٩٣٢] الترمذي أبواب النكاح باب ماجاء فيمن يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها أخر فيطلقها قبل أن يدخل بها [١١١٨] وفي مسند أحمد [٢٤٠٩٨]

(٣) أخرجه مسلم كتاب الاقضيه باب قضية هند [١٧١٤] ، وأخرجه البخاري كتاب البيوع باب من اجري أمر الأمصار علي ما يتعارفون بينهم [٢٢١١] ، أبي داود أبواب الاجاره= =باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده [٣٥٣٢]بلفظه ، ابن ماجة كتاب التجارات باب ما للمرأة من مال زوجها [٢٢٩٣] ، والنسائي كتاب آداب القضاء باب قضاء الحاكم علي الغائب إذا عرفه [٥٤٢٠] ، مسند أحمد[٢٤٢٣١]

١٧. عَنْ أُمِّ سلمه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سلمه أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاَثًا وَقَالَ « إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِى ».[1]

١٨. عن عَائِشَةُ دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَعِنْدِى رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِى وَجْهِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَخِى مِنَ الرَّضَاعَةِ. قَالَتْ فَقَالَ « انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ ».[2]

١٩. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ على ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب. فقالت: يا رسول الله ! إني أريد الحج. وأنا شاكية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني[3]

٢٠. عَنْ اسماء قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « انْفَحِى - أَوِ انْضَحِى أَوْ أَنْفِقِى - وَلاَ تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَلاَ تُوعِى فَيُوعِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ».[4]

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الرضاع باب قدر ما تستحقه البكر والثيب من اقامه الزوج عندها عقب الزفاف[١٤٦٠] ، ،والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء في الحال التي يختلف فيها حال النساء [٨٨٧٦] ، ابن ماجة كتاب النكاح باب الاقامه علي البكر والثيب[١٩١٧]، مسند أحمد[٢٦٥٠٤] أبو داود كتاب النكاح باب في المقام عند البكر [٢١٢٢]

(٢) أخرجه مسلم كتاب الرضاع باب إنما الرضاعة من المجاعة[١٤٥٥] ، وأخرجه البخاري كتاب الشهادات باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض[٢٦٤٧،وأبي داود كتاب النكاح باب في رضاعة الكبير[٢٠٥٨]، ابن ماجة كتاب النكاح باب الرضاعة بعد فصال[١٩٤٥] ، مسند أحمد[٢٤٦٣٢]

(٣) أخرجه مسلم كتاب الحج باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه[١٢٠٧] ، وأخرجه البخاري كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين[٥٠٨٩]، ابن ماجة كتاب المناسك باب الشرط في الحج [٢٩٣٨] ، مسند أحمد [٢٥٣٠٨] أبي داود كتاب المناسك باب الاشتراط في الحج[١٧٧٦]

(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب الحث علي الإنفاق وكراهية الإحصاء[١٠٢٩] ، مسند أحمد[٢٦٩٢٢] البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب هبه المرأة لغير زوجها وعتقها[٢٥٩١]

٢١.	عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاِسْتِغْفَارَ فَإِنِّى رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ مِنْكُنَّ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ « أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِى مَا تُصَلِّى وَتُفْطِرُ فِى رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ »(١)

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بنقص الطاعة[١٣٢]، وأخرجه البخاري كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم [٣٠٤] ، الترمذي أبواب الإيمان باب ماجاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه[٢٦١٣] ،مسند احمد ٥٣٤٣] ، ابن ماجه كتاب الفتن باب فتنه النساء[٤٠٠٣]

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

١.النهي عن المسارعة في الحكم في الأمور الغيبية

عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ دُعِىَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى جَنَازَةِ صَبِىٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ « أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : اختلفت أقوال العلماء في عاقبة الأطفال الذين ماتوا صغارا وخاصة أطفال الكفار،هل مصيرهم إلى الجنة أم مصيرهم إلى النار[١]والقول بأنهم من أهل الجنة هو الذي اختاره الجمهور واستدلوا عليه بعدة أدلة منها حديث الرؤية الذي "ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه رأى إبراهيم عليه السلام وحوله أطفال وفيه " وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَلام وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ " "[٢]فإن كان أولاد المشركين في الجنة فأولاد المسلمين من باب أولى ، ومن العلماء من أوَّل قوله صلى الله عليه و سلم لعائشة في هذا الحديث بأنه قاله "قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين كلهم في الجنة" [٣]

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الحثّ على التثبت وعدم إطلاق الأحكام خاصة فيما يتعلق بعقيدة المسلم ، والنهي عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون هناك دليل قاطع[٤]

❧ ❧ ❧

---

(١)تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ(٥/ ٢٥٤)
(٢)السابق نفسه
(٣)السابق نفسه
(٤)ينظر : الديباج على صحيح مسلم (٢٥/٦)

المعجمُ اللُّغويُّ :

الطُّوبى: الطيّبُ، عن السيرافي. وطُوبى: فُعْلى من الطِّيبِ؛ كأن أصله طُيْبى، فقلبوا الياء واواً للضمة قبلها؛ ويقال: طُوبى لَك وطُوباك، بالإضافة . قال يعقوب : ولا تَقُل طُوبِيك، بالياءِ. التهذيب: والعرب تقول طُوبى لك، ولا تقل طُوباك وطُوبى: شجرة في الجنة، وفي التنزيل العزيز: طُوبى لهم وحُسْن مابٍ. وذهب سيبويه بالآية مَذْهبَ الدُّعاء، قال: هو في موضع رفع يدلّك على رفعه رفعُ: وحُسْنُ مابٍ. قال ثعلب: وقرئَ طُوبى لهم وحُسْنَ مابٍ، فجعل طُوبى مصدراً كقولك: سَقْياً له. ونظيره من المصادر الرُّجْعَى، وقيل: طُوبى اسم الجنة بالـهِنْدية . وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: طُوبى اسم الجنة بالحبشية. وقال عكرمة: طُوبى لهم معناه الحُسْنَى لهم. وقال قتادة: طُوبى كلمة عربية، تقول العرب: طُوبى لك إن فعلت كذا وكذا وفي الحديث: طُوبى للشّأمِ لأن الملائكة باسطةٌ أجنحتَها عليها؛ المراد بها ههنا: فُعْلى من الطيب، لا الجنة ولا الشجرة. (١)

صلب: الصُّلْبُ والصُّلَّبُ: عَظْمٌ من لَدُنِ الكاهِلِ إلى العَجْب ، والجمع : أَصْلُب وأَصْلاب وصِلَبَةٌ؛ والصُّلْب من الظَّهْر، وكُلُّ شيء من الظَّهْر فيه فَقَارٌ فذلك الصُّلْب الأَصْلابُ: جَمْعُ صُلْب وهو الظهر. والصَّلابةُ : ضدُّ اللِّين . صَلُبَ الشيءُ صَلابَةً فهو صَلِيبٌ وصُلْب وصُلَّب وصلب والصُّلْب : موضع بالصَّمَّان، أَرْضُهُ حجارةٌ، من ذلك غَلَبَتْ عليه الصِّفَةُ، وبين ظَهراني الصُّلْب وقِفافِه، رياضٌ وقِيعانٌ عَذْبَةُ المَنابِتِ وصَلَبَ العِظامَ يَصْلُبُها صَلْباً واصْطَلَبَها : جَمَعَها وطَبَخَها واسْتَخْرَجَ وَدَكَها لِيُؤْتَدَم (٢)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

وفي قولها رضي الله عنها " عصفور من عصافير الجنة " حكم على الصبي انه من أهل الجنة موشى بتصوير غاية في الحسن والبهجة فالعصفور ذلك الكائن الجميل الحر الطليق وهو من الصغر ما يمنع عنه التكليف والحساب "فطُوبَى له" وهنيئاً له.
لماذا تستطيب له ذلك ، لأنه ضمن دخول الجنة والتقلب في نعيمها والبهجة في ارجائها ونواحيها متنقلا من قصر لقصر ومن ربوة لنهر.

"أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ"

- "اوَغير" دخول ألف الاستفهام على الواو كثير في كتاب الله تعالى ، وقد أشار سيبويه إلى هذه الواو في كتابه (٣)

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ط.و.ب)
(٢)ينظر : السابق (ص.ل.ب)
(٣) ينظر : الكتاب ، لسيبويه (٣/ ١٨٦)

ومنها ماجاء في قوله تعالى " أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون"الصافات ١٦ وقوله تعالى " أوَكُلَّمَا عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ " البقرة ١٠٠ الواوحرف عطف دخلت عليها همزة الاستفهام لتقرير المخاطب ، بعد العطف .

وقد يبدو كأن رسول الله صلى الله عليه و سلم ينفي وينكر حكم السيدة عائشة على الصبي بالجنة ، غير أن الإنكار وإن وجد ليس على التصوير بقدر ما هو إنكار على "المسارعة إلى القطع"(١)بالحكم دونما دليل.

- "ذلك" تفخيما لما ذهبت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها في بيانها من معانٍ تتصل بالقدر وعاقبة الإنسان وهو ليس بالعلم اليسير وليس مما يستهان به ،لأنه ما سيأتي بيانه وما سيبنى تمام الكلام عليه .

"إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً " و"خَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً "

- الجمع بين المتضادين طباق إيجاب بين لفظتين من نوع واحد (٢)، وقد تحققت بلاغة الأسلوب في بيان معنى التعادل والتوازن ، فهي العدالة الكاملة وحسن الظن بالله ، التي تقتضي اليقين والإيمان بأن الأمر في حكم الله وعلمه
- الجملتان خبريتان مؤكدتان يقف عندها المؤمن إذعانا ويقيناً ليعلم " أن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خُلق له ، والخير والشر مقدران على العباد (٣) " وهي عقيدة أهل السنة والجماعة لا حياد عنها ولا تبديل

"خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ "

- "جملة خلقهم لها "تكرار للتأكيد انهم مخلوقون لدخول الجنة[4]
- "في"للظرفية((٥))بمعنى وقت كانوا ،والجملة كلها تكرار وموازنة لتقرير المعنى وتمام استحضاره في الذهن ،
- الاصلاب عَظْمٌ من لَدُنِ الكاهِل إلى العَجْب والمقصود الظهر وفي اختيار "الصلب " ،عدولا عن " الظهر" الذي نصت به الآية القرآنية في هذا الشأن جزالة في اللفظ يقتضيها المقام الذي هو خطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (٥/ ٢٥٦)

(٢)ينظر : الإيضاح ، للقزويني (١٠٩)

٣ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ،العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي(المتوفى ٧٣١هـ) (٤٢٠) تحقيق أحمد محمد شاكر ،الرياض ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،١٤١٨هـ

٤ غير أن في رواية أحمد قلب، لإفادة التخصيص فكان المعنى غاية في الحسن " خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهَا لَهُمْ " "وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهَا لَهُمْ " مسند احمد (٣٦٤٩٠) فعود الضمير إلى الجنة و إلى النار ،جعلت الجنة خاصتهم ،خلقت من أجلهم ،وكذلك النار

(٥)الجنى الداني ، للمرادي (٢٥٠)

،وما سمي الظهر صلباً إلا لصلابته وشدته[١] فالمعنى إضافة إلى كونه درس في عقيدة المسلم يرسخ دعائمه رسول الله صلى الله عليه و سلم بين يدي السيدة عائشة رضي الله عنها ، يحوي تثقيفاً نفسياً وترهيباً ولوما عن المسارعة في الحكم ،في لغة جزلة رصينة وموازنة دقيقة ،فللجنة أهلها وللنار كذلك مكتوب عليهم من أول خلقهم ،وشاهد ذلك في كتاب الله تعالى " إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم "الأعراف ١٦٢

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمير في " فَقُلْتُ ، يُدْرِكْهُ، خلَقهُمْ ، لَهَا، وَهُمْ، ابَائِهِمْ "
والإحالة بالإشارة في " طُوبَى لِهَذَا ،غَيْرَ ذَلِكَ "
ومن العوامل العطف " وَلَمْ يُدْرِكْهُ ، أَوَغَيْرَ ، وَهُمْ ، وَخَلَقَ "
والتوكيد " إِنَّ اللهَ خَلَقَ "
ومنها التكرار في " خَلَقَ ، خَلَقَهُمْ ، خَلَقَ ، خَلَقَهُمْ " والجملة كاملة في " أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ و أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ "
والطباق بين " لِلْجَنَّةِ ، لِلنَّارِ

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز الخطاب على أسلوب تضافرت معه عدة أساليب لبيانه وتمام معناه وهو أسلوب الطباق الذي بين المعنى ووضحه وكما يقال : بضدها تتميز الأشياء والضد يظهر حسنه الضد ، ثم جاء مراعاة النظير و توازن العبارات وتكرار الجملة كاملة مبرزاً للمعنى متمماً له .
تخلل ذلك التوكيد وتكراره في الجملتين
النداء للتنبيه ، والإشارة للربط بين سياقي الخطاب والمناسبة .
وقد تميز الألفاظ بالوضوح والسهولة ،مع شيء من الجزالة كما في لفظة "الصلب".
كما جاءت المعاني متممة لما تحتاجه المرأة المسلمة في مجال العقيدة من إيمان بالقضاء و القدر ، مع الترهيب التسرع في الحكم في القدر وغيبه ذلك " أن قدر الله سابق على حدوث المخلوقات ، وأن الله تعالى يظهر من ذلك ما شاء لمن شاء ".[٢]

---

(١)معجم الفروق اللغوية للأصفهاني (١٩١٣)
(٢)ينظر : المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ، للقرطبي (٢٥١/٥)

٢.الأخذ بقول القائف

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ مَسْرُورًا فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِىَّ دَخَلَ عَلَىَّ فَرَأَى أُسَامَةَ وَزَيْدًا وَعَلَيْهِمَا قَطِيفَةٌ قَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا وَبَدَتْ أَقْدَامُهُمَا فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

في السياق أن رسول الله صلى الله عليه و سلم دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مسرورا لما كان من قيافة مجززاً المدلجي([١]) و مقالته في أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبيه زيد بن حارثة رضي الله عنهما ، وذلك لأن قريشاً كانت تقدح في نسب أسامة ،فقد كان شديد الأدمة و كان أبوه زيداً زهرياً شديد البياض ، وزيد بن حارثة من العرب سبي ، اشترته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ثم وهبته للنبيّ ـ ﷺ ـ ، فتبنّاه حتى نزلت آية التبني ، و تزوج بأم ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنجبت له أسامة .

ﻫ ﻫ ﻫ

المقصد الكلي لنص الخطاب :

فيه بيان حكم القائف وإثبات الحكم بالقيافة والمسرة بها ، وقد اختلف في حكم الأخذ بها [٢] لأن أسامة قد ثبت نسبه قبل ذلك [٣]

ﻫ ﻫ ﻫ

---

(١) ومجززاً المدلجي كان قائفا على عهد رسول الله ﷺ ، منسوب إلى قبيلة مدلج التي عرفت بهذا العلم ، وهو " ابن الأعور بن جعدة المدلجي نسبة إلى مدلج بن مرة بن عبد مناف من كنانة ، وقد سمي مجززا بتشديد الزاي المكسورة لأنه كان إذا اخذ أسيراً في الجاهلية جز ناصيته ثم أطلقه ، عمدة القارئ ، للعيني (٢٣/ ٤٠٨)

(٢)ينظر : السابق (٢٣/ ٤٠٩) فقد كان ممن قال بها انس بن مالك ، وعطاء ومالك والاوزاعي والليث والشافعي وأحمد وأبو ثور ،وممن أبطل الحكم بها الكوفيين ، والثوري وأبو حنيفة وأصحابه .

(٣) السابق نفسه

المعجمُ اللُّغويُّ :

كان يقال : في علوم العرب ثلاثة : السيافة و العيافة والقيافة ، فالسيافة شم تراب الارض ، فيعلم بها الإستقامة على الطريق أو الخروج عنها ، والعيافة : زجر الطير والطيرة و التفاؤل ونحو ذللك ، والقيافة اعتبار الشبه بإلحاق النسب [١]واشهرها علم القيافة .

واصل القيافة من القفا ، جاء في اللسان قُوفُ الرقبة و قُوفتُها : الشعر السائل في نُقْرتها يقال خذ بقُوف قَفاه وبقوفة قفاه وبقافِيةِ قَفاه ، و القائفُ : الذي يَعرف الآثار يقال قَفَوْت أثره إذا اتَّبعْته [٢]

و" بَعْضُ الشيء طائفة منه ، والجمع أبعاض "[٣]"والبعوض بني لفظه من بعض ، وذلك لصغر جسمها بالإضافة إلى سائر الحيوانات ."[٤]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"ياعَائِشَةُ أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِيَّ دَخَلَ عَلَيَّ "

في إخبار رسول الله صلى الله عليه و سلم السيدة عائشة رضي الله عنها بأمر مجزز المدلجي وصدق قيافته صورة من صور الأمر[٥]، ودعوة للأخذ بالقافة والتفاؤل بخبرهم على ما كان من علوم العرب وعاداتها.

النداء للتنبيه ، للاهتمام والتبصر بمصدر الخطاب وموضوع الخطاب "تري " متعدٍ بمعنى علم مفعوله الأول جملة " أن مجزز " و الثاني جملة "دخل علي " ، والاستفهام للتنبيه والأمر بالرؤية ، و " أن مجززا " ،توكيد للخبر .

" فَرَأَى أُسَامَةَ وَزَيْدًا وَعَلَيْهِمَا قَطِيفَةٌ قَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا وَبَدَتْ أَقْدَامُهُمَا "

الفاء للتعقيب في الزمن ،بين الفعلين ، فالرؤية حدثت دون تعريف بهما ، وحرف التحقيق " قد " من البلاغة المؤاتية فهو تأكيد لحقيقة الحال إذ بدونه لوقع في الظن أن وجوههما كانت بادية ، والواو حالية يليها جمله من الأحوال في إطناب مقصود ، دقة في الوصف و مطابقة لمقتضى الحال

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (١/ ٦٩)
(٢)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ق.ي.ف)
(٣)ينظر : السابق مادة (ب.ع.ض)
(٤)ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن (بعوض)
(٥) ينظر : صورة الأمر والنهي ، د. محمود توفيق (١٤٠)

" فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ "(١)

وهو مقول القول للقائف ، وبعضها من بعض ، كناية عما بينهما من النسب والقربى و"بيان شدة الاتصال بين هذه الذرية ، فـ " من " للاتصال لا للتبعيض ؛ أي بين هذه الذرية اتصال القرابة ، فكل بعض فيها هو متصل بالبعض الآخر" (٢)

وإخباره صلى الله عليه و سلم بمقولة مجزز وسروره بها فيه دلالة على الترغيب في علم القيافة والأخذ به

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

يظهر في الخطاب عدد من رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر عند استعمال ضميرالمخاطب في " تري " والضمير المستتر في "قال" ثم ترابط ضمائر الغيبة في "وَعَلَيْهِما غَطًّيا ، رُءُوسَهُمَا ، أَقْدَامُهُمَا ، بَعْضُهَا" وكذلك في " عَلَيَّ ،عَلَيَّ "

والإحالة بالإشارة في " إِنَّ هَذِهِ "

ومن العومل العطف في " فَرَأَى ، وَزَيْدًا، وَبَدَتْ ، فَقَالَ "

والتوكيد في " أَنَّ مُجَزِّزًا ، قَدْ غَطَّيَا ،إِنَّ هَذِهِ "

والتكرار في " أَقْدَامُهُمَا ، الأَقْدَامَ "

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب:

اعتمد الخطاب على الاستفهام المنفي ، للتقرير بالحدث والدعوة إلى أخذه والتفاؤل به وهو دخول القائف وما صدر عنه من مقالة على اثر ما رأى ، ذلك كون الخبر غريباً أو مهما أو أنه مما ينكر عند المخاطب و غيره (٣).

وقد تقدم النداء وهو كثير في الخطاب النبوي للمرأة للتنبيه إلى أهمية ما سيرد عقبه حتى يتمكن من نفس المخاطب حق تمكن(٤).

ثم جاء الإطناب في الوصف لبيان العلة في الأخذ بقول القائف والمسرة به .

(١) وقد ورد فيه اختلاف لفظي ونظمي ، فجاء " إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ لَمِنْ بَعْضٍ ».مسلم - باب الرضاعة (٣٦٩٠) بتقديم "بعض" ، واثبات اللام للتوكيد ، كما جاء – " إِنَّ بَعْضَ الأَقْدَامِ لَمِنْ بَعْضٍ ».مسند احمد (٢٥٢٦١) بحذف أداة الربط اسم الإشارة "هذه " فأصبحت حكمة **وتذييلاً** في شأن ما رأى .

(٢) تفسير قوله تعالى " ذرية بعضها من بعض " سورة آل عمران : تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (٣/ ٢٣١) الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٨٨٤م

(٣) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، لعز الدين السيد (٧٩) ، بيروت ، دار اقرأ - ط١ - ١٤٠٤هـ ١٩٩٨م

(٤)ينظر : الإيضاح ، للقزويني (١/ ١٠٩)

والكناية عن التناسل والقربى في قوله (بعضها من بعض) وهي كناية مألوفة تتسم بالسهولة والوضوح .
كما تميزت الألفاظ بالصفاء والنقاء مع ظهور المعنى ووضوح المغزى .
وجاءت المعاني واضحة الدلالة على المقصود من الترغيب في السرور بأقوال القائف .
وخلا الخطاب من كافة المحسنات البديعية وألوان التصوير .

٣.موقف الناس يوم البحشر

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : : أن خطاب المرأة في هذا النص جاء ردا على سؤال المرأة رسول الله صلى الله عليه و سلم عقب مقالة سمعتها عن أهوال الحشر وحال الناس فيه ، وان كانت هذه المرأة هي أم المؤمنين وزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وليس غريبا على مثلها مثل ذلك إلا إنها تمثل نموذجا و قدوة لنساء العالم على مر الدهور في طلب العلم والحرص عليه .

❦ ❦ ❦

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان الحشر وكيفيته ،وموقف الناس فيه والترهيب منه

❦ ❦ ❦

أثر المعجم اللغوي في بيان التكليف : "حفا: الحَفا: رِقَّة القَدم والخُفِّ والحافر، حَفِيَ حَفاً فهو حافٍ وحَفٍ، والاسم الحِفْوة والحُفْوة. وقال بعضهم: حافٍ بيِّنُ الحُفْوة والحِفْوة والحِفْية والحِفاية، وهو الذي لا شيء في رِجْله من خُفٍّ ولا نَعْل، والحَفا: المَشْيُ بغير خُفٍّ ولا نَعْلٍ. والحَفاءُ، ممدود، أَن يمشي الرجل بغير نَعْل، وحَفِيَ بالرجُل حَفَاوة وحِفاوة وحِفاية وتَحَفَّى به واحْتَفَى : بالَغَ في إكْرامه."(١)

وقال المفسرون كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عُراةً ويقولون: لا نطوف بالبيت في ثياب قد أَذْنَبْنا فيها ، وكانت المرأة تطوف عُرْيانَةً أيضاً إلاّ أنها كانت تَلْبَس رَهْطاً من سُيور (٢)

غرل: القُلْفة. وفي حديث أبي بكر: لأَنْ أَحْمِل عليه غُلاماً ركب الخيل على غُرْلَتِه أَحِبُّ إليَّ من أن أَحْمِلك عليه ؛ يريد ركبها في صغره واعتادها قبل أن يُخْتَن ، وعامٌ أَغْرَلُ: خَصِيب. وعيش أَغْرَلُ أي واسع. ورجل غَرِلٌ: مسترخي الخَلْقِ؛ ورمح غَرِلٌ: سيِّء الطول مُفْرِطه (٣)

---

(١) ينظر :لسان العرب ،لابن منظور مادة (ح.ف.ا)
(٢) ينظر : السابق (ع.ر.ي)
(٣) ينظر : لسان العرب (غ.ر.ل)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب

مقالة سمعتها السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فيما رواه سَعِيدُ بْنَ جُبَيْرٍ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَلاَ وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِى فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِى. فَيُقَالُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قَالَ فَيُقَالُ لِى إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ ». (١)

والحديث يحوي بدائع قيمة ولفتات جديرة بالتقصي ومع انه ليس مدار بحثنا إلا أنه يكمل المقالة التي سمعتها أم المؤمنين من رسول الله صلى الله عليه و سلم.

"حفاة عراة غرلا" جمع أغرل وهو الأغلف الذي لم يختن ، كما كان في أول خلقته قال الزمخشري " فإن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه ،قلت إيجاده من العدم فكما اوجده اولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم "(٢) مكتملا تاما لا ينقص من خلقته شيء

"النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ "٣ اشغلها سلاح ابليس الأول التكشف والنظر إلى العورات ، وقد تقدم في بيان السيدة عائشة رضي الله عنها ذكر "النساء" على "الرجال" لأنهن الأولى بالستر والأجدر بالحياء "و جميعا "تأكيد لإنكار السيدة عائشة رضي الله عنها اجتماع النساء والرجال على هذه الهيئة ،و الأمر حقيقٌ من الأهمية بمكان ،أما وأن الكلام في مقامه الذي ورد فيه عن الحشر وأهوال يوم القيامة فواضح أن هناك ما يفوقه في ميزان الأهمية والعظم مما ينخلع له قلب المؤمن .

وهنا يستحسن للدارس أن يدرك أن قيمة الكلام تتوقف على السياق ومطابقته للمقام وهذا ما بينه إليه سيد البلغاء صلى الله عليه و سلم في خطابه

"يَا عَائِشَةُ" الأصل في النداء للتنبيه وقد يخرج إلى معنى أخر كالزجر واللوم والإنكاروهو هنا عن إعتقاد أمرلا يكون مثله في هذا المقام .

---

(١) صحيح مسلم ، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبقاء الحشر يوم القيامة [٢٨٦٠]

(٢)ينظر : الكشاف ، للزمخشري (٤ / ١٦٨)

٣ وفي رواية :فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ قَالَ « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »سنن النسائي - الجنائز- [٢٠٩٥]

"الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ " الأمر " يوم الحشر الذي هو رهن الكلام و مناسبته كما أشار إليه حديث ابن عباس رضي الله عنه والاكتفاء بالتلميح للتعظيم والتهويل ،وفيه إبهام حتى يأتي الإيضاح بعده أكثر وضوحاً و تقريراً ، فهو من الإطناب للإيضاح بعد الإبهام .

وفي " أشد" أسلوب تفضيل ،يدل على الزيادة في أصل الفعل غالباً ولا يخلو المفضل عليه من مشاركة المفضل في المعنى غالباً، بغرض التهويل والترهيب من يوم الحشر والحساب فهو يوم أكثر شدة على الناس من أن ينشغلوا بغيره من الغرائز أيا كانت حالهم وهو ما عني ببيانه صلى الله عليه و سلم في مقالته التي وصفت حال الناس يوم القيامة لان المقصود بيان الحشر وأهواله وكيفيته وذكر مافيه من أهوال.
و"بعضهم إلى بعض "[1] مجاز مرسل استهجان للذكر مما لا يهم في هذا المقام ،إذ ليس العجب في أن ينظر بعضهم إلى بعض بل في النظر إلى العورات .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائرفي " سَمِعْتُ ، قُلْتُ ، بَعْضُهُمْ "
والعطف في " النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ"
التفضيل في " الأَمْرُ أَشَدُّ "
والتوكيد في " جَمِيعًا ،أَنْ يَنْظُرَ "
التكرار في " يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ،و أن يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة هو أسلوب النداء واللوم ،وتأكيد النفي يؤكده استخدام فعل التفضيل "أشد " ثم جاء المجاز المرسل لبيان حقيقة المفاضلة من هوان واستهجان المفضل حتى عن مجرد الذكر في هذا المقام .
أما الألفاظ فقد اتسمت بالوضوح والسهولة والبعد عن التكلف وهو ما يتناسب مع سياق التثقيف النفسي لنفي التوهم والتعجب .
وقد خلا الخطاب من التصوير البياني والمحسنات اللفظية .
واتسمت المعاني بالواقعية والصدق في وصف حال الناس يوم الحشر وعدم انشغالهم بالنظر إلى بعضهم مع توفر دواعي النظر المعتادة .

---

١ وفي رواية « الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ »البخاري - باب الرقاق (٦٥٢٧)

٤.الصبر عند الصدمة الأولى

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِى عَلَى صَبِيٍّ لَهَا فَقَالَ لَهَا « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى ». فَقَالَتْ وَمَا تُبَالِى بِمُصِيبَتِى. فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ فَأَتَتْ بَابَهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ ». أَوْ قَالَ « عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : وفي سياق مختلف جاء الخطاب يحث المر أة المسلمة على الصبر عند المصاب وعدم الجزع ، فقد مر رسول الله صلى الله عليه و سلم بقبر ، وإذا بامرأة لم يوقف على اسمها تنوح و تبكي فأمرها بالصبر ، فإذا بها تعرض عنه وتأمره بالتنحي وعدم التدخل وتعلل له ذلك بأنك خلو من مصيبتي ولا تدري بحالي ، قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم والحال أنها لم تعرف النبي ، إذ لو عرفته لما خاطبته بهذا الخطاب ، فمر بها رجل فقال لها إنه رسول الله فهل تعرفينه قالت :لا واصابها من شدة الكرب ما أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم خجلا ومهابة منه .(١)

المقصد الكلي لنص الخطاب : الأمر بالصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر وهو أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع (٢)

المعجمُ اللُّغويُّ: "الصَّدْمُ: ضَرْبُ الشيء الصُّلْب بشيء مثله. وصَدَمَه صَدْماً: ضَرَبه بجسده. وصادَمهُ فتَصادَماً واصطَدَما، وصَدَمَه يَصدِمُه صَدْماً، وصَدَمَهُم أَمْرٌ: أَصابهم. والتَّصادُمُ: التَّزاحُمُ. والرَّجُلانِ يَعْدُوانِ فيَتَصادَمانِ أَي يَصْدِمُ هذا ذاك وذاك هذا، والجَيْشانِ يَتَصادَمان. وفي الحديث: الصَّبْرُ عند الصَّدْمةِ الأُولى أَي عند فَوْرة المصيبة وحَمْوَتها؛"(٣)

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢٧٣/١٢)
(٢)ينظر : تحفة الأحوذي ،للمباركفوري (٥٤/٤)
(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ص.د.م)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" اتَّقِى اللهَ وَاصْبِرِى "

أكان فعلُها خارجاً عن إطار التقوى أم هو ضد الصبر؟ وهل ثمة علاقة بين التقوى والصبر؟ لقد اقترنت التقوى في القران الكريم بكثير من الطاعات ،كالصوم والأيمان وكذلك الصبرذلك لأن التقوى هي السبيل إلى الصلاح [١]وفي ذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية : ولابد للإنسان من شيئين: طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور. فالأول هو التقوى، والثاني هو الصبر.[٢]

و في السياق تقدم الأمر بالتقوى على الأمر بالصبر ،لأهميته ولأن القيام بالفعل الأول يفضي إلى القيام بالفعل الثاني ويتعلق به فكأنما هي " توطنه لقوله واصبري ، كأنه قيل لها خافي غضب الله أن لم تصبري "[٣]

"إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ " أو " عند أول الصدمة "

- جاءت هذه الجملة ـ كما ورد في السياق ـ في مقابل اعتذار المرأة عما صدر منها من إعراض وهو أسلوب حكيم[٤] له شأن عظيم في خطاب المرأة المسلمة[٥] فهو، يدعو المخاطبة إلى أمور منها التفكر فيما هو أولى وأهم ، وهل ثمة أهم من غضب رسول الله ﷺ

أو "كأنه قال لها دعي الاعتذار فإني لا اغضب لغير الله وانظرى لنفسك" [٦]فإن ما تفعلينه لا يرضي الله ثم إن به تثقيفاً نفسياً يرغب الجاهل في الامتثال والإذعان عندما يتأمل "ما كان فيه عليه رسول الله ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٧]

---

(١)منها قوله تعالى :" وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " وقوله :" إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " وقوله: " وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا"

(٢)ينظر : مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) (١٠/ ١٢٣) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٣) فتح الباري ، لابن حجر (١٥٠/٣)

(٤)" الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له "ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للقزويني (٢٤)

(٥)ينظر : فتح الباري، لا بن حجر (١٥٠/٣)

(٦)ينظر : السابق نفسه

(٧)ينظر : السابق نفسه

- الجملة مؤكدة " بإنما " التي من معانيها إفادة القصر بإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه ، و أسلوب القصر بإنما هو بمثابة التوكيد بعدة مؤكدات لحاجة المخاطب المنكر أو المتردد .
- والجملة بعدها إسناد خبري جاء في معرض التكليف و الأمر بالصبر والثبات من أول وقوع المصاب ،بصورة المصدر "الصبر" والغرض منه التثقيف النفسي بالحث والترغيب وليس غرضه الإخبار ، ومصداق ذلك مجيء طريقة القصر بـ "إنما" دون غيرها من طرق القصر.
- " وأصل الصدم الضرب في شيء صلب ثم استعمل مجازا في كل مكروه حصل بغتة"(١) وتشبيه النوائب بالصدمة تصوير حكيم (٢) واستعارة جيدة لان " الصدم " و الارتطام الشديد المؤلم المحطم من الأمور الحسية التي يتدرج الإحساس بها من قمة الهلع إلى المعالجة والاعتياد وهذه حال النوائب والأحزان
- ثم قيدها بأنها "أول" ولم يقل "الصبر عند الصدمة "وسكت ، "أول صدمة " وفيه تخصيص بالإضافة(٣) فهي أول صدمة يواجهها الإنسان أو "أول الصدمة "تعريف بإضافتها إلى معرفة ،أي في بداية الصدمة وعند وقوعها وهو ما يتناسب مع السياق لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يخاطبها بذلك إلا بعد أن جاءت إليه وقد خفت حدة الصدمة عنها عمّا وجدها عليه

غير أن في الوجهين تخصيصاً وتوضيحاً وزيادة تفاضل بالإضافه إلى اسم التفضيل " أول"(٤)

وقد وردت بالروايتين ، والمعنى في الروايتين وإن اختلف لا يتعارض في وجود مرارة الصبر، ولكن المعنى الجديد هو التخصيص والتقييد للصبر بالأول لماذا ؟وما الفرق بين الروايتين؟

فهل ما يكون بعده من صبر لا يؤجر صاحبه ، قال ابن بطال " وجه خصوص ذلك أن للنفس عند هجوم الحادثة محركاً على الجزع، ليس في غيرها مثله، وتلك حال يضعف عن ضبط النفس فيها كثير من الناس ، ثم يصبر كل جازع بعد ذلك إلى السكون ونسيان المصيبة، والأخذ بقهر الصابر نفسه، وغلبته هواها عند صدمته إيثارًا لأمر الله على

---

(١)ينظر : الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي (١٤/٣)
(٢)ينظر : الخصائص البلاغية للبيان النبوي ، أبو العلا الحمزاوي (٩٦)
(٣)يستفيد المضاف من المضاف إليه التخصيص إذا كان المضاف إليه نكرة والتعريف إذا كان المضاف إليه معرفه ، ينظر : شرح الرضي للكافية ،(١ / ٨٧٩)
(٤)مما يستفيده المضاف إلى اسم التفضيل غير معنى الزيادة التخصيص والتوضيح يقول الرضي في الكافية " أن يقصد زيادة مطلقة ، أي يقصد تفضيله على كل من سواه مطلقاً ، لا على المضاف إليه وحده ، وإنما تضيفه إلى شيء لمجرد التخصيص والتوضيح ، كما تضيف سائر الصفات " السابق (٢ / ٧٧٧)

هوى نفسه، ومنجزًا لموعوده، بل السالي عن مُصابه لا يستحق اسم الصبر على الحقيقة، لأنه اثر السلو على الجزع واختاره"[1] فاتضح بذلك وجه التخصيص ، والفرق بين الروايتين ،أن أول مصاب يعترض المرء في حياته يكون له من الوقع و الأثر ما ليس لسواه وهو ماعبر عنه بـ " أول صدمة "، كما أن اول المصاب يحتاج معه المرء إلى التماسك والجلد ما لا يلزمه بعد ذلك بالتأسي والتقادم وهو ما عبر عنه السياق في روايته الأخرى بـ "أول الصدمة " ومن هنا يكون الترجيح ـ من خلال السياق ـ للرواية الثانية " الصبرعند أول الصدمة "ـ كما ترى الباحثة والله اعلم ـ لأن الصدمات تتفاوت شدة ولينا فقد تكون الثانية أكثر وقعا من الأولى وقد تأتي أخرى فتكون ثالثة الأثافي فيتعين عندها من الجزع مالا يتعين عند سابقتها ، فكيف يقف الأجرعند الأولى دون الثانية والثالثة ، أما أول المصاب مهما كان نوعه يكون شديداً في بدايته ثم ما يلبث أن تعتاده النفس ويخف الأثر، فبذلك كان الحصر والتخصيص فيه أولى وهو ما يحتاج إليه السياق .

إلا أن تكون منةً ورحمةً شاملة اقتضت المساواة بينهما في المثوبة والأجر والله قدير، والله تعالى أعلى وأعلم

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في" لَهَا، وَاصْبِرِى، بِمُصِيبَتِى، إِنَّهُ ، فَأَخَذَهَا، بَابَهُ، أَعْرِفْكَ "

ومنها العطف في " وَاصْبِرِى ، فَلَمَّا، فَأَخَذَهَا، فَأَتَتْ، فَلَمْ تَجِدْ، فَقَالَتْ، فَقَالَ "

والتكرار في تكرار شبه الجار والمجرور " لَهَا ، لَهَا ، لَهَا " وفي بَابَهُ ، بَابِهِ"

والتوكيد في " إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّمَا الصَّبْرُ"

والتفضيل بقوله " أَوَّلِ "

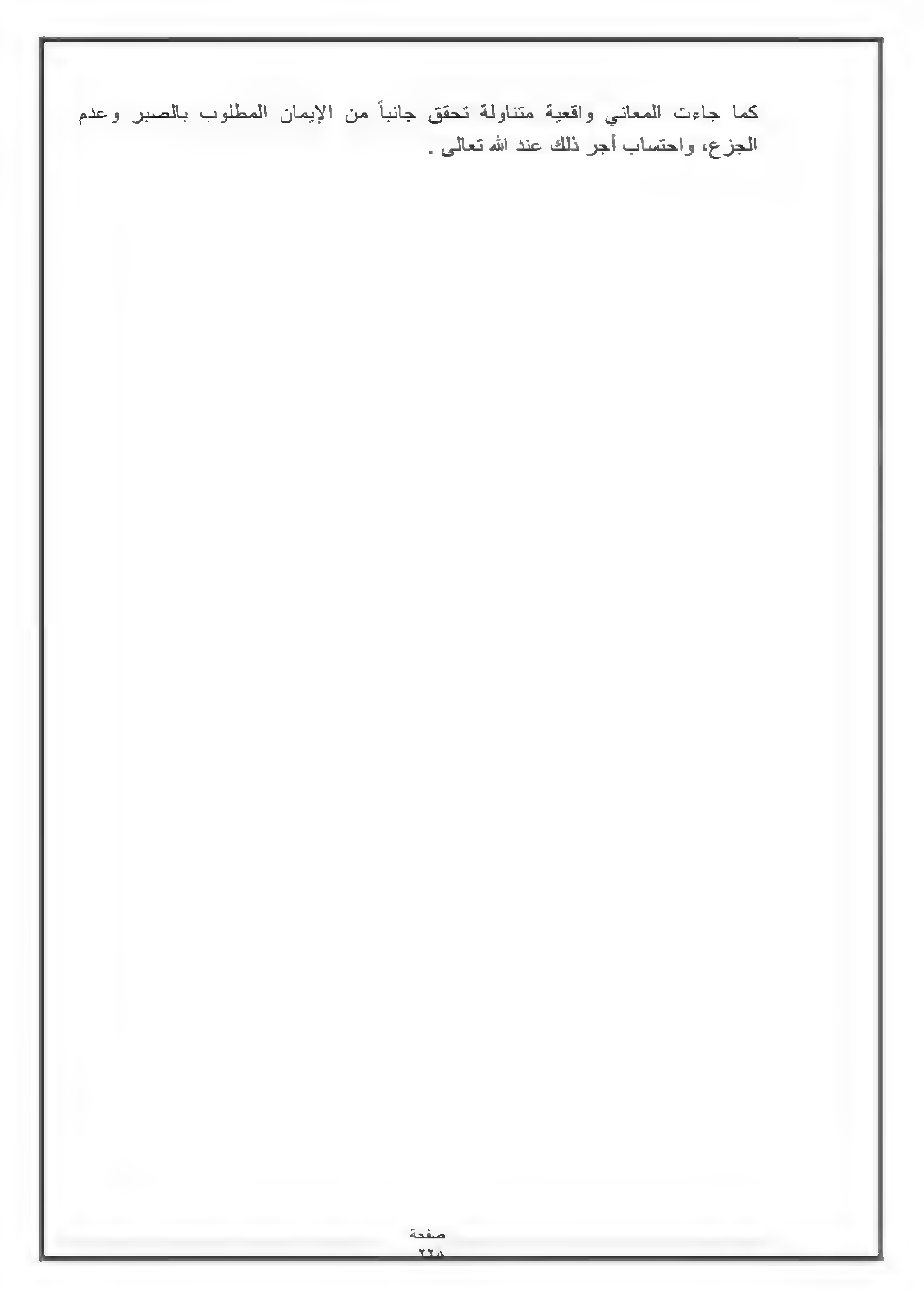
ب)تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة في الخطاب هو المجاز في الاستعارة المكنية ، حيث شبه النوائب بجسم يرتطم ويصطدم وحذف المشبه وكنى بصفته ، وقد لعب التشبيه دوره في التثقيف النفسي ، والحث على التزام التكليف والصبر عند اول المصاب والنهي عن الجزع والهلع .

ثم جاء القصر "بإنما" وماله من دور في إظهار صورة المعنى وتقريرها في الذهن ، وقد هيأ ذلك مجيئ الجملة بما يسمى بالأسلوب الحكيم

كل ذلك في ألفاظ رشيقة سهلة واضحة

١) ينظر : شرح البخاري ، لابن بطال (٤/ ٣٥٧)



كما جاءت المعاني واقعية متناولة تحقق جانباً من الإيمان المطلوب بالصبر وعدم الجزع، واحتساب أجر ذلك عند الله تعالى .

٥.لا ظلم ولا شرطاً فاسد فالولاء لمن أعتق

عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ أَرَادَتْ عَائِشَةُ أَنْ تَشْتَرِىَ جَارِيَةً تُعْتِقُهَا فَأَبَى أَهْلُهَا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْوَلاَءُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ « لاَ يَمْنَعُكِ ذَلِكِ فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : لقد حرر الإسلام النفس البشرية من أسباب الذل والهوان ، وأعز الإنسان وكرمه ، وكان من ذلك انتشاله من براثن الرق ،واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان فضيق منافذه وحدد روافده ، بل وجعل من عتق الرقاب كفارة لكثير من ذنوب العباد ، وقربة من أجل القربات إلى الله تعالى فتنافس في ذلك المتنافسون والقصة حدثت لبريرة جارية عائشة رضي الله عنها هذه الأَمَة كانت مملوكة لبعض الأنصار، وكانت تريد أن تتحرر، فاشترت نفسها مقابل ثمن مؤجل تدفعه لهم ، وجاءت إلى عائشة تطلب منها أن تعينها في هذا الثمن حتى تعتق، ولكن عائشة عرضت عليها أن تشتريها بالثمن الذي طلبه أهلها، وتدفعه لهم لتكون مملوكة لها بدلا منهم ، ثم بعد ذلك تعتقها دون مقابل ، فإذا أعتقتها أصبحت مولاة لها، ولكنها عندما طلبت ذلك ممن كاتبوها تمسكوا بولائها، ولما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجب! كيف يكون لهم الولاء وقد باعوها؟! وكيف لهم أن يشترطوا شرطا فاسدا، لا يمكن أن يكون الولاء إلا لمن منّ بالعتق. (١)

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الثبات أمام الظلم والأمر بعدم الإكتراث لمن يضعون شروطاً فاسدة لأنه صلى الله عليه و سلم كان بين لهم حكم الولاء وأن هذا الشرط لا يحل فلما ألحوا في اشتراطهم ومخالفة الأمر قال هذا لعائشة رضي الله عنها بمعنى لا تبالى سواء اشترطوا أم لا فإنه شرط باطل مردود وقد سبق إجماع المسلمين على ثبوت الولاء لمن أعتق (٢)

❧ ❧ ❧

---

(١) ينظر : فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٤٤/١٢) المنهاج ، النووي (١٤٠/١٠)
(٢)ينظر :السابق نفسه

المعجمُ اللُّغويُّ: العتْقُ خلاف الرِّق وهو الحرية وكذلك العَتاقُ بالفتح والعَتاقةُ عَتَقَ العبدُ فهو عَتيقٌ. وقد عَتَق وعَتُق، إذا أتَى عليه زمن ، وامرأةٌ عتيقة أيضاً، أي جميلة كريمة [1]

البيت العتيق : الكعبة .

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"لاَ يَمْنَعْكِ ذَلِكِ" لا نافية " يمنعك ، فعل مضارع حذف معموله المفعول به للتعميم [٢] الشراء والعتق والخير

"فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ "

- "إنما " لإفادة القصر متضمنة معنى "ما وإلا" وليست هي هي[٣]

فهي لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه وهو قصر حقيقي ، قصر صفة على موصوف للإفراد وتخصيص الصفة ، وهي صفة الولاء ووجوبها في حق من اعتق ، والأصل في الجملة بعد إنما أن تكون مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ، فيكون التوكيد بها تنبيها للمخاطب واستدعاء لما يجب عليه فعله[٤] وهو في سياق الترغيب في المضي في أمر مكاتبة بريرة وعدم السكوت على الظلم بالسماح لهم باتمام شرط باطل يعرفون وتعرف هي بطلانه وهوتثقيف نفسي للمرأة يأمرها بالثبات أمام الحق .

- " الْوَلاَءُ "ال العهدية لأن الولاء نظام عرف في الجاهلية واقره الإسلام

وهو رباط بين العتيق والمعتق بمثابة الوالد للولد ، لازم يلزمه لا يمكنه حله كما لا يمكنه حل البنوة أو الأبوة ،فيوجب الصلة وأداء حق القرابة ويكفل الميراث لكلا الطرفين[٥]، كما أنه يوفر للعتيق حالة من الإستقرار بعيدا عن القطيعة وضياع الهوية واللا إنتماء .

- "لِمَنْ أَعْتَقَ" لام حرف جر يكون بمعنى الإختصاص أو الإستحقاق ، وتكون للملك وهو أقوى معانيها[١] وهي هنا اقرب للاستحقاق فهو حق اكتسبه نتيجة لفعل قدمه ، من للعاقل ذكراً كان أم أنثى فليس لغير العاقل ملك نفسه حتى يعتق غيره.

---

١) ينظر : لسان العرب لابن منظور (ع. ت. ق)

(٢)ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني(١١١) و ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني(١٢٢)

(٣)ينظر : مختصر المعاني، للتفتازاني(١٢١)

(٤)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٤٠)

(٥)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٤٤/١٢)

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " تُعْتِقُهَا ، أَهْلُهَا ، لَهُمْ ،يَمْنَعُكِ "
والإحالة بالإشارة في " فَذَكَرَتْ ذَلِكَ ، لاَ يَمْنَعُكِ ذَلِكِ "
ومن العوامل العطف في " فَأَبَى، فَذَكَرَتْ ، فَقَالَ ، فَإِنَّمَا "
والتوكيد في " أَنْ تَشْتَرِىَ ، أَنْ يَكُونَ، فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ"
والتكرار في " لَهُمْ الْوَلاَء ، فَإِنَّمَا الْوَلاَءُ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب العمدة ، القصر بإنما مبالغة في الإثبات ، متضمناً معنى الزجر والتوبيخ وقد سبق بالنهي وهومناط التكليف وتهيئة مناسبة
واتسمت الألفاظ بالوضوح وعدم التكلف ، قد خلا النص من المحسنات البديعية .
كما جاءت المعاني تحقق حاجة المرأة المسلمة إلى المساندة ومعرفة الحقوق والتمسك بها و تتميزت المعاني بالقوة والعظمة .

(١)الأول نحو الجنة للمؤمنين ، والثاني نحو: النار للمشركين يستحقونها لفعلهم وغيرهم ومن الثالث نحو المال لعلي ينظر : الجنى الداني (٩٦)

٦ـمن الخيرية إبرار الله للقسم

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُخْتَ الرُّبَيِّعِ أُمَّ حَارِثَةَ جَرَحَتْ إِنْسَانًا فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْقِصَاصَ الْقِصَاصَ ». فَقَالَتْ أُمُّ الرَّبِيعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُقْتَصُّ مِنْ فُلاَنَةَ وَاللَّهِ لاَ يُقْتَصُّ مِنْهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أُمَّ الرَّبِيعِ الْقِصَاصُ كِتَابُ اللَّهِ ». قَالَتْ لاَ وَاللَّهِ لاَ يُقْتَصُّ مِنْهَا أَبَدًا. قَالَ فَمَا زَالَتْ حَتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : القصاص في الجنايات أصل ثابت في الإسلام سواء كان الجاني رجلا أو امرأة ، وطلب العفو مشروع أيضاً ، وفيه تخاطب أم الرُّبيِّع رسول الله صلى الله عليه و سلم في ابنتها أم الحارثه أخت الرُّبيّع

والربيع هي بنت النضر بن ضمضم عمة أنس بن مالك رضي الله عنه وقد جرحت إنسانا وعلى رواية البخاري كسرت ثنية جارية لطمتها فطالب أهلها بالقصاص واختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأمر بالقصاص وكسر ثنيتها بالمقابل فاقسمت أم الربيع على الله أن لا تكسر ثنيتها ،وابر الله قسمها بأن عفوا وقبلوا الدية فتعجب رسول الله من قسمها ثم تعجب من بر الله لذلك القسم .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : بيان ما للتفاضل والخيرية من شان في إجابة الدعوة وإبراء القسم ،مع الأمر بتعظيم أحكام الله

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: " القِصاص. قص الثوب قطعه ، قَصَّ الشيء تتبَّعْت أثره شيئاً بعد شيء ،ومنه اتباع الاثر والتَّقاصُّ في الجراحات : جرح بمثله والقصاص أن يوقع على الجاني مثل ما جنى: النَّفْس بالنَّفْس، والجرح بالجرح. والإِقْصاصُ: أَن يُؤْخَذ لك القِصاصُ، وقد أَقَصَّه . وأَقَصَّ الأَمير فُلاناً من فلان إِذا اقْتَصَّ له منه فجرحه مثل جرحه أَو قتَلَه قوداً. واسْتَقَصَّه: سأَله أَن يُقِصَّه منه القِصاصُ والتَّقاصُّ في الجراحات شيءٌ

بشيء أَبرَّ فلانٌ قَسَمَ فلان وأَحْنَثَهُ، فأَما أَبَرَّه فمعناه أَنه أَجابه إِلى ما أَقسم عليه، وأَحنثه إِذا لم يجبه. وفي الحديث : بَرَّ اللهُ قَسَمَه وأَبَرَّه بِرّاً، بالكسر، وإِبراراً أَي صدقه؛"[1]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" القصاص ،القصاص "

الأسلوب إغراء[2] أي الزموا القصاص وعليكم به

" يا رسول الله! أيقتص من فلانة"

خرج النداء من مجرد التنبيه إلى معنى الإستغاثة والإستعانة برسول الله ﷺ على رفع هذا الحكم ، ويؤيده الإستفهام التعجبي استحثاثاً على المبادرة بالدعوةإلى العفو من أصحاب الحق ، حيث " أراد الاستشفاع من رسول الله إليهم ولم يرد به الإنكار "[3]،والتعجب إنما هو من وقوع الفعل على فلانة بدليل اقتران الفعل بمتعلقه "فلانة اخت الربيع" ويعد صدور الفعل مع الصارف القوي له مظنة تعجب [4]إذ ليس التعجب من فعل القصاص في حد ذاته وإنما في حدوثه مع الصارف القوي عنه وهو مكانة فلانة .

وهنا سؤال : ما مكانة فلانة أو اخت الربيع بنت الحارث التي عظمتها المخاطبة .

ليست مكانة الحسب والنسب وما يكره أن يجادل فيه مسلم ، إنها عاطفة أمٍّ وكفى، أمٍّ تشفق على وليدتها ، لقد تكلمت أم الربيع بلسان قلبها وحنو عاطفتها ولصدق عزمها كان ماكان منها

ويؤيد ذلك تقديم الفعل يقتص في قولها " أيقتص من فلانة " فلو كانت تجادل في مكانة فلانة المتعارف عليها من حسب ونسب ،لكان التقديم للجار والمجرور أولى ولكان التعجب والإنكار واقعاً عليه فيقال " أمن فلانة يقتص" ولكنها عاطفة الأمومة ورهبة القصاص ،ولم يكن وراء ذلك كما قال الشيخ أبوموسى :" تجمع طبقي تطل منه نزعة استعلاء ، لو تركت وتضخمت واستعلت على النظام والقانون لكانت خطراً على بنيان المجتمع" [5]

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ب.ر.ر)

(٢) ينظر : المقتضب ،(٢٥٠) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ،وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي – ط١- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

(٣)ينظر : عمدة القاري ،للعيني (٤٢٩/٢٦)

(٤)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (٤٨)

(٥) ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ،دراسة في سمت الكلام الأول، لشيخنا د.محمد محمد أبو موسى (٣٣٢) القاهرة ،مكتبة وهبة - ط١ - ١٤٢١هـ١ ٢٠٠م

"و الله! لا يُقتص منها أبدا "

القسم على نفي وقوع الفعل يقتص بـ "لا النافية" وذلك لحرارة العاطفة وقوة الإنفعال، والرغبة إلى مستحق القصاص أن يعفو وإلى النبي صلى الله عليه و سلم أن يشفع إليهم في العفو ،وليس ردا لحكم النبي صلى الله عليه و سلم بل إنه حلف ثقة بهم أن لا يحنثوه أو ثقة بفضل الله ولطفه أن لا يحنثه ويلهمهم العفو .(١)ولا يجوز فهم كلامها على انه رد لحكم الله تعالى ،فقد وضح الشيخ أبو موسى كيف حاول الطيبي والعيني تخريج هذا القول وتعلل اسبابه،٢ وكان من أرجح الاقوال انه من باب النفي ،وليس من باب رد الكلام

ويؤيد ذلك استخدام صيغة المبني لغير الفاعل "يُقتص" ، وفيه أدب جم ومسلك بليغ في الخطاب فهي تعني صرف الحكم مطلقاً ، والرغبة الأكيدة في عدم تصور وقوعه .

"سبحان الله! يا أم الربيع! "

- التسبيح للتعجب ،وفيه تثقيف نفسي للترغيب بلهجة رقيقة هادئه، فهو علاوة على مافيه من تعجب فيه دعوة إلى ذكر الله واستشعار عظمته ومواجهة النفس بتقصيرها في حقه .
- والنداء جمع إلى التنبيه تثقيفاً نفسياً للتعجب و الترغيب في الإلتزام والطاعة ومن معان النداء الأمر " كأنك تنبه المأمور"(٣)

"القصاص كتاب الله "

- إسناد خبري ، أكساب المخاطب لازم فائدة الخبر وهو تطبيق القصاص ،لان المخاطب عارف بالخبر ،جعل الجملة ترد خالية من عناصر التو كيد رغم موقف المخاطب، فكان اصرار رسول الله صلى الله عليه و سلم على وجوب القيام بلازم هذا الخبر.

في الجملة إيجاز قصر لأن القصاص شريعة من شرائع الله أحكامه واسعة والإيجاز هنا افاد التعظيم من باب التثقيف النفسي للحث على الإلتزام بعظمة هذه الشرائع فجاء الإختصار بصحبة البرهان ، وليس فيه رفض قبوله الشفاعة ، وإنما فيه أنه لا حيلة لي ولا لك في تنفيذ شرع الله لم يغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم كما غضب في

---

(١)ينظر :المنهاج، للنووي (١١/١٦٣)

(٢) ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري د.محمد محمد أبو موسى (٣٣٥)

(٣) ينظر : الكتاب ، لسيبويه (١/ ٣٨٨)

سياق آخر وأنكر أن يشفع في حد من حدود الله ،وأن الحدود إذا بلغت الإمام فليس لها مترك، وإنما قال هذه الجملة المكونة من كلمتين " القصاص كتاب الله[١]" وكأنه قال

فانظر هل تنفذ مافي كتاب الله أم تعطله ؟ وهذا فيه من الاختصار والجزالة والإصابة مافيه "[٢]

هو مجاز مرسل علاقته الجزئية إذ القصاص أية في كتاب الله لا كل الكتاب

"لا. والله! لا يقتص منها أبدا " تاكيد النفي وهو كما دل السياق ليس اعتراضاً على حكمه تعالى ، وإنما ثقة به أن يصرف هذا السوء ويلهم الخصوم الرضى[٣]وقد ظلت تتردد عليهم حتى قبلوا بالعفو .

"إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"

- هذه الجملة زيادة على ما تقدم هي من باب التذييل [٤]، الذي جاء لتأكيد معنى[٥]التعجب والمسرة وهو تثقيف نفسي يرغب في الخيرية ويؤكد على اعتبارها بين المؤمنين ذكورا وإناثاً

لقد كان الحكم بالقصاص مؤكداً وعَزْم رسول الله صلى الله عليه و سلم على تحقيقه بيناً ، ولكنه لم يكن ، فكان موضع تعجبه صلى الله عليه و سلم بهذه الجملة التي هي " فلقة من نور البيان "[٦]بما حوت من درر الكلام وفنون الصياغة .

- الجملة خبرية مؤكدة .
- تقدم شبه الجملة الجار والمجرور "من عباد الله " للتشويق .
- " عباد الله " وصف هذه الفئة المختارة بالعبودية والتذلل والتقرب إلى الله تعالى بيان لدواعي خيريتهم .

---

(١) تناول شيخنا أبو موسى رواية البخاري - باب الصلح [٢٧٠٣] وقد جاء فيها أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ أَنَّ الرُّبَيِّعَ - وَهْىَ ابْنَةُ النَّضْرِ - كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ وَطَلَبُوا الْعَفْوَ ، فَأَبَوْا فَأَتَوُا النَّبِىَّ - ﷺ - فَأَمَرَهُمْ بِالْقِصَاصِ .فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَقَالَ « يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ » .فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ». وفها ورد " كتاب الله القصاص " بتقديم كتاب الله لاختلاف السياق فالقوم في السياق الذي تناولته الدراسة لا تدفعهم الحمية أو العصبية= =،التي قد تسوق إلى تعطيل أحكام الله بالكلية كما كان الحال في السياق الأخر، بل أن ما يدفعهم رهبة القصاص ، فكان أن تقدم ذكره في السياق.

(٢)ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ، للشيخ أبي موسى (٣٣٦)

(٣)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٢/ ٢١٠)

(٤) ينظر : الإيضاح ، للقزويني (٦٥/١)

(٥) ينظر السابق نفسه

(٦)ينظر : شرح أحاديث من صحح البخاري ، للشيخ أبي موسى (٣٣٦)

- الإخبار بالاسم الموصول " من " وهو مبهم يحتاج إلى إيضاح، إطناب للإيضاح بعد الإبهام تأكيداً للتشويق
- مجي صلة الموصول بأسلوب الشرط " لو اقسم على الله لأبره " جعل ما تميزوا به غاية في الندرة والسمو ، لأن لو تدل على امتناع ما بعدها لإمتناع جزائها ، اما وقد كان فهو دليل الندرة وبلوغ الممتنع ،فليس كل من أقسم على الله ابره .
- سمى تصديق القسم "براً "وفيه وجه فالبر الخير،والبر الصلاح ،و بررته وصلته ،و ابر الرجل : كَثُرَ وَلَدهُ. وأَبَرّ القومُ: كثروا ، ويَبَرُّ بقسمه إذا صدقه ولم َيحْنَثْ ،ومن اسماء الله تعالى "البَرُّ " دون البارّ،وهو العَطُوف على عباده بِبِرِّهِ ورحمته(١)
- والجملة كلها تعد نموذجاً متفرداً للإيجاز البليغ " ترجع إلى إصابة المقصود من أقرب طريق ،وذلك لأنه عليه السلام أراد إن من عباد الله من لا ترده عند الله حاجة ، إذا سأله أعطاه ، وإذا استعاذ به أعاذه ، وإذا استنصره نصره ،يعني أنه دائماً يجد الله عند حاجته، فاختصر رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك وأضاف إليه غوراً آخر أدلُّ وأجلُّ وأبعد وهو القسم على الله ، لأن طلب الحاجة شيئ والقسم على الله بقضاء الحاجة شيئ آخر ، ومنزلة أخرى "(٢)

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في " فَاخْتَصَمُوا ، منها، قَبِلُوا، ولأَبَرَّهُ "

والإحالة بالموصولية في " من لو أقسم"

والعطف " فَاخْتَصَمُوا، فَقَالَ، فَقَالَتْ، فَقَالَ "

والتوكيد في " وَاللهِ ، إنَّ مِنْ

والتكرار في " القصاص ، القصاص ، أيقتص ، القصاص كتاب"

وفي " لا يقتص منها ، لا يقتص منها أبدا "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة(ب.ر.ر)

(٢)ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ، للشيخ أبي موسى (٣٣٦)

تضافرت الأساليب في هذا الخطاب لتحقق مطلباً ظل مثار جدل العلماء حول النص وهو التعجب وإثارة الدهشة لما أظهره النص من منزلة ومكانه وخصوصية وتفرد ،والحث على ترسم الخطى في محاولة لنيل شرف هذه المكانة ما أمكن ،وقد جاء الخطاب في سياقين ، قبلي وبعدي ، وقد كان الأسلوب العمدة في الخطاب القبلي هو الإسناد الخبري الأهم في الخطاب " القصاص كتاب الله" مسبوقاً بأسلوب الإغراء ،ثم التسبيح للتعجب " ثم كان السياق البعدي، فكان لبلاغة الإيجاز أهمية قصوى في الشمول والإحاطة بالمعاني الجزئية ،وتتبع ما يمكن أن يدخل تحت مضمون الجملة من معاني ،و جاءت جملة الإيجاز تذيلاً ولوناً من ألوان الزخرف البديعي غير المتكلف الذي يفيد التأكيد لكلام منطوق او مفهوم ، فاتضح أثره في توكيد المعنى وإجماله فبلغ الكلام قمة المقصد والمراد.

وقد جاءت الألفاظ سهلة واضحة لا غرابة فيها ، كما أن المعاني جاءت تلامس حاجة المرأة كما هو ظاهر في السياق ينصرها تارة كما في قصة ولاء بريرة ويفرح لنصرها وتأيداً الله لها كما هي الحال في هذا الخطاب ، وهي لذلك تتسم بالقوة والعظمة .

٧.الحرص على التفقه في الدين

عنْ عَائِشَةَ أَنَّ اسماء سَأَلَتِ النَّبِيَّ -ﷺ- عنْ غُسْلِ الْمحِيضِ فَقَالَ « تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ ماءَهَا وَسِدْرَتَها فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ على رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا ». فَقَالَتْ اسماءُ وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ « سُبْحَانَ اللهِ تَطَهَّرِين بِهَا ». فَقَالَتْ عائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِى ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ « تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ». فَقَالَتْ عائِشَةُ نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِى الدِّينِ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : تسأل الأنصارية[١] رسول الله صلى الله عليه و سلم عن غسل المحيض ، وقد وعت بسلامة المعتقد وصدق الإيمان ، أن ثمة جهاداً وبذلاً يدفع المسلمة ـ والمسلم عامة ـ إلى تحري أمور الدين وشرائعه ، بلوغاً للتمام ، و قربة لله جل شأنه .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب :

الحث على الإغتسال والطهارة من الحيض والجنابة والترغيب في المبالغة في ذلك

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ:

السدر من الشجر سِدْرانِ : أحدهما بَرِّيّ لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغَسُولِ وربما خَبَط ورَقَها الراعيةُ، وثمره عَفِصٌ لا يسوغ في الحلق، والعرب تسميه الضالَ، والسدر الثاني ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العُنّاب [٢]

شؤون : الشَّأْنُ الخَطْبُ والأَمْرُ والحال وجمعه شُؤونٌ وشِئانٌ

والشَّأْنُ مَجْرى الدَّمْعِ إِلى العين والجمع أَشْؤُن وشُؤون

---

(١)أسماء بنت يزيد الأنصارية واختلف فيها، ينظر : فتح المنعم ،موسى شاهين(٢ / ٣٤٠)

(٢)ينظر : لسان العرب مادة (س.د.ر)

والشؤون نَمائِمُ في الجَبْهة شِبْهُ لِحام النُّحاس
وهي مواصِل قبَائِل الرأس إلى العين وهي عروق بين كل قبيلتين شَأْنٌ والدموع تخرج من الشُّؤُون وهي أربع بعضها إلى بعض
وقيل الشُّؤُون عُروق فوق القبائل وليست بينها كما تقدم فكلما أَسَنَّ الرجلُ قَوِيتْ واشتدَّت
وقيل الشُّؤُون عُروق في الجبل يَنْبُت فيها النَّبْع واحدها شأْنٌ وقيل إنها عُروق من التراب في شُقوق الجبال .
الفُرْصةُ : النُّهْزةُ و الفُرْصة الشِّرْبُ والفَريصةُ المُضْغةُ القليلة تكون بين الثدي ومَرْجِع الكتف من الرجل ، وفي الدابة تُرْعَد إذا فَزِعَت
والفَرْصُ الشَّقُّ والفَرْصُ القطعُ وفَرَصَ الجِلْدَ فَرْصاً قطَعَه
والفِرْصةُ والفَرْصة والفُرْصَة القطع من أي قطعة من القَرْض والقطع من الصوف أو القطن وقيل هي قطعة قطن أو خرقة أَخِذَ من فَرَصْت الشيءَ أي قطعته
وقيل شيئ يسير يؤخذ بطرف الأصبعين [1]للمسك نفسه

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

« تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَ سِدْرَتَهَا »

- الخطاب لا يخص السائلة فحسب ، وإنما هو خطاب يخص النساء المسلمات جميعهن، وهذه الخصوصية في الطهارة والإقبال عليها برغبة و شوق ، هو تثقيف نفسي يرغب المرأة المسلمة في الحرص على هذه الصفة.
- " تأخذ" الأصل لتأخذ حذفت لام الأمرللتخفيف

« فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا » .

- اعتمد الخطاب على الإطناب بذكر الجزئيات لحاجة المخاطب في سياق السؤال وطلب التفقه.
- الفاء في " فتطهر،فتحسن ، " للتعقيب فهي أفعال متعاقبة ، وعند وجود مهلة في الزمن وجدت " ثم " في "تصب" فهو أخر ما يكون من أفعال والصب يعقبه بدون مهلة الفعل "فتدلك " وهي من براعة البيان النبوي في مراعاة مواضع حروف

(١)ينظر : لسان العرب (ف.ر.ص)

العطف والمراوحة بينها كل في موضعه و"الإحسان" الزيادة ومما ذكره العلماء أن إحسان الطهور بالوضوء عقبه [١]

- الدقة في اختيار المفردات الدالة فجاءت « تَصُبُّ عَلَى راسها الْمَاءَ. » تسكبه " من صَبَّ الماء يَصُبُّه صباً إذا أفرغه"[٢] و في الخطاب الآخر « ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا » والفرق أن الإفراغ الاول على الرأس أما الثاني يشمل كافة أنحاء الجسم لأن "صبُّ الماء إراقتة من أعلى"[٣]،و الإفاضة من السيلان و"أفاض إناءه: إذا ملأه حتى أساله"[٤]وهو فرق بين غسل الحيض و غسل الجنابة ، فيظهر التحري في الأول و يظهر الشمول والتعميم في الثاني
- وكذلك دقة التعبير بلفظة « شُئُوونَ » وردت حتى لبلوغ الغاية ، مبالغة في التحري وتوجيه العناية بالطهارة في غسل الحيض خلافاً لغسل الجنابة بدليل ما اتضح من مدلولات اللفظة فهي تعني نمائِمَ الشعر الخفيف في الجَبْهة أو العُروق الممتدة فوق الرأس توصل أجزاءه الثلاثة بعضها ببعض ، بمعنى أن على المرأة أن تتحرى وصول اصابعها منتصف راسها طولاً وعرضاً .
- وكلمة " فرصة " للعناية بالتطيب اياً كان ، سواءً قصد بها قطعة المسك ، أو قطعة القماش المطيبة بالمسك . فالمهم استخدام الطيب وإزالة الكراهة كما نص الجمهور من أهل الفقه إذ "المقصود باستعمال المسك تطييب المحل ، ودفع الرائحة الكريهة " [٥]

وهذه الدقة في اختيار مدلول اللفظة مناسبة للسياق ولحال المخاطبة التي جاءت تستفصل في أدق الامور .

- " تدلكه دلكاً " تأكيد لفظي على دلك شؤون الرأس ،للدلالة على أهميته ، مع أن الإكتفاء بذكر العضو الواحد ، ليس من باب الاقتصار عليه ، بل لأن في ذكره إشارة إلى أن ما دونه وما يماثله داخل في حكمه بالضرورة(٦).
- تكرار الفعل : "فَتَطَهَّرُ ، الطُّهُورَ ، تَطَهَّرِينَ ، فَتَطَهَّرُ بِهَا " نوع من انواع جناس الإشتقاق ، تأكيداً على أهمية الطهارة في حياة المرأة المسلمة ثم في قوله :«فَتَطَهَّرُ بِهَا » بعد استخدام المسك مع ذكره في موضع سابق ،يؤكد بان استخدام المسك ليس للتطيب وتحسين الرائحة ، فحسب وإنما هومن تحري أمر الطهارة والمبالغة فيها ، ثم ما يتبع ذلك من إزالة كراهة الرائحة ، والتكرار

---

(١)ينظر : المنهاج، للنووي (٤/ ١٥)
(٢)ينظر : لسان لعرب ، لابن منظور مادة (ص.ب.ب)
(٣) معجم مفردات القرآن ،للأصفهاني (صبّ)
(٤)السابق (أفاض)
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،للنووي (٤/ ١٥)
(٦)ينظر : المفهم ، للقرطبي (٧ / ٣٥١)

ترغيب قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، في معرض ذكر الحيض والطهارة منه قال تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ "البقرة ٢٢٢

ومن ذلك تعي المرأة المسلمة أنها ملزمة بالطهارة في الأصل والتطيب بالمسك ضمنا ،و إنه أمر مستحب لكل مغتسلة من حيض أو نفاس ويكره تركه للقادرة عليه، فإن لم تجد مسكا فطيبا فإن لم تجد طيباً فمزيلا كالطين وإلا فالماء كاف [١]أو ما يقوم مقامهما مما كان معقماً مطهراً في الدرجة الاولى ،ثم مزيلا للرائحة غير ضار ،والفرق بين الحالين كبير فاذا كان الغرض إزالة كراهة الرائحة كان الأمر في حكم الزيادة لان الرائحة زائلة أما إذا كان الغرض إزالة النجاسة كان الأمر في حكم الوجوب ، كما أن كراهة الرائحة لا تفسد الطهارة ولا تبطل بها صلاة إلا أن النجاسة تبطلها وهو مما يلزم المرأة المسلمة الوقوف عنده ، هذا وقد أثبتت الدراسات الحديثة مدى فاعلية المسك في القضاء على كثير من الخمائر والفطريات ، ومقاومة الأمراض المتعلقة بها في إعجاز علمي سبقت إليه السنة المطهرة .

« سُبْحَانَ اللهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا »

التسبيح للتعجب مما لا ينبغي جهله ، فضلا عن ذكره أي كيف يخفى عليها هذا الظاهر الذي لا تحتاج المرأة في فهمه إلى عميق فكر [٢]

وقد اختلفت لغة الخطاب في غسل الحيض عنها في غسل الجنابة

« تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا» التكرار حيث ذكرت الجملة في غسل الحيض ثم كررت في غسل الجنابة ولم يكتف بالإشارة إلى ما سبق للتأكيد ، غير أنه لم يذكر صفة الدلك دلكاً شديداً كما ذكر في السابق

« ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ».وما من فرصة ممسكة تتبع بها أثرا لعدم الحاجة إلى ذلك .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: الهاء في " مَاءهَا ، وَسِدْرَتَهَا ، رَأْسِهَا، عَلَيْهَا ، بِهَا " عائدا على إحداكن أي المرأة المسلمة منكن ، ثم الضمير المستتر والعائد عليها كذلك في " فَتَطَهَّرُ ، فَتُحْسِنُ ، تَصُبُّ ، تَبْلُغَ ، تَأْخُذُ ، تُفِيضُ " ثم ياء المخاطبة للسائلة في "تَطَهَّرِينَ"

---

(١)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٤١٦/١)

(٢)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٤١٦/١)

الربط بحروف العطف في خمس عشرة موضعاً ، حيث استخدمت "ثم " في سبعة مواضع للدلالة على التراخي ، وكذلك استخدمت "الفاء" في سبعة مواضع أخرى للدلالة على التعقيب ، و استخدم حرف العطف " الواو" في موضعٍ واحدٍ فقط .
التكرار للفعل " فتطهر ، الطهور ، تطهريين "
الربط بالسؤال وجوابه في " وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في الخطاب هو أسلوب الإطناب وأداء المعنى بأكثر من عباراته [١]وله دلالات ومسميات منها التتميم [٢]كما في قوله " فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ" حتى يتبين هيئة الطهور ونوعه، أو الاعتراض [٣]كما في "تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ " للتخصيص والتنبيه[٤]في شبه الجملة "عليها" وكذلك في " تصب عَلَى رَأْسِهَا الماء" وكذلك في " فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا " ثم جاءت جملة "حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا " تكراراً للأولى من باب الخاص بعد العام للتاكيد والتنبيه على أهميته[٥]
ثم جاءت باقي الأساليب البلاغية مكملة للأسلوب نفسه كالتعبير بالمضارعة عن الأمر ثم جناس الإشتقاق .
وقد اتسمت الألفاظ بالجزالة والدقة في العدول والإختيار.
من اهم خصائص المعاني في الخطاب الشمول والتنوع ، فقد شملت شيئاً مهماً في حياة المرأة وكما اتسمت بالواقعية فهي تلامس حاجة المرأة بفطرتها خاصة والمرأة المسلمة لإتمام تعبدها على وجه الخصوص .

---

(١)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القز ويني (٥٨)
(٢)التتميم، وهو أن يؤتى في كلام لا وهم فيه خلاف المقصود بزيادة تفيد نكتة بلاغية كالمبالغة ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القز ويني (٦٥) وينظر : الطراز، لحمزة العلوي (٥٧/١)
(٣)وإما بالاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل له من الإعراب لنكتة بلاغية ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القز ويني (٦٤)
(٤)ينظر : السابق (٦٣)
(٥)ينظر : السابق نفسه .

٨ـ اغتسال المرأة عند الاحتلام

ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ ». فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ فَقَالَ « تَرِبَتْ يَدَاكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : هذه السائلة ام سليم بنت ملحان رضي الله عنها تعلم يقينا عظم ما تستفي فيه وتسأل عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وام سليم هي أخت ام حرام وبنت ملحان و ام الصحابي الجليل انس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم وزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ولها في إسلامها مواقف عظيمة [١]

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : الترغيب في الطهارة والحرص عليها ، إذا احتلمت المرأة

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

يا رسول الله ! إن الله لا يستحي من الحق"

قول تقدم في خطابها توطنة واعتذاراً بين يدي سؤالها تمهد به عن ذكر ما يتحرج من ذكره ، مما يوجب حياء النساء عادة[٢] ، والحياء صفة أو حالة من الانزواء والانقباض والاحتشام يجدها الأنسان نتيجة لمثير معين ، والمراد من الحياء في الحق أن الله "لا يأمر بالحياء فيه ، ولا يمتنع من ذكره "[٣]

---

(١)ينظر : المنهاج ، للنووي (١١٨٩)
(٢)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني(١ /٥١٢)
(٣)ينظر : المفهم ، للقرطبي(١ / ٣٣٦)

"فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت " الفاء لاستئناف [١]الكلام وليست للتعقيب ،والمقصود بالمرأة هنا المسلمة لأن "أل" ،للعهد الذهني ، و من غسل "من" زائدة تفيد الإستغراق في الجنس والتنصيص على العموم [٢]،بمعنى أي نوع من الغسل كان .
و "إذا "للشرط المقطوع به وكأن السائلة تخبر عن يقين بالحدوث ،والاحتلام افتعال من حلم ،وهو رؤيا المنام [٣]،والمقصود الشهوة والجماع ونحوه في المنام .[٤]

"نعم. إذا رأت الماء"

- الإيجاز بالحذف ، فقد اكتفى بالإيجاب بنعم ،ولم يفصل في وقته يقظة أو نوماً، ولا حتى في سببه ، أوصفة المرأة بكراً أو ثيباً أو غير ذلك مما فصله العلماء في مواضعه [٥]
- الفصل بين الجملتين جملة " نعم " وجملة "إذا رأت الماء" لان الجملة الثانية جاءت تاكيداً وبياناً للجملة الأولى
- والرؤية نظر بالعين [٦]لا رؤية القلب في باب علم الذي يتعدى لمفعولين ، وليست رُؤيا المنام فالسياق يأباه .
- التعريف في "الماء" للعهد الذهني ، فهو ماء ذاك سببه ،واستخدام "ال" في هذا الموضع بلاغة عالية في بيانه صلى الله عليه و سلم فقد أغنت عن ذكر ما يستكره ذكره ،وبدونها لزم أن يسمى نوع الماء او يعرف فيقال " ماء اللذة او ماء الشهوة " كما أن اللفظة بدون "ال" او الاضافة مبهمة المعنى مبتورة الدلالة ،فلا يقال "إذا رات ماءً " ليعنّ سؤال ،أي ماء؟ "

"يا رسول الله! وتحتلم المرأة " النداء لتنبيه، والإستفهام من السيدة عائشة رضي الله عنها هو استفهام إنكاري تعجبي مما يستدل به أن من النساء من لا يحتلمن [٧]

"تربت يداك فبم يشبهها و لدها"

(١)ينظر : الجنى الداني (٧٦)
(٢)ينظر : السابق (٣١٦)
(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة(ح.ل.م)
(٤)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر(١ /٥١٢)
(٥)ينظر : المنهاج ، للنووي (٢ / ١٨٨)
(٦)في رواية " عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتِ الْمَاءَ فَقَالَ " نَعَمْ" رواه مسلم
(٧) وقد اختلف العلماء في ذلك فقال القاضي العياض " هو فيهن قليل " وقال بعضهم بل كثير ، وقال اخرون إن من النساء من لا يحتلمن ، ينظر : البحر المحيط الثجاج ، محمد بن علي الولوي (٧ /٤٨٦)

- تَرِبَتْ يداكَ يقال للرجل إذا قلّ مالُه قد ترِب أي افْتَقَرَ حتى لَصِق بالتُّراب[1] وهو دعاء تستخدمه العرب في غير معناه جاء هنا بمعنى الإنكار[(2)] وهوتثقيف نفسي يرهب المرأة المسلمة من عدم إدراك هذه الحقيقة مما يستلزم القيام بموجباتها .
- أسلوب الإستفهام أبلغ في تقرير المعنى من مجرد الخبر لما به من المشاركة والدعوة إلى إعمال العقل في البحث عن جواب .
- الاستدلال بدليل واقعي حسي مسلم به على وجود الماء للمرأة كما هو موجود للرجل بوجود الشبه([3])، إذ لو كان الولد من ماء الوالد فقط لكان شبهه في كل صفاته إلى والده ،ولما كان له من شبه بأمه في صفة واحدة من صفاتها ،وهو ما يخالف الواقع وهذا الأسلوب في الإثبات بالدليل يعد من روائع البلاغة ويسمى "الحجاج، أو المحاجة "وهي تعني تثبيت القصد أوالرأي بما يصححه([4])
- الإيجاز حيث اضمر من الألفاظ ما يغني السياق في فهمه .
- التلميح دون التصريح تأدبا وتجملا في اللفظ .
- سبق رسول الله صلى الله عليه و سلم - بوحي من الله - إلى اعجاز علمي لم يعرف فيما سبقه من الأمم وقد نص على ذلك ما ذكر من سؤال اليهودي له عن ذلك .[5]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " وَلَدُهَا ، يَدَاكِ ، يشبهها "
العطف " فَقَالَتْ ،فقَالَ ،فَقَالَتْ ،فقَالَ ، فَبِمَ "
التوكيد في " إنَّ اللهَ "
والتكرار في " المرأة ،المرأة " و" احْتَلَمَتْ ، وَتَحْتَلِمُ"
الربط بالسؤال وجوابه في " فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ ، نَعَمْ "

---

(١) ينظر لسان العرب ، لابن منظور مادة (ت.ر.ب)
(٢)ومن أغراض هذه الألفاظ الزجر ، والذم ، والاستعظام ، والحث ، والإعجاب ينظر : المتهاج للنووي (٢ / ١٨٩)
٣ ولتتمة الدليل العلمي يقول صلى الله عليه و سلم« وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلاَّ مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ إِذَا عَلاَ مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ وَإِذَا عَلاَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ ».مسلم - باب الحيض (٧٤١)
(٤) ينظر : التعاريف ، للمناوي (١/ ٦٤٠)
(٥) صحيح مسلم ،كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل و المرأة وان الولد مخلوق من مائهما ، [٧٤٢]

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على إيجاز القصر ، وهو ما يتناسب مع السياق في موضوعه و حالة المرأة المخاطبة ، وما جبلت عليه من حياء ، و أن اضطرت إلى الإعتذار عنه ، وإيجاز القصر يحدث حالة من الشمول في ذهن المخاطب كما في قوله إجابة على سؤال السائلة بنعم ، ثم وليه التوضيح والبيان بالجملة بعده وباستخدام "ال التعريف"

ثم جاء البرهان والإستدلال " فبم يشبهها ولدها " على هيئة استفهام تقريري لزيادة التوضيح والتأكيد .

وقد خلا الخطاب من عنصري التصوير والبديع و جاءت الالفاظ سهلة واضحة ، وجاءت المعاني تلبي حاجة المرأة المسلمة إلى الطهارة ،والتثبت مما قد يقدح عبادتها.

٩.نقض الضفيرة

عنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّى امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِى فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الْجَنَابَةِ قَالَ « لاَ إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِى عَلَى رَأْسِكِ ثَلاَثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : لما في نقض الضفائر من مشقة على النساء ، مع ما جاء به الاسلام من سماحة ويسار ودفع للحرج عن المسلمين ،جاءت أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أمية بن المغيرالمخزومية [١]رضي الله عنها وأرضاها ، تسأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عما تصنعه من نقض لضفائرها مع كل غسل جنابة . والأمر حقا ليس باليسير

المقصد الكلي في الخطاب : بيان حكم نقض الضفيرة والإلتزام بالحد الواجب في غسل الشعر.

المعجمُ اللُّغويُّ :

الضفر : وهو ضمُّ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ نسجاً أو غيره. ومن الباب ضَفائِر الشَّعَر، وهي كل شَعَر ضُفِر حتى يصيرَ ذُؤابة. ومن الباب قولُهم : تضافَرُوا عليه، أي تعاونُوا.[٢]
والحثو: ذَرْو الشَّيءِ الخَفيف[٣]والحَثْيُ كالرَّمْيِ[٤]و ثلاث حثيات أي ثلاث غُرَفٍ بيديه واحدتها حَثْيَة[٥]"حثيات" واحدتها حثْية ، والحثَى الترابُ ، يقال حَثى الترابَ في وجهه حَثْياً: أي رماه ، والحَثْيُ : مقدار ما رفعت به يديك ، وفي حديث الغسل: كان يَحْثي على

(١)هند بنت أبي أمية واسم أبي أمية سهيل ويقال له زاد الراكب كانت عند أبي سلمه بن عبد الأسد فهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرتين فولدت له هناك زينب وولدت له بعد ذلك سلمه وعمر ودرة ومات أبو سلمه في جمادي الأخرى سنة ٤ أربع من الهجرة فتزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم أم سلمه في ليال بقين من شوال سنة أربع وتوفيت سنة ٥٩ تسع وخمسين وهي ابنة أربع وثمانين سنة ، ينظر : تحفة الأحوذي ،المباركفوري (١/٣٠٠)
(٢)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة ، ر مادة(ض.ف.ر)
(٣)ينظر : مقاييس اللغة (ح.ث.و)
(٤)ينظر : القاموس المحيط ،للفيروزآبادي(ح.ث.و)
(٥)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور (ح.ث.و)

رأسه ثَلاثَ حَثْياتٍ أي ثلاث غُرَفٍ بيديه[١] و المقصود بالحثيات الإفراغات ،و هو مقدار ما ترفعه اليد من ماء بإناء مخصص لتفرغ ما فيه على الرأس

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

تسأل ام سلمة رسول الله صلى الله عليه و سلم : إني امرأة أحكم فتل شعري أفأنقضه لغسل الجنابة أي أفرقه لأجله حتى يصل الماء إلى باطنه وحذفت همزة الإستفهام في قولها " فأنقضه" والأصل أفأنقضه ؟ وهوما يدل على هدوء لهجة السائلة وعدم الميل إلى المحاججة والحدة في السؤال[٢]فهي تثق في سماحة الإسلام ورفق رسول الله صلى الله عليه و سلم بأمته .

« لا. إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات »

- «لا » أي لا تفعلي ذلك ،و الأصل في الجواب أن يكون مشابهاً للسؤال في جملته ،فيكون جوابك لمن يسأل هل حضر زيد "لا ،لم يحضر "عند النفي ،و " نعم حضر " عند الإثبات ،أمّا وقد أكتُفيَ هنا بأداة النفي "لا "فهو الأبلغ ، لما يتضمنه الحذف من تهيئة المخاطب للخطاب الوارد [٣]
- "لا ، إنما يكفيك " الفصل بين الجملتين لبيان ما بين الجملتين من ارتباطٍ دلالي واتصال تام يسمى " الفصل لكمال الاتصال ، للدلالة على أن الجملتين في حكم الجملة الواحد ، فكانت الجملة الثانية تبيانا وإيضاحاً للجملة الأولى ،

فيظهر من ذلك أن عدم نقض الضفيرة في غسل الجنابة مقترن بضرورة الالتزام بالحد الواجب في الغسل بمعنى " أن المرأة بأى وجه أوصلت الماء إلى أصول شعرها، وعمته بالغسل، أنها قد أدت ما عليها"[٤]

- « إنَّمَا يكفيك " أسلوب القصر، لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه والمعنى تأكيد وإثبات الكيفية المنصوص عليها والمعلومة لدى المخاطبة لأن إنما لا تكون إلا في خبر معلوم لدى المخاطب ، ونفي كل ما قد يتقول بعد ذلك .ومن ذلك يفهم

(١) ينظر : لسان العرب ،لابن منظور (ح.ث.و)

(٢)"يجوز حذف همزة الاستفهام إذا دل عليها دليل وكثيراً ما تثبت إذا كان السياق سياق إطالة وتحد ومحاجّة ومبالغة في الخصومة بينما تحذف في غير ذلك على حسب السياق. ينظر : معاني النحو (٤ / ٦١٠)

(٣)"مطابقة السؤال للجواب أولى " ويجوز الحذف لوجود قرينة ، ينظر : شرح الرضي على الكافية (١/ ٢١٧)

(٤)ينظر : شرح البخاري ،لابن بطال (٤٧٧/١)

أن هذا هو القدر الواجب الذي لا ينبغي التقصير عنه .واما ما زاد عن ذلك القدر فهو ليس من الوجوب في شيئ

ويدل وجود الأداة إنما أيضاً على هدوء اللهجة وإجابة المخاطبة الجواب الذي كانت تتحرى وتتوقع وتتنتظر لأن الاصل في "إنما " أن ترد فيما يعلم لإثباته

- " ثلاث حثيات " تخصيص العدد ثلاثه في البيان النبوي ، من الوتر والاعتدال مع كراهة التقصير والتفريط ، فلا ضرر ولا ضرار ، وفي " حثيات " زيادة وإطناب

« ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ »

- " ثم " للتوسع في الزمن
- و فاض الماء يَفِيض فَيْضاً إذا كثر حتى سالَ على ضَفَّةِ الوادي[١] وللفظة من معنى الشمول والإحاطة ما في جرسها من فخامة نتجت عن امتلاء الفم عند التفخيم في " الضاد" مع امتداد صوت الحرف في المد على " الياء " فكلمة تفيضين" ابلغ في التعبير في هذا الموضع من " تصبين الماء" او " تسكبين " .
- تعريف " الماء " "بأل "العهدية تخصيص ، فهو الماء الطاهر المعهود ذهنيا وحسياً لدى المخاطب
- " فتطهرين " الفاء للعطف الجملة اطناب من ذكر العام بعد الخاص تأكيداً على أهمية العام.

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة: بالضمائر في " قُلْتُ ،إِنِّى ، رَأْسِى ، فَأَنْقُضُهُ ، يَكْفِيكِ ، تَحْثِى رَأْسِكِ ، تُفِيضِينَ ، عَلَيْكِ ، فَتَطْهُرِينَ "
ومنها العطف في " فَتَطْهُرِينَ ، فَأَنْقُضُهُ، ثُمَّ تُفِيضِينَ ، فَتَطْهُرِينَ"
والتوكيد في " إِنِّى امْرَأَةٌ ، إِنَّمَا يَكْفِيكِ، إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِى "
الربط بالسؤال والجواب في " فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ ، قَالَ : لاَ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١)ينظر : لسان العرب ، لابن منظور (ف.ا.ض)

الأسلوب العمدة في الخطاب هو أسلوب القصر عن طريق "إنما" وما أفادة من تأكيد وإثبات على الحد الواجب في غسل الشعر وفض الضفائر ، وقد سبق القصر بالنفي ، وقد اقترن القصر بالإطناب للتوضيح والتأكيد لمناسبته للسياق.

وقد خلا الخطاب من عنصري التصوير والبديع لان السياق سياق تفقه وتعليم تلزمه المباشرة والوضوح .

وجاءت الألفاظ سهلة واضحة كما أن المعاني كما هو واضح في هذه الجملة من نصوص باب الطهارة وجاءت تلبي حاجة المرأة المسلمة في التثبت من أمر الطهارة والوصول إلى التمام في العبادة.

١٠. غسل ثوب الحيض

عَنْ اسماء قَالَتْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ إِحْدَانَا يُصِيبُ ثَوْبَهَا مِنْ دَمِ الْحَيْضَةِ كَيْفَ تَصْنَعُ بِهِ قَالَ « تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ تَنْضَحُهُ ثُمَّ تُصَلِّى فِيهِ »..

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

في ظل الإسلام تستقصى المرأة المسلمة عن أمر الطهارة دقها وجلها وما تتركه النجاسة من أثر على ثوبها الذي قد يكون الأوحد ، ليعنَّ سؤال يا ترى كيف كانت تصنع المرأة مع هذا الثوب ومع ما كان يصيبه من نجاسة قبل الإسلام وقبل الحاجة إلى ثوب تبلغ فيه قمة الطهارة لتؤدي به فرائض دينها ، إنه الإسلام دين الطهارة والنقاء.

وهذه المرأة وقيل بل أن السائلة هي اسماء نفسها إذ لا يبعد أن يبهم الراوي اسم نفسه لغرض أو غاية كالتحقق أو بيان الكيفية[1] ، ودليل ذلك كما ترى الباحثة قول أم سلمة وقد " قيل لها كيف كنتن تصنعن بثيابكن إذا طمثتن على عهد النبي قالت إن كنا لنطمث في ثيابنا أو في دروعنا فما نغسل منه إلا أثر ما أصابه الدم "[2]أي انهن كن يغسلن أثر الدم منها ،وقصدت بسؤالها التحقق والتأكد و بيان الكيفية ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا أن أجابها على سؤالها إجابة وافية مفصلة تبين الكيفية وتفي بغرض السؤال

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : حرص المرأة المسلمة على فقه الطهارة ،وترغيبها فيه.

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: " تحته " حَتَّ: قَشَر وحَكَّ ، وتَحاتَّ الشيءُ أي تَناثَرَ ، وكلُّ ما قُشِرَ، فقد حُتَّ " .

" تَقْرُصُهُ " " القَرْص بالأُصبعين، والقَرْص بالأَصابع قَبْضٌ على الجلد بأُصبعين حتى يُؤلِمَ"

" تنضحه " النَّضْحُ: الرَّشُّ.نضَح عليه الماءَ يَنْضَحُه نَضْحاً إذا ضربه بشيء فأَصابه منه رَشاشٌ "[3]

---

(١)ينظر : فتح ، لابن حجر العسقلاني (٣٣١/١)
(٢)ينظر : عمدة القاري ، بدر الدين العيني (٥٥/٥)
(٣)ينظر : لسان العرب ، ابن منظور مادة(ن.ض.ح)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به؟ "

"إحدانا " معرف بالإضافة ،أي من النساء المسلمات ،من للتبعيض أي من بعض الدم ، والحيضة مفرد للتقليل .

"تحته. ثم تقرصه بالماء. ثم تنضحه. ثم تصلي فيه"

- في الخطاب إطناب ، حيث عمد إلى التفصيل بغرض " تأكيد الكيفية "[١]، وكان من الممكن إيراد المعنى بأقل من ذلك فيقال اغسليه بالماء وهو المقصد الأساسي للخطاب غير أن التفصيل مناسب لمقتضى حال السائلة وماكانت بحاجة إليه.
- الدقة في إختيار الألفاظ الدالة على المعنى المراد والعدول عما يرادفها فجاءت "تَحُتُّهُ " وليس تزيله، مبالغة في الوصف وبيان ما فيه من احتشاد واجتهاد "وذلك للمستجد من الدم"[٢]وقد جف "والمراد بذلك إزالة عينه"[٣]وجاءت " تَقْرُصُهُ" ، وليس تدلكه " أمر بالقرص لأن الدم وغيره إذا قرص في الغسل كان أحرى أن يذهب أثره من أن يغسل باليد كلها" [٤]وهي حقيقة واقعة ، ثم جاءت "تَنْضَحُهُ" مبالغة وزيادة "لإزالة الشك المتردد في الخاطر"[٥].
- الأداة " ثم " تفيد الترتيب مع التراخي ،لتدل على افعال مترتبة لا يسبق احدها الأخر، مع مراعاة ما تحتاجه من فاصل زمني مقدر

ومن أهم ما يدل عليه إجتماع هذه الألفاظ وما تميزت به من خصائص معنوية و صوتية هو ضرورة بذل الطاقة والتحري والجهد من المرأة في تطبيق أوامر دينها ونيل رضى خالقها عز وجل .

" ثم تصلي فيه " ذكر العام بعد الخاص تأكيداً على أهمية العام ، فكان العام قد تكرر ذكره مرتين .

---

(١)ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القز ويني ،(٦٧)
(٢)ينظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،(١/١٢٧٦) تحقيق علي حسين البواب ،الرياض دار الوطن - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
(٣)ينظر : فتح الباري ، لأحمد بن حجر العسقلاني (١/٣٣١)
(٤)ينظر : كشف المشكل، لابن الجوزي،(١/١٢٧٦)،
(٥)ينظر : عمدة القاري ، بدر الدين العيني (٥ /٥٦)

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر" إحدانا ، ثوبها " إلى النساء و" به ، تحته ، تقرصه تنضحه ، فيه" إلى الثوب .
الضمير المستتر إلى المرأة في " تحته ، تقرصه ، تنضحه ، تصلي "
ومنها العطف " فَقَالَتْ ، وتكرار العطف بـ" ثم ، ثم ،ثم "
والربط بالسؤال في " كَيْفَ تَصْنَعُ بِهِ قَالَ : تَحُتُّهُ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على الإطناب والتفصيل ، للتأكيد والتوضيح
وقد اتسمت الألفاظ بالجزالة والدقة في العدول والاختيار ، أما المعاني فقد جاءت تلبي حاجة المرأة المسلمة وحرصها على إزالة النجاسة وأثارها ، إتماماً لعبادتها .

١١. الاستحاضة

عن عائشة؛ قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ. فقالت: يا رسول الله! إني امرأة أستحاض فلا أطهر. أفأدع الصلاة ؟ فقال "لا. إنما ذلك عرق وليس بالحيضة. فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة. وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي"

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : جاءت فاطمه بنت ابي حبيش بن المطلب إلى رسول الله ﷺ من جاءت تستفتيه في حكم صلاة المستحاضة ، ليتضح الأمر لمن في حكمها ، فقد عد صاحب الفتح المستحاضات من الصحابيات في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم عشراً[١] منهن من امهات المؤمنين زينب بنت جحش ، وسودة بنت زمعه ، وأم سلمة رضي الله عنهن وهو ما يدل على معرفة النساء بالفارق بين دم الإستحاضة ودم الحيض وإنما السؤال عن حكم الصلاة وسائر العبادات في هذه الحال .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : "إن المستحاضة تصلى أبدا إلاّ في الزمن المحكوم بأنه حيض" [٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: أستحاض : من الحَيْضُ معروف حاضَت المرأة تَحِيضُ حَيْضاً ومَحِيضاً وقال المبرد سُمِّيَ الحَيْضُ حَيْضاً من قولهم حاضَ السيلُ إذا فاضَ . والحَيْض اجتماع الدم إلى مكان ، ومن هذا قيل للحَوْض حَوْضٌ لأن الماء يَحِيض إليه أي يَسِيل ،والحِيضة الاسم بالكسر ، وحَيَّضت المرأةُ تركت الصلاةَ أيام حيضها

واسْتُحِيضَت المرأةُ أي استمرَّ بها الدمُ بعد أيامها فهي مُسْتَحاضة والمُسْتَحاضة التي لا يَرْقَأُ دمُ حَيْضِها [٣]

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : تحفة الأحوزي ،المباركفوري (١ / ٣٤٣)
(٢)ينظر : المنهاج ، للنووي (٤/ ١٧)
(٣)ينظر لسان العرب ،لابن منظور مادة (ح.ي.ض)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" إني امرأة أستحاض فلا أطهر. أفأدع الصلاة؟ " التاكيد يقتضيه المقام لأن الأمر مما يستنكر، وجملة " فلا اطهر عطف على ما قبلها للبيان والتوضيح

وهو سؤال عن حكم صلاة المرأة في حال استمرار الدم وهو كلام من تقرر عنده أن الحائض ممنوعة من الصلاة فكيف والحال على ذلك [١]

"لا إنما ذلك عرق"

- "لا" حذفت جملة الجواب للإيجاز" أي لا تدعي الصلاة.
- فصل بين "لا" وجملة " إنما " لاختلافهما في المعنى وهو فصل يقتضيه المقام "لا " لنفي الحكم عامة وهو ترك الصلاة ولو عطف عليها لكان توضيحا لهذا الحكم وهو مالا تحتاج إليه السائلة ، ولكن القطع أفاد تحول الحديث إلى معنى آخر هو شأن ماتراه من الدم
- " إنما " أسلوب قصر وتوكيد في شأن هذا الدم ، قصر صفة على موصوف قصر إضافي ،فهي تعرف مما ترى أنه مخالف لما تعرفه في عادتها ، وأنه ليس بالحيضة. وإنما جاء التوكيد "بإنما" التي تدل على علم المخاطب بالخبر مع تردده ، وهو مناسب لمقتضى حال المخاطبة لإزالة الشك والتوهم .
- و"عرق " أي دم عرق لأن الخارج ليس بعرق "[٢]وفيه مجاز مرسل للسببية
- التنكير في " عرق " لبيان النوع والإفراد للتعيين " أي نوع من العروق معروف ، لأن كل دم يخرج من عرق ، ولكن هذا نوع من العروق مخصوص [٣].
- "وليس با لحيضة " الجملة معطوفة على ما قبلها ، لأنها جاءت بياناً وتوضيحاً لها، والحيضة معرفة "بأل" العهدية و هوعهد تقدم ذكره في خطاب السائلة والإفراد للتعيين ، فجاء النفي له بـ" ليس"

"فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي "

- تكليف بترك الصلاة مقيد بالشرط ، وتكليف بالاغتسال والأداة " إذا " لما يتحقق وقوعه .

---

(١)ينظر : عمدة القاري ، للعيني (٤/ ٦٢)

(٢)ينظر : المصدر نفسه

(٣)ذكر له العلماء اسماً وحددوا له موضعاً فقيل هو " عرق يقال له العاذل بالعين المهملة وكسر الذال المعجمة بخلاف دم الحيض فإنه يخرج من قعر الرحم " ينظر :المنهاج ، أبو زكريا النووي (٤/ ١٧)

- " الفاء " فدعي ، و فاغسلي واقعة في جواب الشرط دلت على وجوب التعقيب
- وفي "واو العطف " في قوله "وصلي "دون الفاء نفيس معنى ، لأن "الواو" دلت على الإشراك في الحكم بين الغسل والصلاة ، وليس التعقيب في الزمن بينهما ، "وليس في هذا ما يقتضي تكرار الغسل "(١) ولو كانت "الفاء" مكانها لدل على وجوب الغسل لكل صلاة ، وظاهر ما في ذلك من مشقة. "ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمرها بالغسل إلاّ مرة واحدة عند انقطاع حيضها "(٢)

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي : من عوامل السبك الإحالة بالضمير في " إني ، فدعي ،فاغسلي ، عنك ،صلي " والإحالة بالاشارة في " ذلك عرق "

ومنها التوكيد في" إني امرأة ، إنما ذلك "

والعطف في " فلا أطهر، فقال، وليس، فإذا، فدعي ، فاغسلي ، وصلي"

والسؤال والجواب في " أفأدع الصلاة ؟ فقال :لا "

ومن العوامل الطباق في " أقبلت ، أدبرت" وفي " فدعي الصلاة ،وصلي "

❧ ❧ ❧

أ) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

إرتكز الخطاب على أسلوب القصر بإنما للتأكيد على ماهية الدم ونوعه وأن حكمه يختلف لإختلاف طبيعته ، وهو ماكانت تحتاج إليه المرأة السائلة ، التأكيد على أمر معلوم بحصر الخبر عليه ونفي ما سواه ، وقد سبق بالنهي الموجز للإختصار والسرعة ومبالغة في التوكيد ودفع التوهم ، وكذلك جاء المجاز المرسل وما تضمنه من حذف للإيجاز والسرعة ، ومما اقتضى السرعة والإيجاز في الخطاب التنزه عما يعاب ويستكره الحديث فيه لمن هو عالم به

وجاءت الألفاظ سهلة واضحة خالية من الغموض،كما خلا الأسلوب من المحسنات البديعية والتصوير،وقد جاءت المعاني واقعية تلامس حياة المرأة الخاصة التي تحتاجها في عبادتها.

---

(١) ينظر :المنهاج ، أبو زكريا النووي (٤/ ١٧)

(٢)ينظر : السابق نفسه

١٢. خروج المرأة في عدة الطلاق

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ طُلِّقَتْ خَالَتِى فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ فَأَتَتِ النَّبِىَّ -ﷺ- فَقَالَ « بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : خالة[١] الصحابي الجليل جابر بن عبد الله[٢] طلقها زوجها طلاقاً بائناً وجلست للعدة ثم إنها خرجت من بيتها إلى بستان لها فرأها رجل فنهاها وزجرها وكره خروجها من بيتها في عدتها، فتوجهت من فورها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، تصف له ما حدث.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان الإذن بخروج المعتدة البائن للحاجة وترغيبها في الصدقة وأعمال الخير[٣]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: جَدَّ الشيءَ يَجُدُّهُ جداً : قطعه ، وناقة جَدَّاءُ يابسة الضَّرع لا لَبَن لها والإبل الجداء المقطوعة الأُذُن ،وأصل الجَدُّ والجِدُّ والجَديدُ والجَدَدُ: كله وجه الأَرض والجَدْجَدُ: الأَرض الملساء ،الأَرض الغليظة ،الارض الصُلبة [٤].

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)لم يرد ذكر اسمها في مختلف المصادر، وفي كتب التراجم والطبقات " خالة جابر" ينظر : أسد الغابة في تميز الصحابة (١٤٧٢/١)

(٢)"جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي ، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي بن سنان ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، علي بن محمد الجزري ابن الأثير عز الدين أبو الحسن (١ / ١٦٢) ط ١ ـ دار ابن حزم ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢

(٣)ينظر : المنهاج ، أبو زكريا النووي (١٠ /١٠٨)

(٤)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة(ج.د.د)

جاءت المرأة رسول الله ﷺ تشكو[1] ، وقولها محذوف لدلالة السياق عليه

" بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ "

- " بَلَى "[2] وهو حرف جواب "وإيجاب لما نفي"(3)وتقرير له لأنه "لا يقع إلاّ بعد نفي في اللفظ أو في المعنى"(4)وهو في السياق بمعنى النفي والزجر لفعلها فجاءت "بلى "، لتكون رداً للنفي(5)
- " فَجُدِّى نَخْلَكِ " الجملة الفعلية في الجواب تقريرٌ وزيادةٌ، توحي بالتكرار للتوكيد ،مراعاة لحال المخاطب المنكر أو الشاك ممن كان ينهى عن الخروج عامة ، فأباح لها ذلك في أحوال معينة ،والفاء للسببية وهي من البلاغة المؤاتية حيث اقترن الخروج بسبب عن طريق هذه الفاء.
- وضع الاسم الظاهر موضع المضمر ، فلم يقل " جديه" لبيان أهمية المظهر ، وهو النخل وانه ثمين مما يخشى عليه من الضرر.
- " جدي نخلك "مجاز مرسل علاقته الجزئية ، لان المجدود ليس النخل بل بعض السباط[6] .
- إضافة الضمير إلى المفعول في" نخلك " للتخصيص وبيان أن الخروج لما هو في حكم الضرورة والحاجة وما هو من شأنها خاصةً، مما قد لا يقوم به سواها أو لا تأمن عليه غيرها ،وهو بمعنى خروج المراة لعملها وكسب رزقها .
- حذف فعل الخروج فلم يقل " بلى إخرجي " لبيان أن الأصل هو المنع ، وإنما الإباحة لما يكون من مقتضاه ، ولو جدَّ لها أحدهم النخل وهي في بيتها لكان ذلك أولى (7)، والله أعلم .

"فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا "

- "فَإِنَّكِ " الفاء، معنى الربط والترتيب لا يفرقها ، وكذلك هي للسببية و"إن" للتوكيد على قيامها بما يتوقع منها من فعل .

---

١ في رواية " فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ " سنن أبي داود ـ الطلاق [٢٢٩٩]
٢ في سنن أبي داود فَقَالَ لَهَا « اخْرُجِى فَجُدِّى نَخْلَكِ ».بإثبات الفعل اخرجي
(٣)وفرق بين التصديق "بنعم" وإيجاب النفي "ببلى" إذا قال احدهم " ليس عندي وديعة " فقلت نعم كان تصديقاًله ،وإن قلت " بلى " كان إيجابا للنفي ، ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي (٤٢٠)
(٤)ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي (٤٢٠)
(٥)ينظر : السابق نفسه
(٦) السبط " عنقود النخل يكون فيه من الثمر " المعجم الوسيط (س.ب.ط)
(٧)لأن من العلماء من يمنع خروجها على أي حال ينظر : كشف المشكل ،لابن الجوزي،(٧٣٥/١)

- "عسى " فعل يفيد "الرجاء والإشفاق "[١]" "والشَّفَقة رِقَّة مِنْ نُصْحٍ أو حُبٍّ يؤدِّي إلى خوف "[٢]" والإشْفاق الخوف يقال أَشْفَقْت أُشْفِق إشفاقاً و المعنى في السياق أقرب إلى الرجاء وهي اللغة العالية بمعنى ترقب حدوث الفعل منها
- "تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا" الترغيب في العطاء صدقة أومعروفاً وفرق بينهما ، فالأول من الوجوب والثاني من التطوع[٣]وهو من الإطناب بذكر العام بعد الخاص للتأكيد على أهمية العام وذلك هو الأقرب

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام والتماسك النصي :من عوامل السبك الإحالة بالضمير ياء المخاطبة في " فَجُدِّى ، تصَدَّقِى ، تَفْعَلِى" وكاف الخطاب في " نَخْلَكِ ، فَإِنَّكِ " وها الغيبة في " نَخْلَهَا ، فَزَجَرَهَا"

والعطف في " فَأَرَادَتْ ،فَزَجَرَهَا ،فَأَتَتِ ،فَقَالَ ،فَجُدِّى، فَإِنَّكِ ،أَوْ تَفْعَلِى "

ومنها التوكيد في " أَنْ تَجُدَّ ، أَنْ تَخْرُجَ، أَنْ تَصَدَّقِى"

❧ ❧ ❧

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

ارتكز الخطاب على التقرير وتضافرت الأساليب لتحقيقه ، فكان الجواب ببلى للتقرير ، كما أن التكرار والإطناب كان من دواعي التقرير

والتعليل المؤكد بإن في " فإنك " للتقرير بجواز الخروج للمعتدة البائنة

وقد خلا الخطاب من انواع التصويرالبياني والبديع ،وجاءت الألفاظ دالة سهلة واضحة كما أن المعاني جاءت تحقق حاجات المرأة في احوالها الخاصة التي لا تشترك فيها مع الرجل.

---

(١)ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي (٤٦٢)

(٢)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ش.ف.ق).

(٣) فتح الملهم ، شبير العثماني (١/ ١٤٩)

١٣. زينة المرأة في عدة الوفاة

عن أُمِّ سَلَمَةَ تَقُولُ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِى تُوُفِّىَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنُهَا أَفَنَكْحُلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ لاَ ثُمَّ قَالَ « إِنَّمَا هِىَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِى الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِى بِالْبَعَرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ ».

يسيض

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : "إن اختلاف المواقف مع تشابه الحوادث من الاحوال التي يجب أن تراعى في فهم النصوص ، ومعرفة الأسرار، وكأن هذه الأحوال الخارجية جزء من ماهيات النصوص وجزء من مكوناتها البلاغية " [١]

امرأة أخرى جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تسأل الرخصة في زينة ابنتها ولكنها ليست عروساً بل هي معتدة مات عنها زوجها ، ولم يختلف أسلوب السائلة وطريقتها في العرض عن سابقتها إلا هُنات استدعاها الحدث غير أن موقف رسول الله صلى الله عليه و سلم في خطابه تبدل تبدلاً جذريا فمن هدوء إلى حده ومن إيجاز إلى تكرار ومن جملة خبريه إلى انشائية مع ضرب للمثل .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب: هو دليل على تحريم الاكتحال على المعتدة في عدة الوفاة لما فيه من الاجتهاد في مباعدة مافيه شبهة [٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: " كحل: الكُحْل: ما يكتحل به. الكُحْل ما وُضِع في العين يُشتَفى به ، كَحَلَها يَكْحَلها ويَكْحُلها كَحْلاً، فهي مَكْحولة وكَحِيل ، من أعين كُحْلاء وكَحائل؛"[٣]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

"يا رسول الله ! إن ابنتي توفي عنها زوجها " النداء للتعظيم والتفخيم

---

(١)ينظر : شرح أحاديث من صحيح البخاري ،للشيخ أبي موسى(٣٣١)
(٢)ينظر : المنهاج ، أبو زكريا النووي (١٠ / ١١٤)
(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ك.ح.ل)

والجملة بعده خبرية جاءت مغايرة للحديث السابق في عدم ظهور عاطفة الأمومة غيرأن ثمة ما يثير الشجن والحزن ليس وفاة الزوج ولكنه ترمل الزوجة من بعده وهو مفاد تقديم المتعلق "عنها" ولو أنها قالت " توفي زوجها عنها " لكان ما عناها هو أمر الوفاة أمّا وقد تقدم المتعلق فالمعنيُّ الزوجة من بعده .

"وقد اشتكت عينُها "اختلف العلماء في ضبط " عينها " مضمومة على الفاعلية أو منصوبة والفاعل ضمير عائد على المرأة فأجاز بعضهم الوجهين ورجح بعضهم الضم[١]وهو ما تميل إليه الباحثة ،لأنه من جهة متممٌ للعنصر الجمالي الإيقاعي ، فكلمة " عينُها" تتجاوب جماليا وإيقاعياً مع ما قبلها كلمة "زوجُها" كما أن به يتأكد مسوغ غضبه صلى الله عليه و سلم ،إضافة إلى ما يظهره النص من توجه الخطاب إلى النسوة لا إلى المرأة نفسها، فإذا كانت العين فاعلاً كانت الشكاية استعارة تشخيص ، مما يدل على أن الضرر لم يبلغ من العين مبلغه ،وأن النساء من حولها هم من استشعروا ذلك تعاطفاً وإشفاقاً ، وإلا لما غضب رسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة وأن هناك من الروايات ما أبيح فيها الاكتحال ليلا عند الضرورة

أما إذا كانت "عيَنها" على النصب كانت المرأة هي الشاكية على الحقيقة.

"أفنكحلها " التحول من الإفراد إلى الجمع يوضح أن الأمر برمته لم يكن من تدبير المعتدة بل من تدبير النسوة.

هذه اللغة التي تمكنت من حمل كافة أطراف القضية وصلت مدلولاتها بكل ثقلها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكان أن نهى واستنكر غاضبا لحدود الله أن تنتهك لأن الاحتداد في العدة شرع الله

"قال "لا "مرتين أو ثلاثا. كل ذلك يقول: لا"

- نهي طلبي مؤكداً توكيداً لفظياً بالتكرار يحمل في طياته معنى الزجر واللوم لحاجة السياق.
- حذفت جملة الجواب للاختصار والإيجاز لدلاله السياق والتقدير" لا تفعل ، أو لا تفعلن "

"إنما هي أربعة أشهر وعشر "

- الأداة إنما اضافة إلى كونها تدل على القصر والتوكيد دلت هنا على "التبكيت والإلزام" [٢] واللوم لمجاراة الخصم

---

(١)ينظر : المنهاج، للنووي (١٠ / ١١٤)، و فتح الملهم ، العثماني (١٥٤/١)

(٢) في معرض الحديث عن القصر " بإلا " حيث وردت بمعنى التبكيت والإلزام في قوله تعالى " إن نحن إلا بشر مثلكم" إبراهيم (١١) مع أن الأصل أن تكون لما يجهله المخاطب وقد ينزل العالم منزلة الجاهل مجاراة للخصم ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٣٩) وقياسا على ذلك جاءت

- الضمير " هي " الذي أفاد التعظيم والتفخيم والتأكيد، مما يوجب الاهتمام بتعظيم شرع الله في الاحتداد، وعدم التهاون والإحتراز عن كل ما فيه شبهه .
- ذكرعدة المتوفى عنها زوجها وهي معلومة عند المخاطبة ، من ذكر ما هو معلوم وتنزيله منزلة المجهول لمسوغ يحتاجه المقام(١) وهو التوبيخ واستدعاء ما يجب فعله نحو سهوله التكليف ويسره من الشكر والطاعة والمعنى " لا تستكثرن العدة ومنع الاكتحال فيها فإنها مدة قليلة وقد خففت عنكن وصارت أربعة أشهر وعشرا"(٢)

"وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول"

- الجملة خبرية مؤكدة بـ "قد" التي تدخل على الماضي فتدل على تحقق وقوعه٣
- ضرب المثل مما يلزم الشكر والصبر ، ولكي يبين رسول الله صلى الله عليه و سلم للمرأة ما في شريعة الإسلام من سهولة ويسر ضرب لها مثلاً بحال المرأة في الجاهلية وما كانت عليه من الهوان والأذى ، فقد كان من عادات العرب في الجاهلية أن المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت بيتا ضيقا ولبست شر ثيابها ولا تمس طيبا ولا زينة سنة كاملة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير ،فتكسر بها العدة ،بأن تتمسح بها وقل ما تمسحت بشيء إلا مات ،ثم تخرج من البيت فتعطى بعرة فترمي بها وتنقطع بذلك عدتها(٤) فضرب لها مثلاً بذلك وضرب المثل " هو في الكلام أن يذكر لحال من الأحوال ما يناسبها ويشابهها ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً ، ولما كان المراد به بيان الأحوال كان قصة وحكاية ، واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الإنفعال ، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه ،وينتهي إلى أعماق نفسه"(٥) وهو بذلك وسيلة من وسائل التثقيف النفسي ،الذي يوقظ الحس ويحمل المخاطب على الترغيب في الطاعة والرضى والامتثال لشرعة الإسلام
- الموازنة وهو أسلوب يجمع بين الإمتاع والإقناع(٦) لما تنطوي عليه من دليل ذهني يربط المتلقي بمدركاته السابقة وهي من أساليب البيان النبوي .

إنما في السياق من كونها في الأصل لما يعلمه المخاطب ولا ينكره وقد يُنزل المعلوم منزلة المجهول فيكون التبكيت والإلزام واللوم.

(١) ينظر : الإيضاح ،للخطيب القز ويني (١٤١)

(٢) المنهاج ،للنووي (١٠ / ١١٤)

(٣) ينظر : رصف المباني ، للمالقي (٣٩٢)

(٤)ينظر : فتح الملهم ، لشبير العثماني (١/ ١٥٥)

(٥)ي تفسير المنار ،للعلامة محمد رشيد رضا (٢٣٦/١) القاهرة ، دار المنار ـ ط٢ـ ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م

(٦)ينظر : التصوير الفني في الحديث ، محمد لطفي الصباغ(٥١٤) بيروت ، المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م

❧ ❧ ❧

عوامل التماسك النصي: الإحالة بالضمير في " ابْنَتِى ،عَنْهَا ،زَوْجُهَا،عَيْنُهَا، أَفَنَكْحُلُهَا، إِحْدَاكُنَّ "

والأحاله بالإشارة في "كُلَّ ذَلِكَ"

ومنها العطف " وَقَدْ كَانَت ،فَقَالَتْ ،أَوْ ثَلاَثًا ،ثُمَّ قَالَ،

التوكيد في "إِنَّ ابْنَتِى ،قَدِ اشْتَكَتْ ،إِنَّمَا ،قَدْ كَانَتْ "

ومنها الربط بالسؤال في " أَفَنَكْحُلُهَا فَقَالَ: لاَ ".

❧ ❧ ❧

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على القصر بإنما للتوكيد وإقرار النهي الطلبي " بلا " والذي سبق القصر ثم جاءت مجمل الأساليب تأكيداً له ، فجاء إيجاز الحذف في الجواب مبالغة في الإنكار ، لتأكيد على ضرورة الالتزام بالمنهي عنه ، ثم إنزال المعلوم منزلة المجهول للتوبيخ من عدم القيام بمقتضى المعلوم وحثاً على ضرورة التزامه ، ثم عقد المقارنة والموازنة عن طريق ضرب المثل ليستقر المعنى ويتمكن في النفس حق تمكن.

كل ذلك بلغة سهلة واضحة لا غرابة فيها ، مع خلو الخطاب من التلوين والزخرف البديعي .

والمعاني قريبة متناولة دينياً واجتماعيا تلبي حاجة المرأة وتساؤلاتها .

١٤. المطلقة البائن إذا خرجت من بيتها تخطب وليس لها نفقة

ـ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَىْءٍ. فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ « لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ ». فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِى بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ثُمَّ قَالَ « تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِى اعْتَدِّى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِى ». قَالَتْ فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ». فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ « انْكِحِى أُسَامَةَ ». فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ بِهِ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : فاطمة بنت قيس بنت فهر القرشية رضي الله عنها كانت زوجة الصحابي الجليل أبو عمر بن حفص المخزومي ابن عم خالد بن الوليد كانت من المهاجرات الأوائل وكانت امرأة بخودا نبيلة ، ذات عقل وجمال ، وعندما أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ، خرج زوجها في صحبته وكان قد طلقها بتطليقتين فبعث إليها بالثالثة غائبا عنها فاصبحت مبتوتة .

ثم أنه في غربته وكّل من يبعثُ إليها بمتاعِها فبعثوا لها "بشعير فتقالّت من شأنه وسخطت واستخفت ،و بينت سخطها عند أحمائها وتطاولت عليهم ،وقد ورد أنها "كانت تبذو وتطيل لسانها " فامتنع زوجها من الانفاق عليها ، فلما خاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى بأن ليس لها نفقة وأمرها بقضاء العدة في بيت ابن أم مكتوم وقد كان ضريراً ، ولما أن قضت عدتها اخبرت رسول الله صلى الله عليه و سلم بمن عرض بخطبتها ، فأشار عليها بأن تتزوج من أسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم فرضيت به وتزوجت منه[١] .

---

(١)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٠ / ٤٩) وينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٩/ ٤٨٧) وينظر : شرح البخاري ،لابن بطال (١٣ / ٤٩٧)

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان أن لا نفقة للبائن إذا كانت أحوالها في عدتها على ما وصف من أحوال فاطمة بنت قيس وخروجها من منزل العدة للحاجة ، ثم إرشاد الإنسان إلى مصلحته وإن كرهها .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: البت:القطع ولا أَفعله البَتَّةَ كأَنه قَطَعَ فِعْلهُ. ويقال: لا أَفْعلُه بَتَّةً، ولا أَفعلهُ البَتَّةَ، لكل أَمرٍ لا رَجْعة فيه ؛ يقال: بَتَّ فلانٌ طَلاقَ امرأَتِه، بغير أَلف، وأَبَتَّه بالأَلف، وقد طَلَّقها البَتَّةَ. ويقال: الطَّلْقةُ الواحدة تَبُتُّ أَي تَقطَعُ عِصْمةَ النكاح، إِذا انْقَضَتِ العدَّة. وطَلَّقَها ثلاثاً بَتَّةً وبَتاتاً أَي قَطْعاً لا عَوْدَ فيها؛ لا تَبيتُ المَبْتُوتةُ إِلاَّ في بيتِها، هي المُطَلَّقة طَلاقاً بائناً. [1]

غشا: الغِشاءُ: الغِطاءُ. غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِيةً إذا غَطَّيْته . وعلى بَصَره وقَلْبِه غَشْوٌ وغَشْوةٌ وغِشاوةٌ وغاشِيةٌ.

"صعلوك من (صعل) الصاد والعين واللام أُصَيلٌ يدلُّ على صِغَرٍ وانجراد. من ذلك الصَّعْل، وهو الصَّغير الرَّأس من الرِّجال والنَّعام ، ويقال رجلٌ أصعَلُ، وامرأةٌ صَعلاءُ[2] وتَصَعْلَكت الإبل: خرجت أوبارها وانجردت وطَرحتها. ورجل مُصَعْلَكُ الرأس مدوّره صغير الصُّعْلُوك الفقير الذي لا مال له، وهوالتَّصَعْلُكُ : وصَعاليكُ العرب: ذُؤبانُها. وكان عُرْوة بن الوَرْد يسمى : عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيَرْزُقُهم مما يَغْنَمُه."[3]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" ليس لك عليه نفقة "

- النفي "بليس"، جاء الكلام منفياً بليس في القرآن الكريم في تسع مواضع[4] ظهر منها ما يأتي :

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ب.ت.ت)
(٢)ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ص.ع.ل)
(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ص.ع.ل)
(٤) ينظر : الحاوي في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد القماش (٢٢١٢)

١. النفي بليس يثبت فيما ليس بذنب أصلا قال تعالى : ﴿وليْسَ عَليْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب ٥ والخطأ معفوٌ عنه في الأصل كما أنه لم يرد فيه نفي ينهى عنه غالبًا.

أن " ليس" تنفي الوحدة، ولا تنفي الجنس فهي ضعيفة في النفي

٢. أن "ليس" تأتي في سياق المباحات، وما يستحسن من الأمور، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ النور ٢٩ وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الفتح ١٧

فظاهر ذلك ومفاده أن النفي بليس جاء موافقاً للسياق لأن الحكم بعدم وجوب النفقة على المعتدة كان للواحدة لا للجنس أي أنه ليس قاعدة عامة بل هو حكم خاص بالسيدة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، كما أن الأصل في النفقة على المعتدة البائنة داخل ضمن المباحات وما يستحسن من الامور ، وهو ليس من الذنوب بتاتاً ، وإنما كان نهيه صلى الله عليه و سلم لعلة ومما يؤكد ذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قيل لها " ألم تسمعي في قول فاطمة قالت أما إنه ليس لها خير في ذكر هذا الحديث " (١)

- تقديم الجار والمجرور "لك" للتخصيص فلم يقل " ليس عليه نفقة " او " ليس لك نفقة عليه"ولذلك كان أن انتقدت عائشة رضي الله عنها فاطمة أنها " عممت في موضع التخصيص "(٢)
- " نفقة " الإفراد و التنكير للجنس .

وهذا التأمل والتحليل لخطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم للمرأة في هذه الجملة هو خير بيان وتعليل لمن كان يرى من الصحابة رد حديث فاطمة بنت قيس حول نفقة المعتدة البائنة(٣) ليوضح أن الحكم في الخطاب كان خاصاً بشأن السيدة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ومن كانت حالها مطابقاً لحالها وليس حكماً عاماً لكل مطلقة بائنة .

فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك غزية بنت جابربن حكيم رضي الله عنها (٤)

" تلك امرأة يغشاها أصحابي "

---

(١) البخاري ،كتاب الطلاق ، باب قصة فاطمة بنت قيس [٥٣٢٥]

(٢) ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٩/ ٤٨١)

(٣) هذا القول رده عمر رضي الله تعالى عنه فإنه كان يرى أن لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا بقول امرأة لا ندري صدقت أم كذبت حفظت أم نسيت ، ورده أيضا زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وجابر وعائشة رضي الله عنهم ينظر : عمدة القارئ ، للعيني(٣٠ / ٢٥٣)

(٤) غزية بنت جابر وهي التي عرضت نفسها على رسول الله صلى الله عليه و سلم وأسلمت وعذبها قومها ومارست الدعوة في فجر إسلامها على نساء قريش وكانت عظيمة النفقة غنية يرتاد بيتها الضيفان ينظر : أسد الغابة ،لابن الجزري (١/ ١٣٩١)

- "تلك " للتفخيم والتعظيم
- يغشاها أصحابي " استعارة تصريحية تبعية حيث شبه كثرة مجيء الضيفان بالغشاء الذي يغطي ، بجامع العموم والشمول ،وحذف المشبه وصرح بذكر المشبه به

"اعتدى عند ابن أم مكتوم. فإنه رجل أعمى . تضعين ثيابك"
وكان ابن أم مكتوم ، ابن عم لها ضريراً

- " تضعين ثيابك " مجاز مرسل علاقته الجزئية والمقصود تضعين حجابك وهو جزء من الثياب ،والمعنى أنها تأمن كثرة الضيفان وترددهم إليها فقد أمرت المراة عامة والمعتدة على وجه الخصوص بالحجاب و ليس في ذلك إذن لها بالنظر إليه كما قد يتصور ، بل فيه أنها تأمن عنده من نظر غيره إليها ، وهو أخص وأضيق، والحادة مأمورة بغض بصرها فيمكنها الاحتراز عن النظر بلا مشقة بخلاف مكثها في بيت أم شريك [1] ولا يغني في ذلك كونه أعمى ومما رُوي عن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَت: كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَمَيْمُونَةُ قَالَتْ فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « احْتَجِبَا مِنْهُ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لاَ يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ »[2]

" أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له. "

- وفيه تقديم وتاخير ، حيث تقدم أبلغ الضررين ، وهو أبو جهم لأن فيه خلق لا يحمد في رجل ولا تطيقه امرأة .
- "لايضع عصاه عن عاتقه " كناية المراد أنه يُؤَدِّبُ أَهْلَه بالضَّرب وقيل : بل المراد كثْرةَ أسفاره [3] والذي اشتهر به المعنى الأول ، التأديب بالضرب ، على أن تأديب الزوجة في حد ذاته ليس عيباً ولكن تأديبها بالضرب كان مما عابه عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ،ومنعها من الزواج منه بسببه هذا وهي امرأة ثيب فكيف لو كانت بكراً ، فحري بأولياء المرأة أن يتحروا ذلك فيمن يزوجون ويقتدوا.

---

(١)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٠/ ٩٧)
(٢) رواه الترمذي في الآداب ، باب ماجاء في احتجاب النساء من الرجال (٣٠٠٥) وقال حديث حسن
(٣)النهاية في غريب الأثر – مجد الدين أبي السعادات بن محمد الجزري ابن الأثير ،(٥/ ١٩٧) محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، القاهرة ـ ط١ ـ ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م

- الصعلوك كناية عن الفقر والحاجة و قلة المال ، و هو من العيوب مما لا يحمد
- التثقيف النفسي للترهيب بذكر ما شاع من العيوب تحذيراً من الاقبال على ما يحتمل الإضرر منه .

انكحى أسامة بن زيد" فكرهته. ثم قال: "انكحى أسامة" فنكحته

- أسلوب أمرٌ على الإباحة لا الوجوب بدليل التكرار .
- الضميرفي كرهته يعود على النكاح لا على أسامة، فهو أجل من أن تكرهه ، ولكنها كرهت نكاحه ربما للونه ولكنها أطاعت لما علمت من رغبة النبيّ صَلّى اللهُ عليْهِ وَ سلَّم فكانت رغبته فوق رغبتها،وهذا يعلمنا أن ندع محبوبنا لمحبوبه صَلّى اللهُ عليْهِ وَ سلَّم وذلك آية الإتباع والمحبة له
- الإسهاب بالتكرار للتأكيد ولأنه مطابق لمقتضى الحال من التردد والكراهة .
- التثقيف النفسي بالترغيب في الزواج بصاحب الخلق السليم والطباع المحمودة مما تستقيم به الحياة، وتقدر المرأة على تحمله ، وتقديمه على غيره من ذوي الشرف والمكانة ممن يعاب في خلقه حتى وإن سلم من العيب في دينه ، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما أمرها بنكاح أسامه رضي الله عنه ليس فقط لما علمه من دينه بل لفضل وكرم شمائله فنصحها بذلك ، كرهته لكونه مولى ولكونه كان أسود جدا ، فكررعليها النبي صلى الله عليه و سلم النصيحة بالزواج منه ، لان في ذلك نفعها [١]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

الإحالة بالضمائر في " عَلَيْنَا ،عَلَيْهِ ،فَأَمَرَهَا ،يَغْشَاهَا، أَصْحَابِى ،فَإِنَّهُ، تَضَعِينَ ،ثِيَابَكِ حَلَلْتِ ،فَآذِنِينِى ،حَلَلْتُ ،ذَكَرْتُ، لَهُ ،خَطَبَانِى، عَصَاهُ ،عَاتِقِهِ ،انْكِحِى، فَكَرِهْتُهُ ،انْكِحِى فَنَكَحْتُهُ ،فِيهِ ،وَاغْتَبَطْتُ ،بِهِ "

جاءت الإحالة بالإشارة في " فَذَكَرَتْ ذَلِكَ

ومنها الربط العطف في " فَأَرْسَلَ ،فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ فَجَاءَتْ،، فَذَكَرَتْ ،فَقَالَ، فَأَمَرَهَا ،ثُمَّ قَالَ، فَآذِنِينِى ،وَأَبَا جَهْمٍ ،فَقَالَ ،فَلاَ يَضَعُ ،فَصُعْلُوكٌ، فَكَرِهْتُهُ ،ثُمَّ قَالَ ،فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ، وَاغْتَبَطْتُ "

والتكرار في" انْكِحِى أُسَامَةَ " وكذلك في " حَلَلْتِ ، حَلَلْتُ " وفي " مَا لَكِ، لَيْسَ لَكِ "
والتوكيد " وَاللَّهِ مَا ، وَاللَّهِ مَا ،أَنَّ مُعَاوِيَةَ ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ، أَنْ تَعْتَدَّ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ "

---

(١)ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووي (١٠ / ٩٨)

والترادف المعنوي بين " فصُعْلُوكٌ ،لاَ مَالَ لَهُ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

يجري الخطاب في مجريين وقد اعتمد في مجراه الأول على النفي بليس لإثبات عدم استحقاقها للنفقة والحال على ماذكر ، وهومن الأحكام الخاصة كما أكد ذلك بيان النبوة في استخدام ليس للنفي ، ثم التخصيص بالتقديم والتأخير

وفي مجراه الثاني اعتمد على أسلوب الكناية للنصح والإرشاد في أمر الخاطب ومما سوغ استحسان الكناية في هذا الموضع جاءت للتعريض وذكر العيوب مما يباح ذكره شرعاً(١)، ثم جاء أسلوب الأمر للإباحة وجاء التكرار والإسهاب للتأكيد و لحاجة المخاطبة .

وقد جاءت ألفاظ الخطاب ولغته سهلة واضحة متناولة يميل بعضها إلى الجزالة والقوة وقد استخدمت الكناية في غير تكلف أو غموض فهي من الكنايات المألوفة عند العرب كما أن معان الخطاب كلها واقعية ، إسلامية تناقش أحكام المعتدة في ضوء الشريعة الإسلامية وبما يتناسب مع خصوصية أحوال المرأة .

---

(١)فهو من النصح والإرشاد وليس من الغيبة المحرمة ينظر : المنهاج ، للنووي (١٠ / ١٠٧)

١٥. رجعة المطلقة إلى زوجها الأول

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِى فَبَتَّ طَلاَقِى فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِى إِلَى رِفَاعَةَ لاَ حَتَّى تَذُوقِى عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ ». قَالَتْ وَأَبو بَكْرٍ عِنْدَهُ وَخَالِدٌ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَنَادَى يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : هذه تميمة بنت وهب وزوجها رفاعة القرظي ، مِنْ مَنْ أسلم من بني قريظة بطن من بطون يهود ، طلقها زوجها رفاعة وبت طلاقها فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير بن باطاء القرظي[١]فكرهته و أرادت الرجعة إلى رفاعة زوجها الأول وجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، تطلب ذلك فنهاها.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : بيان أن التزويج الكامل شرط في التحليل لأن " المطلقة ثلاثا لا تحل لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها فأما مجرد عقده عليها فلا يبيحها للأول "[٢]والترهيب من التهاون في ذلك

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: الهدب : أصلٌ صحيح يدلُّ على طُرَّةِ شيءٍ ، وهَيْدَبُ السَّحابِ :ما تهدَّبَ منه إذا أراد الوَدْق، كأنّه خيوطٌ ورجلٌ أهْدب: كثيرُ أشفار العَين [٣]، وهُدْبُ الثوب، طَرَفُ الثوبِ ، مما يَلي طُرَّتَه[٤]والطر "أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حِدّة في الشيء واستطالةٍ وامتدادٍ من ذلك قولهم: طرَّ السِّنان، إذا حدّده. وهذا سنان مطرور، أي محدَّد"[٥]

---

(١)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٠/ ٣)
(٢)ينظر : السابق نفسه
(٣)ينظر : مقاييس اللغة ،لابن فارس مادة(ه.د.ب)
(٤)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (هـ.د.ب)
(٥)ينظر : مقاييس اللغة ، مادة (ط.ر.ر)

العسيلة والعسل الصحيح في هذا الباب أصلان فالأول من الاضطراب، والغسَلانُ، شِدّةُ اهتزازِ الرُّمح يقال: عَسَل يَعْسِلُ عَسلاناً، كما يُعْسِلُ الذّئبُ، إذا مَضى مُسرِعاً. والذّئب عاسل، ويقال رمحٌ عَسَّالٌ.
والأصل الثاني هو طعامٌ حُلْو، ويُشتَقُّ منه. فالطَّعام العَسَل، معروف ، عَسَلْتُ الطَّعامَ، أي جعلتُ فيه عسلاً. وفلانٌ معسول الخُلُق، أي طيِّبه. ومِمّا حُمل على هذا العُسيْلة ، يُزاد بها الجِماع .[١]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" كنت عند رفاعة. فطلقني فبت طلاقي. فتزوجت عبدالرحمن بن الزبير. وإن ما معه مثل هدبة الثوب " وبت طلاقي تشبيه له بالحبل أي قطعه فلم يبق من الثلاث طلقات شيئا[٢] ،وهي استعارة تصريحية تبعية ،وهدبة الثوب طرف الثوب الذي لم ينسج ، تشبيه بجامع "الإسترخاء وعدم الإنتشار "[٣].

"فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم " و التبسم إما للتعجب من جهرها بهذا الذي تستحي النساء منه في العادة أو لرغبتها في زوجها الأول وكراهة الثاني [٤] ،أو لضعف عقلها كون الحامل لها على هذه المقاله ذلك البغض للزوج الثاني ومحبتها في الرجوع إلى الأول [٥]

"أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة "

- الاستفهام جاء بمعنى التقرير والفرق بن التقرير والاستفهام أن التقريريكون ممن يعلم لمن يعلم ، ليثبته على فعله أو ليتأكد انه فعله عن تعمد وقصد ،وذلك بعكس الإستفهام الذي لايكون إلا ممن لا يعلم لمن يعلم [٦] وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم عالماً بمرادها بدليل تبسمه من قولها رضي الله عنها

(١)ينظر : السابق(ع.س.ل)
(٢)ينظر : تحفة الأحوزي ، المباركفوري (٤/ ٢٢٠)
(٣)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٩/ ٤٦٥)
(٤)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٠/ ٤)
(٥)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٩/ ٤٦٦)
(٦) ينظر : رصف المباني ، للمالقي (٤٦)

" لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك "

- النهي بلا مع حذف فعل الجواب للإيجاز ودلالة السياق .
- "تذوقي " استعارة تصريحية حيث شبه استشعار الجماع بشيئ يدرك بالتذوق وحذف المشبه ، وصرح بالمشبه به ،بجامع الحس و الإدراك
- " عسيلته" موضع استعارة كذلك ، يقول الشريف الرضي " كأنه عليه الصلاة والسلام كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل، وكأن مخبر المرأة ومخبر الرجل كالعسلة المستودعة في ظرفها، فلا يصح الحكم عليها إلا بعد الذوق منها. [1]
- التصغير لاسم العسل " لسر لطيف في هذا المعنى، وهو أنه أراد فعل الجماع دفعة واحدة ، وهو ما تحل المرأة به للزوج الاول، فجعل ذلك بمنزلة الذوق القابل من العسلة من غير استكثار منها ولا معاودة لأكلها، فأوقع التصغير على الاسم، وهو في الحقيقة للفعل "[2] وعلى ذلك قيل إن في " التقليل إشارة إلى أن القدر القليل كاف في تحصيل الحل "[3] وقد بينت الاستعارة هذا المعنى بأوجز عبارة وأرق تصوير .
- وبين الجملتين مقابلة .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :من عوامل السبك

الإحالة بالضمائر في " كُنْتُ، فطَلَّقَنِى ،فَبَتَّ ،طَلاَقِى، فَتَزَوَّجْتُ ،مَعَهُ ،أَتُرِيدِينَ تَرْجِعِى ،تَذُوقِى ،عُسَيْلَتَهُ ،عُسَيْلَتَكِ ،عِنْدَهُ، به "

والإحلة بالإشارة في " الا تَسْمَعُ هَذِهِ "

والإحالة بالموصوليه في " مَا مَعَهُ ، مَا تَجْهَرُ"

العطف في" فَطَلَّقَنِى ،فَبَتَّ ،فَتَزَوَّجْتُ، وَإِنَّ فَتَبَسَّمَ ،فَقَالَ ،وَيَذُوقَ ،وَخَالِدٌ ، فَنَادَى"

والتوكيد في " أَنْ تَرْجِعِى، وَإِنَّ مَا ، أَنْ يُؤْذَنَ "

التكرار في تكرار اسم رفاعة " امْرَأَةُ رِفَاعَةَ ، عِنْدَ رِفَاعَةَ، إِلَى رِفَاعَةَ " وفي " تَذُوقِى ، وَيَذُوقَ " و" عُسَيْلَتَهُ و عُسَيْلَتَكِ "

وجاء الربط بالسؤال وجوابه في " أَتُرِيدِينَ أَنْ ، لاَ "

ومنها الطباق في " فَطَلَّقَنِى ، فَتَزَوَّجْتُ "

---

(١)ينظر : المجازات النبوية ، للشريف الرضي (٢٢١)

(٢)ينظر : السابق نفسه

(٣)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٩/ ٤٦٦)

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البلاغي في الخطاب هو أسلوب الاستعارة اللافته ، التي جاءت مسبوقة بالنهي مؤكدةً له ، وقد تخللتها بعض الأساليب ،فجاء التصغير للتقليل وبيان الإفراد ثم المقابلة بين الجملتين

وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والوضوح .

والمعاني تميل إلى السلاسة والمرونة ، دينية إسلامية تلبي حاجة المرأة في التزام قواعد الشريعة في أحكام الطلاق والرجعة .

١٦. أخذ الزوجة من مال زوجها

عنْ عائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِى سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لاَ يُعْطِينِى مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِى وَيَكْفِى بَنِىَّ إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ. فَهَلْ عَلَىَّ فِى ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « خُذِى مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِى بَنِيكِ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : كما نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة السائلة عن التظاهر بعطاء زوجها عند عدم وجوده ، أباح لأخرى أن تأخذ من مال زوجها نفقة لها ولعيالها عند امساكه عنها

فهذه هند بنت عتبة و أم معاوية و صاحبة كبد حمزة ، وزوجها أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، من سادات قريش ، قائدهم في أحد ، وترأس الأحزاب يوم الخندق ، وأسلم ليلة الفتح [١]

وذكر أن هنداً لما قدمت تبايع رسول الله صلى الله عليه و سلم جاء قوله ولا يسرقن فقالت : قد كنت أصبت من مال أبي سفيان فقال أبو سفيان : فما أصبت من مالي فهو حلال لك ثم انها بايعت ، وظنت أن ذلك التحليل منه خاص فيما مضى من مال فجاءت مرة أخرى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تسأل عن الحكم عامة .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : وجوب نفقة الزوجة والأولاد الصغار وهي مقدرة بالكفاية و اعتماد العرف [٢] ولها أن تستوفيه بغير إذن لو منعت لأن "من له على غيره حق وهو عاجز عن استيفائه يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذنه " [٣]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: الشُّحُ والشَّحُ: البُخْلُ ، والضم أعلى؛ وقيل: هو البخل مع حرْصٍ ؛ وهو أبلغ في المنع من البخل؛ وقيل: البخل في أفراد الأُمور واحادها، والشح عام ؛ وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف ؛[٤]

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٩/ ٥٠٨)
(٢)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٢/ ٧)
(٣)وفيه خلاف ينظر : المنهاج ، أبو زكريا النووي (١٢/ ٨)
(٤)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ش.ح.ح)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح " ذكرالزوج بما اشتهر به من كنية [١] حتى وان كان ذلك في الخصومة

"لا يعطيني من النفقة " التعليل لما نسبت إليه من صفة الشح ، لأنه على " من نسب إلى نفسه أمرا عليه فيه غضاضة فليقرنه بما يقيم عذره في ذلك "[٢] ومن الغضاضة أن تصف المرأة زوجها بصفة سوء دون عذر ، "ما يكفيني ويكفي بني" لم تنفِ الإنفاق بالكلية بل نفت الكفاية وهي تختلف من منظور لآخر ومن مجتمع لمجتمع ، وظاهر في السياق ماكانت عليه هند بنت عتبة وزوجها من يسار وسعة ومكانة في المجتمع .

"خذي من ماله بالمعروف ، ما يكفيك ويكفي بنيك "

- صيغة الأمر خذي للإباحة
- من للتبعيض ، أي أنه أقر لها أن تأخذ بعضاً من ماله وليس كله
- " بالمعروف" والمراد "القدرالذي عرف بالعادة أنه الكفاية "[٣] وفيه إطناب بجملة معترضة للتأكيد على الأخذ بالعرف والترغيب في إلتزامه والتنبيه والترهيب من تجاوزه أو الزيادة عليه وهذا التنبيه مطابق لحال المخاطبة خشية أن تبالغ في الأخذ وذلك لما عرفت به زوجه من سعة ويسار
- في قوله "ما يكفيك ، ويكفي بنيك " جناس وسجع غير متكلف .
- جملة الصلة لبيان أوجه الإنفاق الواجبة على الزوج ، والجملة من الأسلوب الحكيم مما يحتاج المقام الوقوف عنده لأنه الأولى والأهم ، وقد ورد في سؤال السائلة ذكر الكفاية غير أنها لم تكن هدفا لسؤالها، فجاء ذكرها تنبيها لأهميتها

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " يُعْطِينِى ،يَكْفِينِى، بَنِيَّ، أَخَذْتُ ،عِلْمِهِ ،عَلَيَّ خُذِى، مَالِهِ، يَكْفِيكِ ،بنيكِ "

---

(١)قال بعضهم ذكرت الكنية للتعظيم ورده ابن حجر وقال " فيه نظر لأن أبا سفيان كان مشهورا بكنيته دون اسمه فلا يدل قولها أبا سفيان على إرادة التعظيم " ينظر فتح الباري ،لابن حجر (٩/ ٥٠٩)

٢) ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٢/ ٣٤٣)

(٣)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٢/ ٣٤٣) وفتح الباري ، لابن حجر (٥٠٩/٩)

والإحالة بالموصولية في " مَا يَكْفيكِ ، مَا أَخَذْتُ ، مَا يَكْفِينِى"
والإشارة في " فِى ذَلِكَ "
ومنها العطف في " فَقَالَتْ، وَيَكْفِى ، فَقَالَ "
ومنها التكرار في "مَا يَكْفِينِى وَيَكْفِى بَنِىَّ ، مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِى بَنِيكِ "وفي "مِنْ مَالِهِ ،مِنْ مَالِهِ"
والتوكيد في " إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ "
والربط بالسوال والجواب في " فَهَلْ عَلَىَّ ، فَقَالَ :خُذِى "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني في الخطاب الإطناب للتحذير والتنبيه ، لحاجة المقام و لم يكتف في الجواب بنعم او بلا ،وتميزت الألفاظ بالوضوح والمباشرة ،كما خلا الخطاب من التصوير ، و جاء السجع حلية لفظية غير متكلفة .
أما المعاني فهي معاني إسلامية تلبي حاجة المرأة المسلمة في بيان مقدار النفقة وحده.

١٧ـ مدة الإقامة عند الزوجة الثانية

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلاَثًا وَقَالَ « إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِى».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : جاء خطابه صلى الله عليه و سلم بيانا ناصعا يطيب خاطر الزوجة المحبة ويبين لها مالها عليه من حق عندما بنى بها بعد زواجه ،وقد أزف الرحيل وتعلق قلب أم المؤمنين برسول الله ﷺ وقد هم بالخروج فأخذت بثوبه [(١)]،تطلبه البقاء.[٢]

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : التلطف في الخطاب الزوج لزوجه وتطييب نفسها، والبقاء عندها بعد الزواج ثلاثاً إن كانت ثيباً وسبعاً إن كانت بكرا لحبها ذلك .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: والهُونُ والهوانُ: نقيض العزّ، هانَ يَهُونُ هَواناً، وهو هَيِّنٌ وأَهْوَنُ. وأَهانه وهَوَّنه واسْتَهانَ به وتَهاوَنَ بهِ : استخفَّ به ، ورجل فيه مَهانة أَي ذُلّ وضعف. وتَهاوَنَ بهِ : استخفَّ به ،[(٣)]

❧ ❧ ❧

---

(١)عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ تَزَوَّجَ أُمَّ سلمه فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَخَذَتْ بِثَوْبِهِ.صحيح مسلم ـ الرضاع [٢٦٦٠]

٢ أم سلمه ، هند بنت أمية المخزومية كان أبوها يلقب بزاد الركب لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زادا بل كان هو من يكفيهم ، تزوجت قبل إسلامها أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه ،فلمَّا تُوُفِّي استرجعت ، وقالت : اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها ،فلمَّا انقضتْ عدتها استأذنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ،بعد أن ردت قبله صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قالت : لما خطبني النبي صلى الله عليه و سلم قلت له في خلال ثلاث أما أنا فكبيرة السن وأنا امرأة معيل وأنا امرأة شديدة الغيرة فقال أنا أكبر منك وأما العيال فإلى الله وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها عنك فتزوجها ، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يبني بها كان " إِذَا جَاءَ أَخَذَتْ زَيْنَبَ فَوَضَعَتْهَا فِي حِجْرِهَا لِتُرْضِعَهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حَيِيًّا كريماً يَسْتَحِى فَيَرْجِعُ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِراراً فَفَطِنَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِمَا تَصْنَعُ فَأَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجَاءَ عَمَّارٌ وَكَانَ أَخَاهَا لأُمِّهَا فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَانْتَشَطَهَا مِنْ حِجْرِهَا وَقَالَ دَعِي هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ الَّتِي آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-. قَالَ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- فَدَخَلَ فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي الْبَيْتِ وَيَقُولُ « أَيْنَ زُنَابُ ، مَا فَعَلَتْ زُنَابُ » قَالَتْ جَاءَ عَمَّارٌ فَذَهَبَ بِهَا. قَالَ فَبَنَى بِأَهْلِهِ " مسند أحمد[٢٤٥٠٠٣]

(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (هـ.و.ن)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"إنه ليس بك على أهلك هوان "

- الجملة خبرية مؤكدة والضمير في "إنه " للشأن[1]أي أن الأمر الذي سيكون منه صلى الله عليه و سلم من تركها بعد ثلاث ليال ، وهو أمر عظيم بالغ الأثر عليها ، فكان ضمير الشأن للإيضاح بعد الإبهام لبيان عظم المبهم
- النفي بليس ،نفياً حاداً يبعث على الطمأنينة وهو تثقيف نفسي عميق ،يبعث على التصديق والإقبال على ما سيأتي بعده
- "بك على أهلك " تقديم الخبر الجار والمجرور للأهمية والمبالغة في التكريم والعناية والإعزاز والتقدير " ليس هوان بك على أهلك "، وقد كانت تجد أن لا شاهد من أوليائها عندها ، وقيل أن المقصود بالأهل ، الزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو غاية التكريم
- "على أهلك " حرف الجر "على" لإفادة الاستعلاء ، وفي العدول إليه عن "في " أو " بين " دقة مترعة بالبيان إذ الهوان مما يسقط على الإنسان فيفت أركانه
- "الهوان " مبتدأ مؤخر، لفظ دقيق يجرد بصدق ما كانت تخشاه الزوجة من المهانة والتقليل ، والمقام على ماذكر في السياق ، وقد جاء في رواية " أن لك على اهلك كرامة "[2]وفي تأخيره وهو مما يخشى بلاغة مؤاتية ،فقد تقدم ماحقه التقديم وتأخر ما حقه التأخير في تثقيف نفسي عميق الأثر.
- والجملة كلها تعد ضرباً من روعة خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم للمرأة لأنه وبما أوتيَه من بلاغة عليا وفَهم لحاجات المخاطب قدم تطيب نفسها وتنزيه عوالقها مما قد يشتجر منها من مفاهيم حتى يفتح الطريق أمام ما سيرد بعده من خطاب ، ولسان حاله قائلٌ : أنا لا أفعل فعلاً تُذلينَ به عندي وتُهانين ، "وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الأهل والعيال وغيرهم وتقريب الحق من فهم المخاطب ليرجع إليه "[3]

"إن شئت سبعت لك "

- جاء الخطاب جملة شرطية بأداة الشرط" إن " التي لا تقطع بالوقوع مما يترك للمخاطب مجال للاختيار
- قيد الشرط بالمشيئة دليل على الأهلية والاختيار وهو تكريم يثبت به ما لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من مكانة وقدر ـ وللمرأة المسلمة عامة ـ التي

---

(١)المفهم، للقرطبي (٣/ ٣٥٣)
(٢)مسند أحمد سبق تخريجه
(٣)عمدة القارئ ، للعيني (١٠/ ٤٤)

جعلها رسول الله ﷺ ـ وهو خير البشر ـ أهلاً للمشورة والإختيار، وأهلاً للالتزام بما اختارت مما لا يخالف أحكام الشرع .

إن هذا الرقي الذي اتسم به خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم للمرأة مما تسعى الدراسة جاهدة لتحصيله والوقوف على مكنون أسراره ،هو السبيل الذي تتهيأ به القلوب لقبول شرع الله وتطبيق أحكامه ،فأين دعاة المرأة من ذلك، بل وأين هي المرأة من هذا النبع النمير الصافي تعجب له ،تستقصي دقائقه وتجمع شوارده، لتستعذب ما استعذبته المسلمات الأوائل في زمن العزة والتمكين ، فتقبل كما أقبلن ،وتسمو كما سمون.

- حذف المفعول به في فعل المشيئة لدلالة جواب الشرط عليه وهو مضطرد كثير والتقدير "أن شئت أن أسبع لك سبعت " ولذلك فائدة بلاغية هي من جانب إيجاز يقتضيه المقام ، ومن جانب أخر من باب الإيضاح بعد الإبهام فيكون أكثر وقعاً وأبلغ أثراً في النفس.
- أسلوب الشرط يجعل المتقدم طريقا إلى المتأخر أولى بالنظر والعناية ،والمتقدم في الخطاب تسبيع الإقامة حيث كانت من مطلبها فبدأ بها
- في "سبعت" عدول عن المضارع إلى المضي للتأكيد .

"وإن سبعت لك سبعت لنسائي "

- بناء الشرط على الشرط، في "أن شئت سبعت" وان سبعت لك سبعت" فلم يقل مثلاً " سبعت لك وسبعت لنسائي"
- "سبعت لك، سبعت لنسائي" إطناب موافق للمقام لبيان طول المدة وتنبيه للحس إلى ثقل وطأتها ، الذي لن يكون من الصالح في شيئ ، فقد كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم من الزوجات في ذلك الحين ثلاثاً ، سودة وعائشة وحفصة رضوان الله عليهن [١]فلو أنها اختارت ان يسبع وسبع لهن لما كانت عودته قبل واحدً وعشرين يوماً ،وهو زمن طويل جداً.
- التعبير بقوله " نسائي" دون أزواجي ، لأن النساء أعم وأشمل، فيدخل فيها الحرة والأمة ،وقد أدرك العلماء باستقراء النصوص المواضع التي يطلق فيها مسمى الزوج على المرأة في القرآن الكريم([٢])
- ثم نلحظ أخيراً الطي والإيجاز ، حيث لم يذكر لنا ما اختارت ، وفيه اشارة إلى وجوب تسليط الضوء على بلاغة رسول الله ﷺ في إيصال المعنى المراد .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

(١)عمدة القارئ ، للعيني (٥/٢٥٠)
(٢) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ، بنت الشاطئ(٢١٢)

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في" عِنْدَهَا ، إِنَّهُ ، بِكِ ، أَهْلِكِ ، شِئْت ، سَبَّعْتُ لَكِ ، لِنِسَائِى "
وجاء العطف في موضعٍ من عطف الجمل في " وَإِنْ سَبَّعْتُ "
والتوكيد في " أَنَّ رَسُولَ ، إِنَّهُ لَيْسَ"
ومنها التكرار في " سبعت ، سبعت، سبعت" وتكرار الشرط في " إِنْ شِئْتِ، وَإِنْ سَبَّعْتُ "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البلاغي في الخطاب هو أسلوب الشرط المقترن بالمشيئة للتخيير ، وهو أسلوب له أثره في الإقناع ، وقد جاء أسلوب النفي مهيئاً للإقناع بعد أن نفى عن المخاطبة ماكانت تخاف وتخشى ، كما أن لتأكيد الفعل بالعدول عن المضارع إلى الماضي لإثبات تحقق حدوثه أثر كبير في إقناع المتلقي وكذلك التكرار للفعل كلها عوامل تكاتفت لإبراز معنى التخيير ، عن رضى وقناعة .
وقد جاءت الألفاظ غاية في الوضوح والدقة في الدلالة على المعنى المراد كما في كلمة " هون " بمعنى الذل والتحقير .
وقد خلا الخطاب من التصوير والمحسنات البديعية
أما المعاني فهي كما هو ثابت في الخطاب النبوي للمرأة المسلمة معاني اسلامية، تتميز بالرفعة والسمو والشرف ،و تلامس حياة المرأة المسلمة وواقعها المعاش وهي هنا في علاقتها مع الزوج وحقوقها الزوجية .

١٨. الورع عن الدخول بغير إذن الزوج

عن عَائِشَةُ دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- وَعِنْدِى رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِى وَجْهِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ أَخِى مِنَ الرَّضَاعَةِ. قَالَتْ فَقَالَ « انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي نقلت عنها أكثر من رواية في جواز رضاعة الكبير ، تروي لنا موقفاً لرسول الله صلى الله عليه و سلم جاء مغايراً في شان الرضاعة نفسه ، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم بيته فوجد رجلا جالساً " لم يُذر اسمه وقيل بالتخمين هو ابن أبي القعيس " [١]" فقال ياعائشة من هذا "[٢]فلما ذكرت له مالم يكن يعلم من شأن رضاعتهما ، طلب منها التثبت من نوع الرضاعة أن كانت مما تثبت به الحرمة أم لا .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الورع في الدخول بغير إذن الزوج ووجوب التحقق من "صحة الرضاعة ووقتها فإنما تثبت الحرمة إذا وقعت على شرطها وفي وقتها "[٣] ومن أهم شروطها أن تسد الجوع وتنبت اللحم .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: الجُوع: اسم للمَخْمَصةِ، وهو نَقِيضُ الشِّبَع، والفعل جاعَ يَجُوعُ جَوْعاً وجَوْعةً ومَجاعةً[٤]، والجوع من المشيئة الملزمة وقد وقفت على شيئ من ذلك عند ابن جني في خصائصه حيث جعل الجوع والمشيئة مما تقاربت حروفه لتقارب معانيه فيقال جاع يجوع وشاء يشاء والجائع مريد للطعام لا محالة والإرادة هي المشيئة فذاك من " ج و ع " وهذا من " ش ي أ " والجيم أخت الشين والواو أخت الياء والعين أخت الهمزة.[٥]

❧ ❧ ❧

---

(١)عمدة القارئ ، للعيني (٢٩/ ٢٤٦)
(٢)صحيح البخاري سبق تخريجه
(٣)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني (٢٩/ ٢٤٦
(٤)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ج.و.ع)
(٥)ينظر : الخصائص ، لابن جني (٢٥٨)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" وَعِنْدِى رَجُلٌ قَاعِدٌ "

التنكير في "رجل" والإفراد للجنس وهو مايهم ذكره في السياق، كما جاء في قوله تعالى" وَجاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى " يس ٢٠ وهذا الرجل على هذه الهيئة في بيت النبوة ،هو ما أثار حفيظة رسول الله صلى الله عليه و سلم وأشعل أوار الغيرة في نفسه الطاهرة الشريفة ،والغيرة صفة من صفاته صلى الله عليه و سلم فقد ثبت عنه مخاطباً سعد بن عبادة عندما قال : " يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلاً لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّى آتِىَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « نَعَمْ ». قَالَ كَلاَّ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ كُنْتُ لأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « اسمعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ إِنَّهُ لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّى ».

" فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِى وَجْهِهِ " فقد كان الأمر عظيماً وذلك بدلالة " اسم الإشارة ذلك " للتعظيم والتفخيم

وفي "رأيت الغضب في وجهه "مجاز مرسل لأن الذي يُرى في الوجه هو علامات الغضب ، والمجاز علاقته السببية فالغضب سبب ظهوره تلك العلامات وهي دقة في الوصف في بيان السيدة عائشة رضي الله عنها .

"إِنَّهُ أَخِى مِنَ الرَّضَاعَةِ" جملة خبرية مؤكدة والمخاطب وهورسول الله صلى الله عليه و سلم يحتاج إلى هذا الضرب من التاكيد بعد أن كان الغضب على وجهه إشارة إلى إنكاره وجود ذلك الرجل في بيته .

"انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ "

- انشاء طلبي أمر ، أي تحققن و تثبتن في صحة الأخوة في الرَّضاعة ، يبين أن الرضاعة على أنواع منها ما لا يوجب له حرمة ولا تثبت به حقوق ولا يعد من الاخوة في شيئ ،ومنها ما وافق الثابت من الشروط في كتاب الله وهدي نبيه فكان حقيقا في الرضاعة
- والجملة كلها إيجاز قصر فلم تحدد شروط الرضاعة المحرمة لا مقدار الارتضاع ولا زمنه

"فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ"

- "فَإِنَّما " الفاء سببية واقعة في جواب الطلب غير عاطفة(١)يقول ابن حجر" قوله فإنما الرضاعة من المجاعة فيه تعليل الباعث على إمعان النظر والفكر لأن الرضاعة تثبت النسب وتجعل الرضيع محرما "
- أسلوب قصر "بإنما" صفة على موصوف قصر إضافي إدعائي ، قصر تعيين لمن كان يظن أن الرضاعة تجزأ في حال المجاعة وعدمها فتعين إحدى الحاليتن وهو كونها لا تصح إلا في حال سد الجوع في الصغر
- " الرضاعة " "ال " العهدية أي الرضاعة المعهودة والمعروفة لدى المخاطبة " حيث يكون الرضيع طفلا لسد اللبن جوعته لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير جزءاً من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها"(٢)
- في جعل الجوع سبباً أصيلاً في الرضاعة معنى دقيق ،يحسن الوقف عنده ، لعل المراد به أن ما كان يقع من الرضاع في ذلك الزمان سببه ما كان يصاب الناس به من الجوع، فيرضع بعض النساء أبناء بعض، تحقيقًا للتكافل الاجتماعي، ولم يكن القصد منه إنشاء علاقات أسريه ولما كثر الطعام قل الإرضاع (٣) ومن هنا يمكنني القول بان إتخاذ الرضاعة حجة لخلق علاقات اسرية ،ليس أصلا يحتذى، بل الأصل أن يكون هدفها سد حاجة الطفل إلى الطعام، وهو في زماننا يكاد لا يوجد إلا في القرى .
- بين اللفظتين "رضاعة ومجاعة " طباق إيجاب غير متكلف.

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " عَلَيَّ ،عِنْدِي ،عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ ،وَجْهِهِ ،فَقُلْتُ ،إِنَّهُ ،إِخْوَتَكُنَّ "

والإحالة بالإشارة في " اشْتَدَّ ذَلِكَ "

وجاء العطف في " وَعِنْدِي ، فَاشْتَدَّ، وَرَأَيْتُ، فَقُلْتُ، فَقَالَ"

ومنها التكرار في " مِنَ الرَّضَاعَةِ ، مِنَ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ "

والتوكيد في " إِنَّهُ أَخِي ، إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ "

الطباق بين " الرَّضَاعَةُ ، الْمَجَاعَةِ "

❧ ❧ ❧

---

(١) الفاء وقعت "حواباً لازمة للسببية " وإذا كانت جواباً لفعل أمر بغير لام فهو مبني عند البصريين معرب مجزوم عند الكوفيين ، ويجوز فيما بعدها الرفع على الاستئناف والنصب على الجواب " ولا يجوز العطف لأنه ليس ثمة ما يعطف عليه "ينظر : رصف المباني ، للمالقي (٣٧٩ـ ٣٨١)

(٢)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٩/ ١٤٨)

(٣) وهو رأي أشار إليه شيخي الفاضل د. محمود توفيق .

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على القصر بإنما وماله من دلالة التوكيد والتخصيص وقد سبق بأسلوب أمر في إيجاز قصر بليغ مناسب للمقام .

ثم جاء الطباق والجناس في مجاعة ورضاعة ليحدث نوعاً من الجرس يساعد على تقرير المعنى في الذهن ، هذا وقد خلا الخطاب من عنصر التشبيه والتصوير ، كما أن المعاني اتسمت بالقرب والمناولة وملامسة واقع المرأة وما يكون فيها من أحداث ، والنظر إليها بمنظور إسلامي يتوافق مع الأحكام التشريعية .

١٩. سماحة الإسلام في الإذن بالإشتراط في الحج لمن خشي التقصير

عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ دَخَلَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أُرِيدُ الْحَجَّ وَأَنَا شَاكِيَةٌ. فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « حُجِّى وَاشْتَرِطِى أَنَّ مَحِلِّى حَيْثُ حَبَسْتَنِى ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : ضباعة بنت عم رسول الله صلى الله عليه و سلم(١) ارادت الحج وكانت تشكو مرضاً لم ترد صفته في مختلف طرق الحديث فامتنعت عن الحج، فأرشدها رسول الله ﷺ إلى الاشتراط للتحلل من الإحرام عند الحاجة.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : سماحة الإسلام في إباحة اشْتِرَاطِ الْمُحْرِمِ رجلا كان ام امرأة التَّحَلُّلَ من العمرة دون تمامها بِعُذْرِ الْمَرَضِ وَنَحْوِهِ (٢)

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب:

يا رسول الله!" ، النداء للتعظيم "إني أريد الحج" والتوكيد للإثبات ،وأنا شاكية ،الواو حالية ، وشاكية اسم فاعل من الشكاية والعلة واسم الفاعل فيه معنى الحدوث والتجدد وليس كالصفة المشبهة التي تدل على الديمومة والثبوت(٣)، غير أن الصفة جاءت في رواية بقولها " ما أجدني إلا وجعة " (٤)وهو صفة مشبهة أي ذات وجع على وزن فعِل(٥)ومنه قوله تعالى :"إنه لفرح فخور "هود ١٠
وصيغة فعل في اللغة العربية ، صيغة مبالغة أي شديد الفرح، للتكثير (٦)وكذا شديد الوجع.

---

(١)ينظر : المنهاج ، للنووي (٢/ ١١٢)
(٢)ينظر : السابق(٢/ ١١١)
(٣)ينظر : شرح الكافية ، للرضي (٣/ ٤٣١)
(٤)صحيح مسلم سبق تخريجه
(٥) ينظر : شرح الكافية ، للرضي (٣/ ٤٣١)
(٦)ينظر : المقتضب للمبرد (٨٨/١)

وقد جاءت الجملة الحالية جملة أسمية لتدل على الثبوت في" انا شاكية" و " إني وجعة " دلالة على أن ما أصابها كان مستمرا على حال واحد .

"حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني"

- أمران متعاطفان " حجي واشترطي" والأمر هنا ندب لغير المستطيع وليس على وجه الوجوب .
- فيه إيجاز حذف والتقدير " قدمي نية الحج وحجي" وفيه أيضاً إيجاز قصر في قوله "واشترطي" أي اجعلي قبل حجك شرطاً للتحلل من الإحرام إذا خشيتِ التقصير في إتمام الحج .
- تقديم فعل الحج والنية لادائه على فعل الإشتراط مع كون الإشتراط يسبقه في الأداء كمن يقول لمن يعتذر عن الحضور بسبب بعد المسافة احضر ، واركب السيارة في الطريق ، بتقديم ما حقه التأخير لغرض بلاغي، وتظهر قيمة التقديم البلاغية في تأكيد وجوب الحج للقادرعليه وقد خشي التقصير فيه غير متيقن .
- في ذكر الفاعل الضمير في " حبستني " فلم يرد " حُبست " مبنياً لغير فاعله مزيد مزية لأن به إشارة إلى الفاعل وهو الله عزوجل ، يظهر حسن الإلتجاء إلى اليه والإيمان بأن لا حول ولا قوة إلا به.
- في "حَبسْتَنِي" عدول عن المضارع إلى الماضي فكان كالواقع لتأكيد الإيمان والتوكل في حال حصول ذلك([1])

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :من عوامل السبك

الإحالة إلى الضمائرفي " إِنِّى ، وَأَنَا ، حُجِّى ، مَحِلِّى ، وَاشْتَرِطِى ، حَبَسْتَنِى "
وجاء من العوامل العطف في " فَقَالَتْ، فَقَالَ، وَاشْتَرِطِى "
والتوكيد في " إِنِّى أُرِيدُ ، أَنَّ مَحِلِّى "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١) وجاء اللفظ مختلفاً في رواية « حُجِّى وَاشْتَرِطِى إِنَّ مَحِلِّى حَيْثُ تَحْبِسُنِى » سنن النسائي سبق تخريجه ، بالمضارع على مقتضى الظاهر.

أساس بلاغة الخطاب الإيجاز البليغ ، بالحذف أو بالقصر متضمناً الأمر الطلبي وهو مناسب للمقام من حيث الزمان وهو الحج ومن حيث حالة المخاطبة وهي التشكي والوجع وكذلك جاءت الألفاظ غاية في الوضوح .

وقد خلا الخطاب من عناصر التصوير والزخرف اللفظي ، وجاءت المعاني مناسبة لحاجة المرأة المسلمة مما يذلل أمامها الصعاب ويعينها في أداء الفرائض.

٢٠. الدعوة إلى الإنفاق

عَنْ اسماء قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « انْفَحِى - أَوِ انْضَحِى أَوْ أَنْفِقِى - وَلاَ تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَلاَ تُوعِى فَيُوعِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : السخاء في البذل والإنفاق مما ندب إليه الشارع الحكيم وفي هذا الخطاب يوجه رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة إلى المبادرة إلى العطاء والحرص على الصدقات دون حد أوعد ، وفيه أن اسماء بنت أبي بكر سألت رسول الله عن الصدقة و ذكرت أنه ليس لها من المال من شيئ إلا ما أدخله عليها زوجها عبد الله بن الزبير وصار ملكاً لها فأمرها بالصدقة من ذلك المال[١] وزادعليه أن بين لها عاقبة الشح وأثر الإمساك و الامتناع عن الصدقة .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الأمر بالصدقة مما يخص المرأة من مال لأن الصدقة تنمي المال وتكون سببا إلى البركة والزيادة فيه، وفي مقابل ذلك كان النهي عن منع الصدقة خشية النفاد فإنه من أعظم الأسباب لقطع مادة البركة عن المال [٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: النَّفحُ: الضربُ والرمي ، والنَّفْحةُ دُفْعَةُ الريح ، وله نَفْحة طيبة ونفْحة خبيثة ، والنَّفْحةُ ما أَصابك من دُفْعَة البرد و نَفَحَ الطِّيبُ أَرِجَ وفاحَ [٣] وانتشر في الأرجاء.

والنضح : أصلٌ يدلُّ على شيءٍ يُنْدَى، وماء يُرش. فالنَّضْح: رشُّ الماء يقال لكلِّ ما رقَّ: نَضْحٌ لأنَّ الرَّشَّ رقيق. يقال: نَضَحت البيتَ بالماء. ونَضح جِلدُه بالعرَق[٤]

الوَعْيُ حِفْظ القلبِ الشيءَ ووَعى الشيءَ في الوعاء وأَوْعاه جَمَعَه في وعاء[٥]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)ينظر : عمدة القاري ، للعيني (٢٠ / ١٢٣)
(٢)ينظر : تحفة الأحوذي - المباركفوري (٦ / ٨٠)
(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ن.ف.ح)
(٤)ينظر : معجم مقاييس اللغة ، لأحمد ابن فارس مادة(ن.ض.ح)
(٥)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (و.ع.ي)

"انفحي أو انضحي "

- أفعال أمر ندب إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة المسلمة ودعاها إلى تأمل مقاصدها لتدرك من خلالها ما ينبغي أن يكون عليه العطاء .
- الدقة في اختيار اللفظة الدالة ، فجاءت كلمة "النضح" ، وليس "الرش" لما لها من جرس وإيقاع ، و دلالة تتناسب مع السياق فكلمة " رش " للماء و التي هي من نظائر كلمة "نضح" قل ورودها في البيان النبوي بالقياس إلى كلمة " نضح ففي حين وردت كلمة " نضح في أكثر من سبعين موضعاً(١) نجد لفظة " رش " قد وردت في ثلاثة مواضع فقط ، منها ماجاء في ذكر أهوال يوم القيامة « يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِى قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الشَّىْءِ فِى السَّيْلِ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى يُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا " وفي رواية « سَيَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا وَكَانُوا مِثْلَ الْحُمَمِ ثُمَّ لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْغُثَاءِ فِى السَّيْلِ ». (٢)فظاهر في النص أن "الرش" في سياقه أبلغ من " النضح " لما في الرش من الكثرة والمبالغة والتكرار ما لا يتحقق بالنضح ، كما أن النضح يلزمه احتشاد وقوة ليست ملائكة الله بحاجة لها .

ومما جاءت فيه لفظة " النضح " مما يعنى به المرأة والرجل ، وقد تجلت فيه أهمية تناسب مدلول اللفظة مع السياق ، ما ورد عن نضح الماء من الزوجين أحدهما على الأخر لإدراك صلاة الوتر ، قال صلى الله عليه و سلم « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِى وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِى وَجْهِهِ الْمَاءَ »(٣)فإن السياق سياق ندب وتناصح واحسان فكان النضح فيه أولى من الرش(٤) وهذا فرق بين اللفظتين في سياقاتها المختلفة حقيق بتأمل الباحث والوقوف عنده.

- براعة التصوير حيث شُبه العطاء بالنفح ، " ومعنى انفحي وانضحي اعطي والنفح والنضح العطاء ويطلق النضح أيضا على الصب فلعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح "(٥) ولكن الكلام هنا مبني على المبالغة في المشابهة

---

(١)ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي المؤلف: أ. ي. فنسنك (٤٦٩-٤٧٢)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي مكتبة بريل سنه ١٩٣٦

(٢)مسند احمد[١١٨٧٣]

(٣)أخرجه ابن داود في سننه ، في الصلاة [١١١٣]

(٤)ورد الحديث بعدة روايات بالفعل " نضح" كما ورد في رواية بالفعل " رش" عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنها قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ" رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ رَشَّ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَها فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى رَشَّتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ »رواه ابن ماجة

(٥)ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، يحيى بن شرف(٧/ ١١٨)

- استعارة مكنية فقد شبه العطاء بنفحات سريعة باردة تنفح وتنضح المحتاج " كما تنفح الرياح هبوبها ، وتنضح السحابة شؤبوبها "[1] وحذف المشبه به وهو العطاء فيكون في كلا التعبيرين قيمة بلاغية تبرز في نقل المعاني المجردة المعنوية إلى عالم المحسوس.
- الجرس غير المتكلف بين انفحي وانضحي وهوجناس متوسط ،ولأنه جاء في حرفين متباعدين في المخارج "الفاء والضاد" يسمى جناسًا لاحقاً [2]

« وَلاَ تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَلاَ تُوعِى فَيُوعِىَ اللَّهُ عَلَيْكِ »

- النهي أمر بترك الفعل ، جاء على غير الظاهر فخرج إلى معنى النصح والتوجيه والتحذير و" الحث على النفقة في الطاعة والنهي عن الامساك والبخل "[3]
- "ولا تحصي" الإحصاء معرفة المقدار بوزنه وعده[4] " وقيل معنى لا تحصي أي لا تعديه فتستكثريه"[5] " وقيل المراد بالإحصاء عد الشيء لأن يدخر ولا ينفق منه " [6] و في الأسلوب مجاز مرسل للسببية ، فليس مقصود النهي عن معرفة مقدار المال ووزنه أو النهي عن حفظه في وعاء أو في أي وسيلة من وسائل الحفظ المتعددة في وقتنا الحاضر، وإنما المقصود نهي من يفعل ذلك مبالغة في الحرص ونفوراً من العطاء ،وخوفاً من نفاذ المال " مجاز عن التضييق لأن العد ملزومه "[7] وعن طريق المجاز تبين أنه قد نُهى عن الفعل والمقصود سببه .
- " لا تحصي ولا توعي " الأسلوب كناية عن صفة[8] وهي الزيادة في الحرص المفضي بالضرورة إلى المنع والبخل.
- "فيحصي الله عليك" الفاء واقعة في جواب شرط [9]محذوف مع أداته والتقدير "فإن تحصي يحصي الله عليك " وحذف الشرط إيجاز ، لفائدة بلاغية وهي

---

(١)المجازات النبوية، للشريف الرضي (٢٤٣)
(٢)ينظر : الإيضاح ، القز ويني (١٢٢)
(٣)ينظر : المنهاج ، للنووي، (٧ /١١٩)
(٤)ينظر : فتح الملهم ، للعثماني (٨ / ٩٩)
(٥)ينظر : المنهاج ،للنووي (٧ /١١٩)
(٦)ينظر : تحفة الأحوذي - المباركفوري (٦ / ٨٠)
(٧)ينظر : فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، للمناوي (٣ / ٨٠)
(٨)الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القز ويني (١٠٦)
(٩)وتوما يسمى جواب الطلب وتكون الفاء فيه بمعنى السببية و "إن مقدرة بعد الأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض، إذا قصد السببية، مثل: أسلم تدخل الجنة، ولا تكفر تدخل الجنة " ينظر : شرح الرضي على كافية ابن حاجب (٤ / ١١٧)

كراهة ذكره او القيام به ، وكذلك في " لا توعي " حذف الجواب والتقدير " فإن توعي ".

- وحذف متعلق الافعال " انضحي ،وانفحي و ،انفقي ، ولا تحصي " وهو المفعول به في هذا الموضع فيه من المزية والحسن ما لا يخفى فهو يدل على طلب التعميم والشمول وهو ما يتناسب مع الطلب في الخطاب الذي يدعو إلى الانفاق ابتداء ،وذلك في مقابل إثبات الفاعل "الله "لفظ الجلالة في " يحصي الله ويوعي الله "للتهديد والتهويل لو بُني الفعل لغير فاعله لما احدث الأثر نفسه في المخاطب.
- بين لا تحصي فيحصي الله ، و لا توعي فيوعي الله ، طباق سلب [١]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في ياء المخاطبة في " انْفِحِى ، انْضَحِى ، أَنْفِقِى ، تُحْصِى ، تُوعِى "
التكرار في " عَلَيْكِ ، عَلَيْكِ "
الربط بحروف العطف " أو ، و الفاء الواقعة في جواب الشرط"
والتضاد والطباق نوع من عوامل الربط والحبك في الخطاب جاء في "لاَ تُحْصِى فَيُحْصِىَ ، وَلاَ تُوعِى فَيُوعِىَ " .

ب)تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على عنصري البيان والبديع فقد جاءت الإستعارة في انفحي ، والمجاز في لا تحصي ، و الكناية عن الحرص والخوف من نفاذ المال في لا توعي ولا تحصي كماجاءت المقابلة بين الجمل لإحداث نوع من الجرس غير المتكلف
والخطاب برمته يعد نموذجاً للإيجاز البليغ فقد تعددت مواطن إيجاز الحذف ، كما حذف الشرط في " فيحصي فيوعي " ، و حذف المفعول في انفقي ، انضحي ، انفحي
وقد تميزت الألفاظ بالسهولة والوضوح والدقة في أداء المعنى المراد
وقد اتسمت المعاني بالأصالة فهي نابعة من جوهر البيان النبوي ، إسلامية تدعو إلى السمو والرفعة، واقعية إجتماعية تحث المرأة على البذل والعطاء والبعد عن الإمساك والبخل

(١)طباق السلب وهو الجمع بين فعلين بمصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي" ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القز ويني (١١٠)

٢١. أسباب دخول النساء النار

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الإِسْتِغْفَارَ فَإِنِّى رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ مِنْكُنَّ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ « أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِى مَا تُصَلِّى وَتُفْطِرُ فِى رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ »

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم عيد ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة وكثرة الإستغفار[١] لما علمه صلى الله عليه و سلم من انهن أكثر الناس في النار، فاستعظمت النساء ذلك وقامت احداهن تسأل عن سبب ذلك ، وكلٌ مقارف ذنب تارة ومجانبه ، فذكر لها من المعاصي والاثام ما اختصت به النساء من دون الرجال ما جعلهن أكثر اهل النار وجعل نجاتهن في الصدقة والاستنغفار.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : الحث على الصدقة وأفعال البر وأن الحسنات يذهبن السيئات[٢]، والتحذيير والترهيب من النار وما يوجب دخولها من معاصٍ اختصت بها النساء

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: العشرةُ والمعاشرة: المخالطة والمداخَلة ، وإنّما سمّيت عَشيرة الرّجُل لمعاشرةِ بعضهم بعضاً، حتَّى الزّوجُ عشيرُ امرأتِه ، و المَعْشَرُ كل جماعة أمرُهم واحد نحو مَعْشر المسلمين ومَعْشَر المشركين والجن معشر والإنس معشر [٣]

والجَزِيل: العَظِيم ، وعطاء جَزْلٌ وجَزِيل إذا كان كثيراً ، الجَزَالة : جَوْدَةَ الرأي ، واللفظ الجَزْل: خلاف الرَّكِيك. ورَجُل جَزْل: ثَقِفٌ عاقل أَصيل الرَّأْي [٤]

---

(١)ينظر : إحكام الأحكام ، لابن دقيق (١/ ٢٣٢)
(٢)ينظر : المنهاج الحجاج ، للنووي، (٢/ ٦٦)
(٣)ينظر : معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس(ع.ش.ر)
(٤)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ج..ز.ل)

لُبُّ كلِّ شيءٍ، ولُبابُه: خالِصُه وخِيارُه، وقد غَلَبَ اللُّبُّ على ما يؤكل داخلُه، ويُرْمى خارجُه من الثَّمر. ولُبُّ الجَوْز واللَّوز، ونحوهما: ما في جَوْفه ، واللُّبُّ: العَقْلُ، والجمع أَلبابٌ وأَلْـبُبٌ "(١)

" والشَّهادَة خَبرٌ قاطعٌ تقولُ منه: شَهِدَ الرجلُ على كذا، . والمُشاهَدَةُ: المعاينة. وشَهِدَه أَي حَضَره، وقَوْم شُهُود أَي حُضور ، و الشهادة اليمين (٢)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاِسْتِغْفَار"

- النداء للتنبيه و المعشر الجمع المختلط يطلق على الرجال والإناث.
- تقدم ذكر الصدقة على الاستغفار لأهميتها ، ثم اقرن الاستغفار بالإكثار لأنه ذكر باللسان متيسر .

إِنِّى رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار"

- جملة خبرية و "إني" توكيد من المتكلم لان الخبر مما يتردد في قبوله لهوله وعظم شأنه
- تقديم جملة الطلب " تصدقن " على جملة الخبر مراعاة لحال المخاطب ـ او المخاطبات ـ وإشفاقاً بهن
- "النار" وردت بأشهر اسمانها ، لما له من ترهيب وتثقيف نفسي يفيد التحذير والتعريف "بال "العهدية لأنها النار على صفتها المعهودة ، وما هو عنها بالحديث المرجم .[٣]
- "أهل النار"

"فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ " والجزالة التعقل والوقار والحكمة(٤)وما أدل سُؤلها عليها.

"وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" الواو للاستئناف ، وتكرار جملة رسول الله صلى الله عليه و سلم " أكثر أهل النار" للاهتمام و التأكيد.

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ل.ب.ب)

(٢)ينظر : السابق مادة (ش.ه.د)

٣)يقول امرؤ القيس:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم

(٤)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٩/ ٣٣)

" تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ "

- "تُكْثِرْنَ اللعن "من المشاكلة اللفظية ، فكما تكثرن اللعن والسباب أكثرن الاستغفار وكلاهما مفوض بالمنطق قال صاحب فتح الملهم "كأن اكثار اللعن خرج في معرض التعليل لقوله ﷺ (وأكثرن الاستغفار) فصدور نفس اللعن المحرم يقتضي نفس الاستغفار من اللاعن وإكثاره إكثاره "[١] وهو أول الأسباب
- "وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ" الكَفْرُ الغطاء والستر[٢] وهو مجاز مرسل علاقته المسببية ، والأصل كفر إحسان العشير وإنعامه جحوداً و إنكاراً ، فجعل الجحود والإنكار لإحسان العشير وإنعامه كفراً لانه متسبب عنه .
- والعشير المخالط والمراد الزوج [٣] و"ال" العهدية ، وفي وصفه بالعشير مبالغة في الخصوصية ودقة في التعبير تلفت إلى ما تلزمه من حقوق زيادة على غيره من الناس ، وهذا هو السبب الثاني
- وبين أكثر ، أكثرن ، تكثرن جناس اشتقاق

"وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ "اما ثالث الأسباب فهو الفتنة الحاصلة في غلبة العقلاء من الرجال فضلا عن غير العقلاء

- النفي "بما" به من لطف الدلالة وغور البيان في :

١. أن "ما" تنفي المضارع والماضي وعند نفي الماضي كما هو حاصل في السياق يكون النفي للماضي القريب من الحال .
٢. أن النفي بما يفيد التوكيد ودليل ذلك اقتران منفيها بمن الإستغراقية المؤكدة كثيراً .
٣. ينفى بما مع الماضي إذا أريد نفي الحدث بصورته المنقضية التامة وليس بصورة التغير والتجدد ،إذا قلت مثلاً " ما استجاب خالد " أفاد النفي في الماضي بصورة تامة أما إذا قلت " لم يستجيب خالد " أفاد النفي بصورة متكررة في الماضي.[٤]

فجاء النفي بما للحال دون الاستقبال ، وهو نفي مؤكد منقطع .

- التنكير في " ناقصات عقل ودين " لنكتة وبديع معنى حيث دل على التقليل وفرق بين" ناقصات عقل ودين "و"ناقصات العقل والدين" ففي حين يعنى

---

(١)ينظر : فتح الملهم، لشبير العثماني (٩/ ٣٣)
(٢)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ع.ش.ر)
(٣)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني(٩ / ٣٣)
(٤)ينظر : معاني النحو ،السامرائي (٤ / ٥٦٨)

بالثاني الشمول والإستغراق في الجنس مشوبا بشيء من الزجر والتبكيت خلا التركيب الاول من كامل هذه المعاني .

- " أغلب " على وزن أفعل ، اسم تفضيل يدل على التكثير[1] من غلبة النساء على الرجال ، مما يعني بالمقابل التقليل من غلبة الرجل للنساء وإن كانت حاصلة .
- عبر بذي لب دون ذي عقل لما في حاق اللفظ من صفات الكمال والمهابة ، وكثيرة هي الآيات التي وصف الله تعالى بها أولي الألباب في كتابه الكريم [2]
- في التنكير مفارقة لازمة فهو "ذو لبٍ " وليس " ذو اللب " وبعض الحسن يدرك ولا يفسر لانه لو كان ممن تكاملت الباب‌هم حق التكامل ما غلب ،وهي درجة من الخصوصية بمكان .فكان التنكير للتقليل على غرار سابقه .
- والوصل بين الجمل بالواو ضرورة اقتضاها السياق فهي جمل متوافقة في الخبر والانشاء لفظاً ومعنىً وما من حاجة للفصل بينها فهي اسباب متلاحقة لشيء واحد
- ضمن الخطاب إطناب و زيادة غير لازمة وهي جملة " ناقصات عقل ودين " قال بعض أهل العلم "هو من الإستتباع زيادة في الجواب "[3] و اظنهم قصدوا به الإدماج وهو تضمين كلام سيق لمعنى معنى آخر[4] متعلق به لأن في الإتباع يكون الكلام المضمن في نفس المعنى وليس فيما يخالفه والله اعلم ، فالاصل أن يصاغ السبب الثالث على نهج سابقيه ، فيقال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ،وتفتن الرجال ، غير أن هذه المفارقة " نقص و غلبة "هي مما يشكل فهمه ويهم أمره فكان الإطناب للتوضيح والبيان
- والتدرج المنطقي في التقديم والتأخير للمعاني سمة بارزة في البيان النبوي ،فالأسباب متسلسلة تسلسلا منطقياً ، فمن معصية باللسان " في اللعان " يؤيدها الجنان "بالنكران " تترجمها الجوارح "بالافتتان " فتكون ثالثة الأثافي.

"أمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ "

---

(١) ينظر : شرح الكافية ، للرضي (٣ / ٤٤٨)
(٢)وردت لفظة " اللب "في بيان النبوة مفردة في هذا الموضع وكان حسنها راجع إلى السياق أما في النظم القرآني فلم ترد بغير صيغة الجمع قال تعالى ﴿ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبابِ ﴾ (الزمر ٢١) وقد بين الرافعي وجوه الحسن في ذلك . ينظر : إعجاز القران الكريم والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي (١٩٠) بيروت ،دار الكتاب العربي . ط٢٠٠٥م ١٤٢٥هـ
(٣)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٦/ ٤٨٤) وفتح الملهم ، شبير العثماني (٥/ ٣٤)
(٤)ينظر : الإيضاح ، للقزويني (٤٠٠)

- المقصود النقص في قلة الضبط [1]وقد اشار فيه إلى ماورد في كتاب الله في شأن شهادة النساء ، وهو نوع من الاقتباس يسمى التلميح من قوله تعالى :" أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى " البقرة٢٨٢
- و في ذكر اسم الإشارة "هذا" من حسن البيان وروعته الكثير فقد وضع المظهر موضع المضمر لإدعاء كمال ظهوره[2]حتى كانه شاخص للعيان ، وأنه مما لا ينبغي التردد في قبوله ، ومع ذلك نجد اختلاف العلماء [3]في تأوِلِ المقصود بنقص العقل الذي قصده رسول الله ﷺ في خطابه يبتغون به وجهاً غير ما ورد في الخطاب .
- وفي تكرار جملة " نُقْصَانُ الْعقْلِ " إطناب بالتكرار لإفادة الإقرار والتوكيد

"تَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ"

- إيجاز القصر ، فلم يبين حكم ماتركت من صوم وصلاة او سبب الترك ، وكون أنه نقص في الدين وهي فيه مسيرة لا مخيرة ،وقد افاض أهل العلم بيان ذلك ، ولكن ما يعنينا هنا هو مناسبة الإيجاز للمقام ، وهو الحث على الصدقة والترغيب فيها حتى تجبر مافاتها فإن الحسنات يذهبن السيئات .
- وأيضاً "هذا "وضع للمظهر موضع المضمر
- ومن لطيف معاني التقديم وروعة البيان أن تقدم نقص العقل على نقص الدين ، في ترتيب منطقي فذكر الاهم في السياق وهو نقص العقل ، ثم نقص الدين

وفي معرض البحث عن خيط ينسج دلالات المعاني يلزم الإجابة عن سؤال تطرحه الباحثة فيه من المجاراة للعصر والمجتمع ما فيه .

سؤال لم تتعرض إليه المرأة "الجزلة " فقد سلمت به دون ريب غير أنه مثار جدل نساء هذا العصر من "ناقصات الجزالة "والسؤال هو : إن الرجال يرتكبن الكثير من المعاصي فلماذا تكون النساء أكثر في النار من الرجال .

فيكون جواب السؤال مما دلت عليه معاني الخطاب ، وهو نعم ، إن الرجال يرتكبون الكثير من المعاصي ويشاركون النساء في كثير منها غير أن النساء زدن عليهن بما ورد في هذا الخطاب .

والواقع يؤكد أن هذه الأسباب التي وردت في بيان النبوة هي مما اختصت بكثرته المرأة كماً وكيفاً دون الرجل فكثرة اللعن ، وجحد العشير ،وفتنة الرجال لاتصدر كثيراًعن رجل ،فهو ليس موضعاً للفتنة ، كما أنها ليست مكلفة بالإحسان أوالإنفاق حتى يجحدها ،

---

(١)ينظر : المنهاج ،للنووي(٢ / ٦٨)

(٢)ينظر : الإيضاح ،للخطيب القزويني(١/ ٢٢)

(٣)ينظر : المنهاج ، للنووي (٢ / ٦٨)

ثم هي كثيرة السباب واللعن لشدة عاطفتها وسرعة إنفعالها فتميز النساء بأنواع من المعاصي مع ما يشاركن الرجال فيه جعل عددهن في النار أكثر. أضف إلى ذلك ما يتميز به الرجال من حمل للأمانة وتبليغ الرسالة والنبوة ، من دون النساء ، فإذا عرف ذلك عرف أن الأمر طبيعي وأنه لا ينقص من حق النساء شيئاً وأن الله لا يظلم مثقال ذرة .والله أعلم

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر نون النسوة في " تَصَدَّقْنَ ،أَكْثِرْن، رَأَيْتُكُنَّ ، مِنْهُنَّ، ، تُكْثِرْنَ تَكْفُرْن ، مِنْكُنَّ "ضمير المتكلم في " رَأَيْتُ ، رَأَيْتُكُنَّ ، فَإِنِّى"

والإحالة بالإشارة في " فهذا ، فهذا "

ومن العوامل جاء العطف في "وَأَكْثِرْنَ ،فَإِنِّى، فَقَالَتِ ، وَتَكْفُرْنَ ،وَدِينٍ ،وَتَمْكُثُ ،وَتُفْطِرُ"

ومنها التكرار في " نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ و نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ،و نُقْصَانُ الْعَقْلِ ،و نُقْصَانُ الدِّينِ " وكذلك التكرار في " أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار ، أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " وفي " فَشَهَادَةُ ، شَهَادَةُ "

وجاء التوكيد في " فَإِنِّى رَأَيْتُكُنَّ "

ومنها الربط بالسؤال والجواب في " وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ ، قَالَ : تُكْثِرْنَ ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ، قَالَ : أَمَّا نُقْصَانُ "

ب)تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد الخطاب على الإسناد الخبري المؤكد " إني رأيتكن أكثر أهل النار" وقد تضافرت الأساليب في توكيد هذا الخبر ، ودعم الإسناد

فجاء الإسناد مسبوقاً بأمر طلبي متعلق بالخبر أهل النار وهو ، تصدقن واكثرن الإستغفاروقد أسهم المجاز تكفرن والجناس تكثرن واكثر واكثرن ، لإثبات وتأكيد الإسناد الخبري ، وكذلك أسهم البناء التركيبي في مقابلة التقليل في تنكير ناقصات بالتكثير في اسم التفضيل اغلب مما كان سبباً من أسباب النار

وهكذا نجد أن الألفاظ تميزت بالسهولة والوضوح والبعد عن الغموض

وتميزت المعاني بالأصالة والجدة ، والسمو و الرفعه في الأمر بالحسنات التي تمحو السيئات كما تميزت بالتوازن والواقعية

المبحث الثاني

المجال الخلقي والاجتماعي في الخطاب النبوي للمرأةِ في سياقاتِ التكليفِ المقترن بالتثقيف النفسي

أولا : أحاديث المجال الخلقي والاجتماعي
ثانياً : التحليل البلاغي لنص الخطاب

أولاً : الأحاديث في المجال الخلقي والاجتماعي

٢٢. عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ».(١)وعن ابْنِ هَانِئٍ بِهَذَا الإِسناد وَزَادَ فِى الْحَدِيثِ رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ». ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.(٢)

٢٣. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ « وَعَلَيْكُمْ ». قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ لاَ تَكُونِى فَاحِشَةً ». فَقَالَتْ مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا فَقَالَ « أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِى قَالُوا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ ».(٣)

٢٤. عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول : "يا نساء المسلمات ! لا تحقرن جارة لجارتها. ولو فرسن شاة".(٤)

٢٥. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْتِى قَالَ « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِى بَكْرٍ. قَالَتْ وَاللَّهِ مَا بِى إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِى مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَتْ فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا فَقَالَ « لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أبو بَكْرٍ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ».(٥)

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق [٢٥٩٤] سنن أبي داود كتاب الجهاد باب ماجاء في الهجرة وسكن البدو [٢٤٧٨]، مسند أحمد [٢٥٣٨٦]

(٢) مسلم كتاب البر والصلة و الآداب باب فضل الرفق [٢٥٩٤]، ومسند أحمد [٢٥٣٨٦]

(٣) في مسند أحمد [٢٥٩٢٤]مسلم كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم [٢١٦٥]

(٤)) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب الحث علي الصدقة ولو بقليل[١٠٣٠]وأخرجه البخاري كتاب الأداب باب لا تحقرن جارة لجارتها[٦٠١٧] ، ومسند أحمد[٧٥٩٠]

(٥) في مسند أحمد [٢٥٩١٧]مسلم كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر[٤١٨]النسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء ما ذكر في النساء [٩٢٢٨] بلفظه ،و البخاري كتاب الآذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة [٦٨٢]

٢٦. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ ». قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.[١]

---

(١)) في مسند أحمد[٢٥٥٤٩]مسلم كتاب الاشربه باب في ادخار التمر وغيره من الأقوات للعيال ٢٠٤٦] ابن ماجه كتاب الاطعمه باب التمر [٣٣٢٧] أبو داود كتاب الاطعمه باب في التمر[٣٨٣١] الترمذي أبواب الاطعمه باب ماجاء في استحباب التمر [١٨١٥]

ثانيا : التحليلُ البلاغيُّ لنصِ الخطابِ

٢٢. بيان فضل الرفق

عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ». وعن ابْنِ هَانِئٍ بِهَذَا الإِسناد وَزَادَ فِى الْحَدِيثِ رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَها رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ». ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : لأن أخلاق المسلم ترخي بظلالها على حياته كلها في مختلف تعاملاته ، ليس على نطاق البشر فحسب بل حتى مع البهائم العجماوات ،جاء توجيهه صلى الله عليه و سلم للسيدة عائشة رضي الله عنها إلى حسن التعامل ولين الجانب في كل شيء ، حتى في التعامل مع الحيوان ، وذلك عندما ركبت ناقة لها محرمة لم تركب ولم تذلل فظلت تشتد عليها وتقسو[1] تحاول ترويضها فأمرها أن ترفق بها.

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : فضل الرفق والحث على التخلق به ،وذم العنف وجعل الرفق سبب كل خير، والعنف سبب كل شر [2]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: الرفق : ضد العنف و لِين الجانب ولَطافةُ الفعل [3]

و زَانَهُ : من الزَّينَ وهو أصلٌ صحيح يدلُّ على حُسن الشيء وتحسينه. فالزَّيْن نَقيضُ الشَّيْن. يقال زيَّنت الشيء تزييناً. وأَزْيَنتِ الأرضُ وازدانت، والزَّين: عُرْف الدِّيك. ويُنشدون:كأنَّك دِيكٌ مائلُ الزَّين أعْوَر [4]، ويومُ الزِّينةِ العيدُ [5]، و شَانَهُ نَقيضُ زَانَهُ

❧ ❧ ❧

---

(١)ينظر : فتح الملهم ، شبير العثماني (٥/ ٢٠٤)

(٢)ينظر : المنهاج ، للنووي (١٦/ ١٤٥)

(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ر.ف.ق)

(٤)ينظر : معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس مادة (ز.ا.ن)

(٥)ينظر : لسان العرب مادة (ز،ا.ن)

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

"عليك بالرفق"

- تقدمت الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية
- اسم فعل أمر [1]يفيد طلب الفعل لتأكيد التكليف بمعنى إلزم وتمسك
- ويجوز عليك الرفق او عليك بالرفق ،و " الباء " " باء الجر إنما هي للإلزاق والإختلاط "(٢)
- "الرفق " معرفة " بال " لإفادة الإستغراق في الجنس حتى يشمل الرفق شتى جوانب الحياة ،يظهر في رفق الإنسان بنفسه أولاً ثم يظهر في تعامل البشر مع بعضهم البعض ، كبيراً وصغيراً غنياً وفقيراً رئيساً ومرؤوساً ، وحتى يشمل الرفق تعامل الانسان مع الحيوان .

" إن الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا ينزع من شيء إلاّ شانه "

- الجملة الخبرية مؤكدة بإن جاءت تاكيدا وتذيل علي الجملة الإنشائية التي سبقتها لحاجة السياق ومطابقة حال المخاطبة في تثقيف نفسي يؤكد فضل الرفق وأثره وليس مجرد الحث عليه فقط .

والجملة قد احتوت على كنوز نفيسة في صناعة اللفظ والمعنى ما يحار له السامع من أي شيء يعجب ، ومن ذلك :

- استخدام أسلوب القصر "بلا و إلا " وهو من قصر الموصوف على الصفة " الرفق " قصر إضافي وهو من أساليب التأكيد
- كلمة " نزع " للدلالة على عدم وجود الرفق استعارة تبعية، فقد شبه الرفق بشيئ ينزع وحذف المشبه به وجاء بشيئ من صفاته وهو النزع ، وفي الوصف مبالغة وكأن الأمر من الصعوبه بمكان حتى ليبدو انتزاعاً ونزعاً ،يتعذر القيام به .
- في" زَانَهُ ، شَانَهُ " استعارة مكنية تشخيصية ، فقد جعل الرفق شبه الرفق بشخص يزين ويقبح وحذف المشبه به وجاء بشيء من صفاته وهوالتزيين والتقبيح ، في إشارة إلى أثر الرفق وأهميته في حياة البشر.
- الطباق بين وجود الرفق وعدم وجوده وما يفضي إليه كل من الحالين لتقرير المعنى وتأكيده وكما قيل بضدها تتميز الأشياء والضد يظهر حسنه الضد .

---

(١)ينظر : شرح الكافية ، للرضي (٨٧/٣)
(٢)ينظر : الكتاب ، لسيبويه (١ / ٣٨٦)

- استخدام كلمة "يكون " مقابل كلمة "نزع " في الطباق ، للدلالة على صعوبة حياة البشر دون رفق و كيف أنهم يجنحون إلى الاصعب ويتركون الأيسر مع أن ديننا دين يسر وسهولة .
- الموازنه بين الجملتين من حيث الألفاظ والمعاني
- الجناس بين "زانه و شانه "لإعمال الفكر في الفارق الكبير بين مدلول هاتين اللفظتين ، واجتماع الطباق مع الجناس .
- وكذلك السجع "المتوازي" غير المتكلف في اتفاق الفواصل "زانه و شانه " في الحرف والوزن[١]
- وفي عود الضمير في " زانه وشانه " لطف خفي ،فقد ذكر ما حقه الحذف لإشباع معنى الجمال وتقريره والتلذذ بذكره ، معنىً لم يكن ليتحقق لو أن التركيب جاء بقوله " لا يكون في شيء إلا زان ولا ينزع من شيء إلا شان "
- الخطاب يعد مثلاً في جوامع الكلم لما حواه من إيجاز بليغ ، وهو من إيجاز القصر فبنظرة إلى مدلولات كلمة " شيئ "التي اسندت إلى الرفق نجدها تحمل في طياتها أبعاداً كثيرة لتشمل الرفق في المنطق والمأكل والملبس ، الرفق مع الصغير والكبير ، مع الإنسان والحيوان ، مع المسلم والكافر ، كلمة لا حصر لها في عالم الموجودات ، وكذلك كلمة زانه وشانه هي من الأمور النسبية التي لا يمكن حصرها فالرفق يزين كل شيء وفي نزعه تقبيح ، والتزيين والتقبيح درجات يتفاوت الإحساس بها ليقابل الأول بالرضى والقبول من قبل الجميع ويقابل الأخر بالنفور ويظهر مافي ذلك من بالغ الترغيب في التمسك بالرفق .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " زَانَهُ ، شَانَهُ " والضمير المستتر العائد على الرفق في " يَكُونُ ، يُنْزَعُ " والضمير في " عَلَيْكِ "

ومنها جاء العطف في " لا يَكُونُ وَلاَ يُنْزَعُ "

والتوكيد في " إِنَّ الرِّفْقَ "

ومن العوامل الطباق والتضاد ، جاء في " يَكُونُ ، يُنْزَعُ ، و زَانَهُ ، شَانَهُ "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

(١) ينظر : الطراز ،ليحيى العلوي (٣ / ١٩)

المرتكز البياني في الخطاب هو أسلوب الاستعارة في " ينزع و، زانه وشانه " و التي شخصت الرفق كائناً له حيزٌ في الوجود له أثر بالغ ، مما يوجب النظر إليه والحرص عليه والاهتمام بأمره ، وقد تضمنت الاستعارة ألواناً مكثفة من البديع فجاء الطباق والجناس والسجع في عبارة واحدة ، وهذه الألوان البديعية رغم تنوعها جاءت سهلة متناولة لا غرابة فيها ولا تكلف .

وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والوضوح والبعد عن الابتذال

وقد اتسمت معاني هذا الخطاب بالأصالة والابتكار من جهة والسمو والرفعة من جهة أخرى فهي تدعو إلى الخير والصلاح والخلق القويم ، تدعو إلى ترسيخ فضائل المجتمع .

٢٣. النهي عن الفحش في القول والإغضاء عن الجاهلين

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ « وَعَلَيْكُمْ ». قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ لاَ تَكُونِى فَاحِشَةً ». فَقَالَتْ مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا فَقَالَ « أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِى قَالُوا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ .

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : "أدب عظيم من أدب الإسلام "(١) تمثل في تعامله ﷺ مع هذا الوفد من اليهود الذين قدموا إليه تحمل السنتهم السوء، فيجيبهم بما يتوافق مع عقيدة المسلم وأخلاقه ، وتحتد زوجه عائشة رضي الله عنها نصرة لزوجها فينهاها عن ذلك نصرة للعقيدة والخلق الإسلامي .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : الحث "على الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه "(٢)

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: السام : الموت ، والذام :العيب والكراهة ' يقال أذامتني على كذا ، إذا أكرهتني عليه ، ويقولون كذلك ذأمته أي حقرته (٣)

الفحش ، كلمة تدل على قبح في شيئ وشناعة ، ويقولون كل شيئ جاوز قدره فهو فاحش ، ولا يكون ذلك إلا فيما يكره . وأفحش الرجل إذا قال الفحش (٤)

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

---

(١)ينظر : شرح صحيح البخاري ،لابن بطال(٩ / ٢٢٦)
(٢)ينظر : السابق نفسه
(٣)ينظر : مقاييس اللغة ،لابن فارس مادة (ذ.أ.م)
(٤)ينظر : السابق مادة(ف.ح.ش)

"قَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ " السام ،الموت وهو دعاء اليهود على رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستخدموا الجناس كحيلة لفظية بين لفظتي السلام والسأم
قال :"وَعَلَيْكُمْ" دعا عليهم بمثل ما قالو.
"بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ" الذام والذيم والذم والعيب [1]جاءت السيدة عائشة رضي الله عنها بمثل دعائهم كاملا وزادت عليه ، اعتقاداً منها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتنبه لقولهم .
"يَا عَائِشَةُ لاَ تَكُونِى فَاحِشَةً"
الأسلوب إنشاء طلبي : نهي عن الفُحْشُ بمعنى الزيادة والكثرة والتعذي في القول والجواب، وهي من صفات الأقوال لا من صفات الذوات واطلاقها على الذات مجازاً، للمبالغة في التنفير، وتقبيحاً للصفة وتثقيفاً تفسياً للترهيب من الصفة ، كيف وقد وردت اسم فاعل فكانما اصبحت لازمة من لوازم الذات المطلقة عليه .

"أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِى قَالُوا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ " استفهام تعجبي تقريري ،وقد دل على ذلك اقتران الواو بألف الاستفهام في "أوليس "([2])يتعجب من صنعها رضي الله عنها وتوهمها عدم اصغائه لمقالتهم ، دليلا على أنه قد تعمد الإغفاء عما يستقبح من القول وذلك من عظيم أدبه وحسن أخلاقه صلى الله عليه و سلم ، ثم جاء الإيضاح والبيان بقوله :"قلت وعليكم" بالتكرار " لزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكتمل تلقي الكلام بالقبول "[3]موضحاً لأم المؤمنين رضي الله عنها خطأ ما توهمت ،وللفصل بين الجملتين بليغ حسن فكانت الثانية بمثابة البيان لما أبهم في الجملة الأولى وإيضاحا لها فلم يوصل بينهما بعاطفٍ وهو من كمال الاتصال .[4]

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائرللجماعة في" وَعَلَيْكُمْ ، عَلَيْهِمُ ، قَالُوا "وللمتكلم في " رَدَدْتُ ، قُلْتُ " وللمخاطبة في " تَكُونِى "
والإحالة بالموصولية في " مَا قَالُوا ،الَّذِى قَالُوا "
التكرار في " وَعَلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ "و في " السَّامُ عَلَيْكَ ، عَلَيْكُمُ السَّامُ "

---

(١)ينظر : تكملة فتح الملهم ، محمد تقيّ (٤ /١٤٩)
(٢) تدخل ألف الاستفهام على الواو فتفيد الاستفهام مع الإنكار أو التقرير أو التعجب ، ينظر : المقتضب ، للمبرد (٢٠٠)
(٣)ينظر : الكليات ، للكفوي.(٢٦٨)
(٤)ينظر : الإيضاح ،للقزويني (١٧١)

الربط بين السؤال والجواب في " مَا سَمِعْتَ ، فَقَالَ : أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ "

ب. تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

المرتكز البياني المجاز في قوله " فاحشة " وهو ما دعم الحوار ودعى إلى النفور من الصفه والتساءل حولها ، وقد سبق بأسلوب طلبي بالنفي ، ثم جاء التكرار لتأكيد المعنى وتقريره

وقد جاء الخطاب سهلا واضحا خالياً من ألوان البديع غير ماجاء في كلمتي " السام ، والذام " من جناس ناقص ، كما اتسمت المعاني بالوضوح والسهولة والسمو والرفعة في الدعوة إلى التسامح وحسن الخلق

٢٤. فضل الهبة والتواصل مع الجار.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ ».

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب : في دعوة للعطاء والبذل و حسن الخلق يوجه رسول الله خطابه إلى المراة المسلمة تستعين به في التعامل مع جاراتها .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : الهبة وبيان فضلها والحث والإغراء والتحريض عليها وأن التحريض على الخير إلى أحد ولو كان بالشيء الحقير داخل في معنى الهبة [(١)]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُ: " الفِرْسن: عَظْم قليل اللحم، وهو خُفت البعير كالحافر للدابة ، وقد يستعار للشَّاة فيقال فِرْسِن شاة، والذي للشّاة هو الظِّلْف، قال ابن سيده: الفِرْسن طَرف خُفّ البعير"[٢]

"الحقر " استصغارُ الشيء. يقال شيءٌ حقير، أي صغير[٣] ، والحَقْرُ في كل المعاني الذِّلَّة وكذلك الاحْتِقارُ والحَقِيرُ الصغير الذليل ، والحَقِيرُ ضد الخَطِير[٤]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" يا نساء المسلمات "

---

(١)ينظر : عمدة القاري ،للعيني ، (٦٥/٢٠)
(٢) لسان العرب ،لابن منظور مادة "(ف.ر.س)
(٣) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ح.ق.ر)
(٤) ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ح.ق.ر)

- اختص [1]رسول الله ﷺ النساء بهذا الخطاب دون الرجال ولعل من من أسباب ذلك :

١. حب النساء للهبة والعطايا .

٢. ماجبلت عليه النساء من المبالغة وإظهار الزينة في كل شيء

٣. ميل النساء أكثر من الرجال غالباً إلى السخرية والاستخفاف

- النداء للمخاطب القريب تنبيهاً له ولموضوع الخطاب.
- قيل في " نساء المسلمات " ثلاثة أوجه ، الأول : " وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه والموصوف إلى صفته والأعم إلى الأخص "[2] زيادة في المدح والعناية و التخصيص ،"بنصب الهمزة على أنه منادى مضاف وكسرة التاء للخفض بالإضافة"[3] والوجه الثاني الرفع " على معنى النداء والصفة أي يا أيتها النساءُ المسلماتُ "[4] أما الثالث : " رفع النساء وكسر التاء من المسلمات على أنه منصوب على الصفة على الموضع كما يقال يا زيد العاقل برفع زيد ونصب العاقل "[5]

"لا تحقرن جارة لجارتها "

- الأسلوب إنشاء طلبي ، نهي ، لا تحقر ما تهبه لجارتها فتمتنع بذلك عن العطاء و"أنها تهدي بحسب الموجود عندها ولا يستحقر لقلته"[6] عن القدر المعهود في العطاء أو قد يكون المقصود عكس ذلك " أن يكون النهي واقعا للمهدى إليها وأنها لا تحتقر ما يهدى إليها ولو كان حقيرا"[7] فتقدر ماللناس من دواعي واسباب وتترفع عن الكبر والتعالي.

---

(١)اختلف العلماء في الاختصاص فقيل " أنه خاطب نساء بأعيانهن فأقبل بندائه عليهن فصحت الإضافة على معنى المدح لهن فالمعنى يا خيرات المؤمنات كما يقال رجال القوم وتعقب بأنه لم يخصصهن به لأن غيرهن يشاركهن في الحكم وأجيب بأنهن يشاركنهن بطريق الإلحاق وأنكر بن عبد البر رواية الإضافة ورده بن السيد بأنها قد صحت نقلا وساعدتها اللغة فلا معنى للإنكار" والباحثة تؤيد الرأي القائل بالاختصاص ، ويشاركهن باقي النساء في الحكم ، ينظر : فتح الباري، للعسقلاني (٥ / ١٩٨)

(٢)ينظر : عمدة القاري ،للعيني (٦٦/٢٠)

(٣)ينظر : فتح الباري ، لابن حجر (٥ / ١٩٨)

(٤)ينظر : عمدة القاري ،للعيني (٦٦/٢٠)

(٥)ينظر : السابق (٢٠ / ٦٦)

(٦)ينظر : السابق نفسه

(٧)ينظر : السابق نفسه

- دقة التعبير بلفظ "تحقر"التي هي مما اختص به البيان النبوي فلم ترد باي من مشتقاتها في القران الكريم[1] ،وذلك دون لفظة "تستصغر" لما بينهما من فروق ، ناهيك عما في التحقير من إذلالٍ ومهانة ليست من الصفات المحمودة في شيئ.

و فرق بين تحقر وتستصغر ،فالحقير من الشئ ما كان له في جنسه مقدار معهود فنقص عنه ،يقال هذه دجاجة حقيرة إذا كانت ناقصة الخلق عن مقادير الدجاج ، اما الصغر ففي السن وفي الحجم ، والصغير يكون صغيرا بالاضافة إلى ما هو أكبرمنه ،و يكون الحقير في نفسه[2] ،فتقول طفل صغير وحجر صغير لا بدعوة النقيصة او السخط مما يظهر من معاني التحقير

- " جارة " التنكير لإفادة العموم فالجار ذو القربى والجار الجنب ، مخالفاً في الدين أو موافقاً ، محسناً كان أم مسيئاً متواصلا كان أم قاطعاً ، وقد" تكني عن الضرة بالجارة تطيرا من الضرر"[3]،ولو أحسنت نساء اليوم تأمل هذا البيان النبوي الناصع الواضح الدال ، لزالت كثير من عقبات التواصل والترابط القائمة بين الجوار.
- اللام في "لجارتها" للملكية لأن النهي مشروط بما تمتلكه الجارة فتهبه أو تستقبله كهدية وعطاء وهنا تكمن سماحة خفية ، إذ يكفي لها فضلاً أن تهبك مما تملك من مطعم أو ملبس أو ما شابه ذلك فالتأكيد على البذل و العطاء مقدم على ماهيته في هذا الموضع .وهو ما يوجب العرفان والامتنان والبعد عن التصغير والامتهان .وقد تكون الام في " لجارتها" "متعلق بمحذوف أي لا تحقرن جارة هدية مهداة لجارته "
- "لجارتها" " الها " الضمير العائد على الفاعل من المفعول بعد التنكير يوحي بحلقة من الألفة والترابط ويجعل الثاني جزءاً من الأول ، فكيف تسوّغ لنفسها إيذائها ، و فرق بين أن نقول دخل زيد داراً ، ودخل زيد دارَه .

"ولو فرسن شاه "

- الجملة مقيدة بالأداة "لو" .
- "لو" للتقليل وهي تتضمن معنى الشرط[4]والتقديرعندي "[5]ولو تحقر فرسن شاة تعطيه" ،وهومن إيجاز الحذف لوجود مايدل عليه في السياق .

---

(١) ينظر :القرآن والحديث ، إبراهيم عوض (٨٧)

(٢)ينظر : معجم الفروق اللغوية ، للعسكري (٧٧٤)

(٣)ينظر : عمدة القاري ،للعيني (٢٠/٦٦)

(٤)ينظر : حروف المعاني ، للمرادي (١ /٤٨) وينظر : معجم الكليات ، للكفوي (١/ ١٢٥٧)

(٥)وذلك أن العلماء سموا لها أقساماً ولم يسموا لها في هذا الموضع قسمها وقد أشار بعضهم إلا إنها ليست خارجة عن معنى الشرط ولم يقدروا لها شرطاً وجعلوها بمعنى التقليل ،وفي الخطاب

- وفيه مجاز استعارة فقد شبه أصغر شيء وأحقر شيئ بالفرسن والمقصود الظلف[١]، وقد جاء التصوير للمبالغة مناسباً للسياق ، لأن النساء كثيراً ما تتهادى باللحوم ، والظلف رغم أنه جزء من الشاة ، فقد تعتني المرأة بكل أجزاء الشاة عداه ،ولا تتخيل نفعه احتقاراً له ، فكيف به يهدى إلى غيرها .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي : من عوامل السبك الإحالة بالضمير في "جارتها و تحقرن "
ومنها العطف بين الجمل في "لاَ تَحْقِرَنَّ ، وَلَوْ "
كما جاء التكرار في " جارة ، لجارة "

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

اعتمد التكليف على التصوير للترغيب في الهبة وانها مرغوبة حتى لو كانت باقل الأشياء وهو تثقيف نفسي سبق بالنهي ، وقد جاء التنكير لإفادة العموم كما جاءت "اللام" من حروف الجر لإفادة الملكية .
وقد جاءت الألفاظ سهلة واضحة مباشرة
كما اتسمت المعاني بالواقعية والتعبدية ، واقعية لما لها من وشائج بحياة المرأة المسلمة ، وتعبدية لما تضمنته من دعوة إلى حسن الخلق في التعامل مع الجار كائناً من كان .

فجاء التقدير بالشرط مناسب للسياق ودال على التقليل وهو أولى من جعلها في قسم ملحق دون تقدير جوابٍ لها ينظر : الجنى الداني ، للمرادي (١ /٤٨)
(١)قيل إن في التعبير با لفرسن للشاة بدلاً من الظلف استعارة ، ولكنها غير مفيدة إذ ليس ثمة معنى بلاغي "وليس إذَنْ في مجيءُ الفِرْسن بَدل الظِّلْف أمرٌ أكثر من العضو نفسه " ينظر : أسرار البلاغة ، للجرجاني (١/ ٢٢) إلا أن يكون الغرض من ذلك التفخيم والتعظيم والإشارة إلى كبر حجم الفرسن مكان الظلف .

٢٥. ملاطفة الزوجة وتقبل مراجعتها لزوجها

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْتِى قَالَ « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِى بَكْرٍ. قَالَتْ وَاللَّهِ مَا بِى إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِى مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَتْ فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا فَقَالَ « لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أبو بَكْرٍ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ».

أ- تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

إن شأن الأمة وما ستئول إليه أحوالها من بعده ، كان هاجسه عليه الصلاة والسلام ، وهذا هو حال الداعية الذي يحمل هم الدعوة وأمانة التبليغ على عاتقه حتى الممات ، لذا كان أول أمر أصدره عليه الصلاة والسلام بعد أن استقر به الحال ، في بيت من ارتضى واختار ، الأمر بإسناد الإمامة إلى صفيه أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي لنص الخطاب : خاطب رسول الله ﷺ المرأة لبيان " جواز مراجعة الصغير للكبير "[١]و" ملاطفة النبي صلى الله عليه و سلم لأزواجه وخصوصاً لعائشة "[٢]

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ : "والصُّحْبَةُ مصدر قولك: صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً. وقالوا في النساءِ: هنَّ صواحِبُ يوسف. واصْطَحَبَ القوم: صَحِبَ بعضهم بعضاً صحب: صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة، بالضم، وصَحابة، بالفتح، وصاحبه: عاشره. والصَّحْب: جمع الصاحب مثل راكب وركب. والأَصْحاب: جماعةُ الصَّحْب مثل فَرْخ وأَفْراخ" [٣]

ورقيق ، صفة تكون مخالفة للجفاء ، يقال رقَّ يرِقّ رِقَّةً فهو رقيقٌ[٤]

تشاؤم من شأم وهو أصلٌ يدلُّ على الجانب اليسار. منه المشأمة، وهي خلاف الميمنة

---

(١)ينظر : عمدة القارئ ، بدر الدين العيني (٥/ ٢٧٨)

(٢)ينظر : السابق نفسه

(٣)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ص.ح.ب)

(٤) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ر.ق.ق)

ورجل مشؤوم من الشُّوم.[1] والشُّؤْمُ خلافُ اليُمْنِ ورجل مَشْؤُوم جارٍ بالشُّؤْم ويقال شأَمَ فلانٌ أصحابه إذا أَصابهم شُؤْم من قِبله وقيل شُؤْمُ الدار ضِيقُها وسوء جارها وشُؤْم المرأَة أَن لا تلد وشؤم الفرس أَن لا يُنْزى عليها[2]

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

« مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » لمن وجه الخطاب ؟ لعل مما يسترعي النظر هنا صيغة الجمع التي صاحبت الفعل رغم أن السياق يشير إلى إمكان تخصيصه بمفرد ، كتوجيه الخطاب إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه الذي جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام سائلاً ، أو السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت بصحبته عليه الصلاة والسلام، أو السيدة حفصة رضي الله عنها ، غير أن في العدول عن كل ذلك إلى أسلوب الجمع إشارة جلية إلى عموم الأمر وشموله " مُرُوا أَبَا بَكْرٍ " فهو توجيه كريم منه ﷺ باختيار ابي بكر الصديق من قبل الأمة أجمع ، فقد أمرهم جميعاً أن يأمروا أبا بكر، وان يجعلوه إماماً في الصلاة دون سواه من الصحابة وفي الجملة من الوجازة والوضوح ما يدعو إلى التدبر والتأمل

"فلِيُصَلِّ بِالنَّاسِ " لام الطلب المتصلة بالفعل المضارع جاءت بمعنى الأمر ولكن الفاء التي وصلت بين الجملتين المنفصلتين توحي بمهلة زمنية تخفف من حدة هذا الأمر ،مما دفع السيدة عائشة رضي الله عنها لمراجعة رسول الله صلى الله عليه و سلم وإلحاحها في الطلب ، غير أن هذا الظن قد تلاشى فوراً عندما كرر عليه الصلاة والسلام جملته ثلاث مرات جازماً بما يعنيه .

« إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ »، « فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ »
للزجر والتوبيخ وصف إلحاح السيدة عائشة ومعاودتها ، بقصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ،" يعني في تردادهنّ وتظاهرهنّ بالإغواء والإلحاح ، حتى يصلن إلى أغراضهن "[3] وهو نوع من الإقتباس يسمى تلميحاً وفيه أمور :

---

(١) ينظر : السابق مادة(ش.أ.م)
(٢) ينظر : لسان العرب لابن منظور (ش.أ.م)
(٣)ينظر : المفهم ، للقرطبي(٤٠٩/١)

- « إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ » خطاب مؤكد بعدة مؤكدات ، لحاجة السياق ، لما سبق من تكرار المراجعة ثم تكرار توجيه الأمر ثلاث مرات متتالية،والمراد بالخطاب السيدة عائشة وقيل بل وشاركتها في ذلك حفصة فكان الخطاب لهما [1]
- « فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ » وهو من تعريضات[2] البيان النبوي الآخذة من جمال الزجر والملاطفة بحظ وافر، لأن المعنى يتضمن رفض ما كان من السيدة عائشة رضي الله عنها من إلحاح ومراجعة في شأن إمامة إبيها رضي الله عنه .
- « صَوَاحِبُ » جمع صاحبة ، إشارة إلى معشر النساء عامة وأن صفة الإلحاح والمعاودة والمراجعة معروفة فيهن .
- « يُوسُفَ » اختيار قصة يوسف تحديداً للتعريض ، دون غيرها من أمثلة النساء في القرآن الكريم ، كامرأة نوح وامرأة لوط ، فيه نوع من الملاطفة والتخفيف من حدةِ الزجر ،لأن المكر في المرأة مقبول طبعاً أما الكفر والعصيان فمذموم شرعاً وعقلاً .
- ارتباط البيان النبوي بالقرآن الكريم في خطابه للمرأة تلميحاً وتعريضاً وتمثيلاً .
- تفهمه ﷺ ، واستشعاره لما يدور في النفوس ، فقد اهتدى وهو في ساعات مرضه وإعيائه ، إلى أن في الأمر سرا يخفى ؛ إذ ليس من الطبيعي أن تكره السيدة عائشة إمامة أبيها للناس ، كما انه ليس فيما ذكرته من أسباب ما يقنع بترك الإمامة ، وفعلاً كانت السيدة عائشة تخفي خوفاً حانياً من الابنة على أبيها ذكرته فيما ذكرت ، من خشيتها أن يتشاءم الناس من أبيها عند وفاه الرسول عليه الصلاة والسلام .
- ثباته ﷺ على رأيه وعزمه عليه وعدم تأثره بآراء من حوله ؛ لعلمه ودرايته عليه الصلاة والسلام بما ينفع الأمة في ذلك العصر ، وما من شأنه إصلاح أمورها وتيسيرها على الوجهة التي تنبغي .

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي :

من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " بَيْتِي ،مُرُوا ، فَقُلْتُ ،دَمْعهُ ، فَرَاجَعْتُهُ ، فَإِنَّكُنَّ "
والتوكيد في " إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ، أَنْ يَتَشَاءَم، إِنَّكُنَّ "
والعطف في " فَقُلْتُ ، فَرَاجَعْتُهُ ، أَوْ ثَلاَثًا ، فَقَالَ ، فَإِنَّكُنَّ "

(١)ينظر : عمدة القارئ ، للعيني(٥/ ٢٧٧)
(٢) التعريض من فنون البلاغة كثير الشبه بالكناية ، وقد عرفه صاحب الطراز وفرق بينه وبين الكناية وقال انه :المعنى الحاصل عند اللفظ لا به ، أو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ ، ينظر : الطراز ، ليحي العلوي (١ /٣٨٣)

وجاء التكرار لإسم أبي بكر في " أَبَا بَكْرٍ ، أَبَا بَكْرٍ ، أَبِى بَكْرٍ، أبو بَكْرٍ " وكذلك التكرار في " « لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ "

ب- تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للخطاب :

الأسلوب اللافت في الخطاب والتعريض للزجر والملاطفة يسبقه التوكيد بعدة مؤكدات لحاجة السياق من تردد المخاطب عن الخطاب

وقد جاءت ألفاظ الخطاب سلسة واضحة تتسم بالوجازة والإقتصاد

كما جاءت المعاني متلائمة من جهة مع التثقيف النفسي للترهيب في شأن الجماعة للمريض ، وهي من جهة ترهيب عن كثرة الإلحاح والمراجعة .

٢٦. بيان يسر اتقاء المجاعة

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- « يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ ». قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.

أ) تحليل الخطاب

السياق المقامي للخطاب :

في باب ادخار التمر ونحوه ، دبج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه هذا النص الذي يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مبينا أهمية التمر وقيمته بين أنواع الأطعمة

❧ ❧ ❧

المقصد الكلي في الخطاب : بيان أن ما يتاح الناس من الجوع يسيرٌ دفعه بقليل من الكلفةِ وفي هذا طمأنينة للنفس من عادية السغب .

❧ ❧ ❧

المعجمُ اللُّغويُّ: التَّمْرُ: اسم جنس، لكل حَمْلُ النخل واحدته تمرة [1]

❧ ❧ ❧

السياق المقالي والبنية التركيبية والخصائص التصويرية والبديعية لنص الخطاب :

" يا عائشة! بيت لا تمر فيه جياع أهله ـ أو جاع أهله "

- النداء للتنبيه
- "بيت" الأصل في المسند إليه التعريف[2] وقد جاء نكرة لبيان نوعه[3] ، وأن المقصود بيت وليس قصر أو بستان .
- النفي بلا النافية للجنس " لا تمر " لتأكيد نفي الجنس
- " جياع أهله - أو جاع أهله " على الأولى " جياع " مجاز مرسل باعتبار ما سيكون أي : سيجوع أهله، وعلى الثانية " جاع أهله" عدل عن التعبير بالمضارعه وعبر بالماضي ، لبيان تحقق وقوع الفعل ، وعلى كلا الجملتين

---

(١)ينظر : لسان العرب ،لابن منظور مادة (ت.م.ر)
(٢) ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني(١/ ١٧٦)
(٣) ينظر : السابق (٥١/١)

واضح ما فيه من التثقيف النفسي ترهيبا في ترك التمر و ترغيباً في القناعة به إذا وجد و مع "جواز الإدخار للعيال والحث عليه "[1] مما يجعل خطابه الموجه إلى السيدة عائشة رضي الله عنها يتضمن معنى التكليف .

- " أهله " أي من كان قوتهم التمر[2] وهم العرب غالباً وعلى ذلك فلكل قوم قوتهم الذي يكتفون به ويقنعون بوجوده عما سواه ، وهو أولى من جعل المعنى على الإطلاق ، لأن الناس في بلاد لا تعرف التمر يشبعون بما توفر لهم من طعام أرضهم ، وهذا المعنى يحث على القناعة ويرغب في الكفاف .
- الخطاب يعد من جوامع الكلم ، لما يزخر به من معان فهو من إيجاز القصر

❧ ❧ ❧

رصد عوامل الانسجام و التماسك النصي : من عوامل السبك الإحالة بالضمائر في " فِيهِ ، أَهْلُهُ " والتكرار للجملة كاملة في " يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ "

❧ ❧ ❧

ب) تخليص الكليات وتحديد السمات البلاغية للحمخطاب :

النص من الإيجاز البليغ إيجاز قصر، لأن فوائد التمر وأهميته مما لا يتسع المقام لذكرها في خطابه صلى الله عليه و سلم للسيدة عائشة رضي الله عنها فأوجز ذلك في جملة هي من روائع جوامع الكلم وهومرتكز بيان الخطاب

غير أن من أساليب البيان ما يزخر به هذا الخطاب رغم وجازته ، فقد جاء المجاز المرسل و التعبير بصيغة الماضي للدلالة على المستقبل تراكيب اتسم بها الخطاب ليبرز معنى الترغيب في التكليف وهو الاهتمام بالتمر .

وقد اتسمت الألفاظ بالسهولة والسلاسة كما جاءت المعاني قريبة متناولة واقعية تمثل جانبا من المجتمع العربي الذي هو مجتمع المرأة العربية في طعامها وشرابها ، وقد اتسمت بالأصالة والجدة والابتكار

---

(١)ينظر : المنهاج ،النووي (١٣ / ٢٢٩)

(٢)ينظر : تحفة الأحوزي ، للمباركفوري (٥/ ٥٣٥)

المبحث الثالث

تحديد الكليات و السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيف النفسي

سمات الخطاب النبوي للمرأة في سياقاتِ التكليفِ مقترناً بالتثقيفِ النفسيِّ

أولا :الدقة في اختيار اللفظة المفردة الدالة على المعنى المراد

إن التأنق في اختيار اللفظة ، والعدول عن لفظة لأخرى مع مراعاة الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ، تعد سمة من أبرز سمات البيان النبوي ، فقد تشترك لفظتان في أصل واحد ، لكن إحداهما أدق من الأخرى في الدلالة و أقدر على التعبير لخصيصة تخفى تميزها، فيظهرها السياق المناسب عند وضعها فيه وتمكنها منه.

وجدير بالذكر أن نبين أن هذه الدقة في اختيار اللفظة تعد عاملاً من عوامل التثقيف النفسي للترغيب والترهيب ، فهي تعكس صورة المعنى في النفس وتدفع المتلقي إلى استشعار أهمية المعنى ، وتدعوه إلى التأمل والتعليل للبحث عن أسباب العدول إلى هذا التعبير دون غيره فينكشف له ما وراءه من تثقيف نفسي لينحو نحوه

ومما جاء من ذلك في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياق التكليف المقترن بالتثقيف النفسيّ ما ظهر في لفظة " تصبُّ " وفي سياق آخر لفظة " تُفِيضُ " وبيان الفرق بينهما ، وكذلك ماكان من إيراد لفظة « شُؤُونَ » التي يتحقق بها معنى التثقيف النفسي لأن بها تدرك المرأة مدى الاهتمام بغسل الحيض فقد شمل التكليف العناية بنمانم الشعر والعروق الممتدة فوق الرأس وما هو إلا تأكيد لأهمية الاغتسال من الحيض ،وكذلك في " تَحُتُّهُ و تَقْرُصُهُ" ،ومن الدقة في اختيار اللفظة مجيء لفظة "تَنْضَحُ" في سياقين مختلفين بما لا غنى عنها في كلا السياقين ،تنضح على الثوب بعد التحري في غسله وتنضح في العطاء مجازاً وتشبيهاً

ومنه أيضاً اختيار لفظة " الهوان " مقابل لفظة " كرامة " في سياق آخر .

ثانياً : السهولة والوضوح والبعد عن التكلف أو الغموض

وهي السمة الغالبة على الخطاب النبوي للمرأة في مختلف سياقاته فقد جاءت الألفاظ واضحة الدلالة بعيدة عن الغموض في مجملها خالية من الغرابة أو الجفاء ، لا يخالطها شيء من العجمة

ثالثاً : اتسمت الألفاظ كذلك بالجزالة والقوة والبعد عن الابتذال والسطحية

بنظرة فاحصة إلى ألفاظ البيان النبوي في خطابه للمرأة في سياقات التكليف المقترن بالتثقيف النفسي يظهر لنا كيف تعد تلك الألفاظ من السهل الممتنع فهي " اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة "[١] فنجد ألفاظاً مثل ـ أصلاب ، القائف ، الصَّدْمةِ ، والفِرْصةُ ، حثيات ، تُفيضِينَ، البعرة، الحول ، صعلوك ـ تعد ألفاظٌ جزلةٌ قويةٌ غير مبتذلة .

رابعاً : إخبار المخاطبة فائدة الخبر أو لزوم الفائدة إذا كان الخبر مما يعلم:[٢]

جاء الإسناد الخبري في سياقِ التكليف مقترناً بالتثقيفِ النفسيِ لإخبار المخاطبة فائدةُ الخبر من جهة ولإخبار لازم الفائدة من جهة أخرى ، ومن الأول : بيان كيفية الاغتسال والطهارة من الحيض والجنابة ، و اغتسال المرأة عند الاحتلام ،وحكم نقض الضفيرة ، وكيفية غسل ثوب الحيض ، والحكم في الاستحاضة ، والحكم خروج المعتدة البائن للحاجة ، وتحريم الاكتحال في الاحتداد ، أحكام المطلقة البائن ، وجواز أخذ الزوجة من مال زوجها ، ومدة بقاء الزوج ثلاثاً للثيب وسبعاً للبكر، و اشْتِرَاطِ التَّحَلُّلَ بِعُذْرٍ في الإحرام ، وناس من أمتي يركبون البحر

وواضح أن " فائدة الخبر تمتنع بدون لازم فائدة الخبر ولا يمتنع لازم فائدته بدون فائدته لجواز أن يحصل للمخاطب من الخبر علمٌ يكون المتكلم عالماً بالحكم ولا يحصل له منه علم بكونه معلوماً له قبل سماع ذلك الخبر"[٣]

ومن الثاني وهو لزوم فائدة الخبرما جاء في أن المطلقة البائن لا تحل لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها زواجاً كاملاً ، والرضاعة المحرّمة ، من صفات النساء كُثْرة اللَّعْنَ وَكُفْرَانَ الْعَشِيرَ ،و فضل الرفق ،وذم العنف ،و فضل الهبة ،و ملاطفة النبي صلى الله عليه و سلم لأزواجه .

خامساً : مراعاة أضرب الخبر:

سياقات التثقيف النفسي غالباً ما تكون من الضرب الطلبي ،الذي يحتاج فيه الخطاب إلى التوكيد ولأن السياق هنا مما اقترن فيه التكليف بالتثقيف ظهر التوكيد جلياً في مواطن ولم يظهر في أخرى ، ومما جاء فيه الخطاب مؤكدا تبعا للمقام والحال ماجاء في قوله "إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً" وفي قول القائف " أَنَّ مُجَزِّزًا "وفي يوم الحشر "أَنْ يَنْظُرَ

---

(١)ينظر : العمدة ، لابن رشيق (٧٣)
(٢)ينظر : المطول ، للتفتازاني(١٧٩)
(٣)ينظر : معجم الكليات ـ الكفومي ،(١ / ١٦٠٣)

بغضُهُمْ" وفي خروج المطلقة" فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى" وفي مدة الإقامة عند الزوجة الثانية " إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ "ومنه في "فَإِنِّى رَأَيْتُكُنَّ " و" إِنَّ الرِّفْقَ" وفي قوله " قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ " وفي خطابه لعائشة " فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ "

سادساً: مراعاة أغراض التعريف والتنكير :

فقد جاء **التعريف في** "الرفق " لإفادة الاستغراق الحقيقي [١]، **وفي** الحيضة للعهدية ، وكذلك " الماء " عند الاحتلام للعهدية [٢]**وجاءت للتعظيم** كما في لفظة " النار " في قوله أكثر أهل النار

و يكون التعريف بإضافته إلى غيره كما في "أول صدمة " للتخصيص وكذلك في " نساء المسلمات " للتخصيص وفي " أهلك " عند خطاب أم سلمه ، "تعظيماً لشأن المضاف أو المضاف أليه "[٣]

سابعاً :مراعاة التقديم والتأخيرفي ركني الإسناد و المتعلقات بما يوائم معاني السياق:

وقد تقدم المتعلق الجار والمجرور في " اغسلي عنك الدم " للتخصيص .**وفي** " توفي عنها زوجها " للاهتمام

ثامناً : التعبير بالماضي عن المستقبل

---

(١)لان " الاستغراق (ضربان)حقيقي وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة ،نحو عالم الغيب والشهادة أي كل غيب وشهادة وعرفي وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف ،نحو جمع الأمير الصاغة أي صاغة بلده أو أطراف (مملكته) لأنه المفهوم عرفا لا صاغة الدنيا ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني، سعد الدين (١/ ٤٩)

(٢)العهدية تعني " الإشارة إلى معهود أي إلى حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب ، واحدا كان أو اثنين أو جماعة" ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني(١/ ٤٨)والماء على ذلك يعد معهود لدى المخاطبين في السياق غير أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تعهده في النساء بل عهدته في الرجال .

(٣)ينظر : مختصر المعاني ، للتفتازاني(١/ ٤٨)

ويكون ذلك لإثبات تحقق وقوعه كما جاء في "سبعت" عبّر عن المضارع بالماضي وفي "جاع أهله "
والتعبير بالمضارع عن الأمر لبيان دوامه واستمراره كما في "تأخذ ، وتتطهر ، تحسن"

تاسعاً : تقييد الفعل بالشرط :

في " لو اقسم على الله لأبره " بالأداة " لو" ثم " بالأداة "إذا" لما يتحقق وقوعه " في "فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة" ، "وإذا أدبرت "فاغتسلي ، وبالأداة إن في " إن شئت سبعت لك " " وإن سبعت لك سبعت لنسائي "

عاشراً : البيان والإيضاح بأسلوب " القصر " :

ومن ذلك ماجاء في "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ مؤكدة بإنما و كذلك في "إِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ "وفي " إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث" وفي " إنما هي أربعة أشهر وعشر " ولعله من الواضح أن هذه المواضع التي جاء فيها القصر في خطاب الرسول صلى الله عليه و سلم للمرأة في سياقات التكليف المقترن بالتثقيف ، واضح أنها اشتركت في طريقة القصر بإنما ، وأنها جاءت فيما تعلمه المخاطبة مع الشك والتردد ، فأفادت التخصيص والتأكيد.

الحادية عشرة : استخدام أساليب الإنشاء الطلبي

جاء الطلب في هذا السياق في ثلاثة أساليب :
النداء : وهو أما للتنبيه إذا كان المنادِي رسول الله صلى الله عليه و سلم كما جاء في نداءه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ""ياعَائِشَةُ أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِيَّ "ياعائشة ولاَ تَكُونِى فَاحِشَةً" أو نداءه لعموم النساء في يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ " و" يا نساء المسلمات " نداءه صلى الله عليه و سلم للتنبيه وقد يخرج إلى معنى التعجب [1]
أو أن يكون النداء للتعظيم إذا كان المنادى رسول الله صلى الله عليه و سلم كما في " يا رسول الله إإن ابنتي توفي عنها زوجها ، يا رسول الله! إني أريد الحج وأنا شاكية

(١)ويكون المنادى عندها مسبوقا بلام الخفض ' ينظر : الكتاب ، لسيبويه (١/١٤١)

الأمر : وقد جاء بصيغة فعل الأمر الصريح ، في انْظُرْنَ إِخْوَتُكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ، خذي من ماله ،و انكحى أسامة فنكحته ، وجاء بالمصدر ، في "الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ" وجاء باسم الفعل ، في "عليك بالرفق" وجاء ذكر الخبر أو القصة ، في حديث مجزز المدلجي .

النهي : الذي يتضمن معنى الأمر، لأن النهي عن شيء يتضمن الأمر بضده [1]وقد ورد النهي بهذا المعنى في كثير من مواضع سياق التكليف المقترن بالتثقيف فقد جاء منه ،لاَ يَمْنَعُكِ ذَلِكِ"لا ناهية "، لاإنما ذلك عرق أي لا تدعي الصلاة ، وَلاَ تُحْصِى ، وَلاَ تُوعِى لاَ تَكُونِى فَاحِشَةً

الثانية عشرة: الإيجاز البليغ وجوامع الكلم .

جاء على نوعين : إيجاز حذف وهو ما جاء في الجواب ، بنعم و بلا ،على سؤال تسأله المخاطبة فترفع جملة الجواب إيجازاً

وإيجاز قصر وهو ما يعد مثلاً في جوامع الكلم كما في " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه " وفي " بيت لا تمر فيه جياع أهله " و"القصاص كتاب الله "

الثالثة عشرة : الإطناب في مواطن يقتضيها السياق .

من المواضع ما جاء فيها الإطناب بفائدة يقتضيها السياق ومنها ما جاء في

"الأَمْرُ أَشَدُّ "الإطناب للإيضاح بعد الإبهام

وفي " فتطهرين " إطناب من ذكر العام بعد الخاص تأكيداً على أهمية العام.

وفي " تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفًا" الإطناب بذكر العام بعد الخاص للتأكيد على أهمية العام .

"بالمعروف" إطناب بجملة معترضة

الإطناب في " ناقصات عقل ودين "

الرابعة عشرة : العناية بمواضع الوصل والفصل

(١)ينظر : صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، د. محمود توفيق (١٣٦)

جاء الوصل بين الجملتين لأن بينهما شبه كمال اتصال في "انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ "

"نعم. إذا رأت الماء " الفصل بين الجملتين لأن الجملة الثانية بيان للجملة الأولى بينهما كمال اتصال

وكذلك في "لا ، إنما يكفيك " الفصل بين الجملتين لكمال الاتصال ،الجملة الثانية بياناً من الجملة الأولى

الخامسة عشرة : استخدام المحسنات البيانية من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية.

ومن الاستعارة ما جاء في " الصدمة الأولى " عندما شبه النوائب بجسم يرتطم بجامع الفجيعة والألم وحذف المشبه به ثم جاء بصفة من صفاته وهي الإرتطام والصدم ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينةُ حالية .

وفي "عسيلته " شبه الجماع بالعسل بجامع اللذة ثم استُعيرَ اللفظُ الدال على المشبَّه به وهو العسيلة للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحيةِ، والقرينةُ حالية .

وجاء المجاز مرسلاً لعلاقة غير المشابهة في مواضع ،جاء في "الصبر" مجاز مرسل والمقصود أجر علاقته السببية ، "القصاص "هو مجاز مرسل علاقته الجزئية ، "عرق " أي مجاز مرسل للسببية ، "تَكْفُرْنَ " الكُفْرُ الغطاء والستر مجاز مرسل علاقته السببية ، "جياع " مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون .

كما جاءت الكناية في خطاب النبي للمرأة في سياق التكليف المقترن بالتثقيف

فنجد في " بعضها من بعض " كناية عما بينهما من النسب والقربى

وفي "لايضع عصاه عن عاتقه " كناية " عن أنه يُؤَدِّبُ أَهْلَه بالضَّرب

وفي " تحصي و توعي " كناية عن العد والحفظ

وفي "تضعين ثيابك " كناية عن الأمن من الضيفان

والكناية أما أن تكون كناية عن صفة أو عن موصوف ، أو عن نسبة ، قد جاءت كلها كناية عن الصفة .

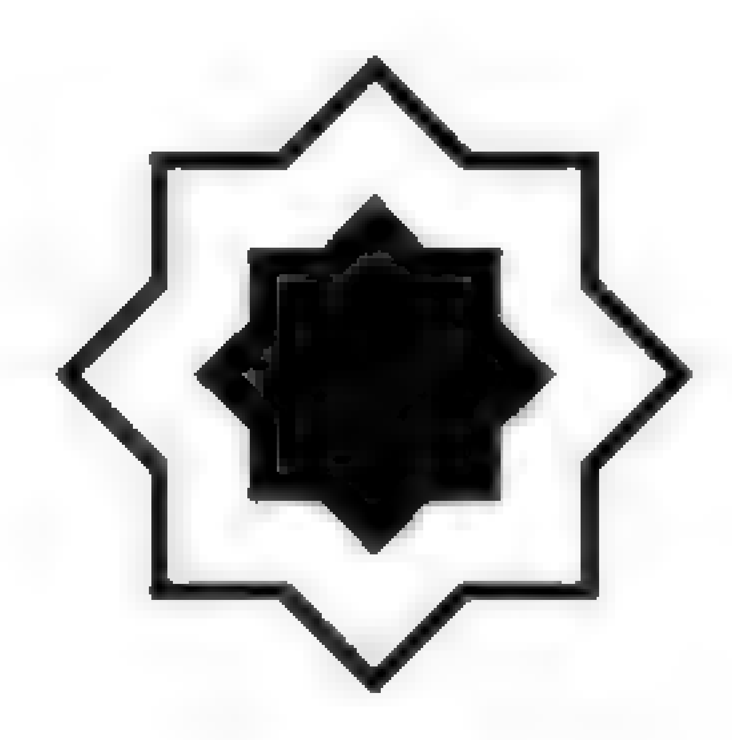
السادسة عشرة : تنوع المحسنات البديعية السهلة المتناولة في غير تكلف أو إقحام

"فَتَطَهَّرُ ، الطُّهُورَ ، تَطَهَّرِينَ ، فَتَطَهَّرُ بِهَا " جناس الاشتقاق

"ما يكفيك ، ويكفي بنيك " جناس وسجع

"رضاعة ومجاعة " طباق إيجاب ، وجناس
"بين انفحي وانضحي " جناس لاحق متوسط
الجناس والسجع بين "زانه و شانه "
"يكون " مقابل كلمة "نزع " طباق
وكذلك الطباق بين " تذوقي ويذوق ، و عسيلته ، عسيلتك"
بين "لا تحصي فيحصي الله ، و لا توعي فيوعي الله ، طباق سلب ومقابلة
" إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً " و"خَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً " طباق إيجاب .

انتهى .. ما أعان الله تعالى عليه



الخـــاتمة

أتممت بحمد لله وتوفيقه هذا البحث ،الذي ما أجد لي فيه من فضل غير الاجتهاد والبذل ، ولا أره قد بلغ من المراد والمؤمل غير ما أحتسبه عند الله من الأجر ،وما توفيقي إلا بالله وما عثراتي إلا عما قصرت قامتي عن بلوغ شأوه ،وترسم مداه ،فإن تجد عيباً فسدد خللي ، فلقد سألت الله عفو الزلل.

وقد تناولت في هذا البحث "الخطابُ النبوي للمرأة وسياقاتُه دراسةٌ بلاغيةٌ في الخصائصِ والمزايا - في صحيح مسلم " صدرته بتمهيد ألمحت فيها إلى مفهوم الخطاب الذي ستعني به الدراسة .

وقد اشتملت الدراسة على ما يقدر بتسعة وخمسين حديثا نبوياً من صحيح الأمام مسلم ،خاطب بها رسول الله صلى الله عليه و سلم المرأة

تناولت في الفصل الأول ، الخطاب النبوي للمرأة في سياق التكليف ، في شأن المرأة العام في المجال الروحي والمجال التعبدي ، وفي شأنها الخاص في خطابه أزواجه وبناته رضوان الله عليهن ،وفي خطابه المرأة في سياق التكليف بحكم خاص.

ثم تناولت في الفصل الثاني الخطاب النبوي للمرأة في سياق التثقيف النفسي في الشأن العام للترغيب والترهيب ،و في الشأن الخاص للترغيب والترهيب كذلك .

ثم تناولت في الفصل الثالث الخطاب النبوي للمرأة في سياق التكليف المقترن بالتثقيف النفسي في المجال الروحي والتعبدي وفي المجال الخلقي والاجتماعي

وكانت دراستي في النص الخطابي على مرحلتين ، المرحلة الأولى مرحلة التحليل البلاغي قمت فيها برصد الحال والموقف الذي من خلاله يتجلى معنى المطابقة ،وأبرزت معاني المفردات التي أثرت في تحقيق سمات الخطاب ،وبينت ما بينها من فروق لغوية

ثم قمت ببيان مقاصد الخطاب التي كانت في فصل التكليف، الأمر بالرقية ،والإيمان بالسحر ،ومشروعية اخذ الإنسان نفسه بالشدة في العبادة ،والأمر بالعمرة في رمضان ،ومشروعية الصوم والحج عن الميت ،والأمر بصلة الوالدة المشركة ،والتكليف بالنفر للمرأة إذا هي حاضت بعد طواف الوداع ،والاكتفاء بطواف واحد للحج والعمرة ،وتكليف المرأة بالمشاركة في الأضحية ،والإذن لها بالخروج لقضاء حاجاتها ، وتكليف المرأة بغسل الميت ، والأمر بعدم الإضرار بالمولود عند وقوع الزنا ، وعدم هدم الكعبة سدا للذرائع والفتن ،والتكليف بمشورة الأهل عند الحاجة ،والتكليف بإرضاع سالم حليف أبي

حذيفة كبيراً ، كما جاء ت المقاصد في فصل التثقيف النفسي للترغيب ، بيان فضل الذكر والدعاء ، وحث من كان بها طاقة من النساء على خدمة بيتها مع التعلق بالذكر والدعاء، والترغيب في الصبر على المرض واحتساب الأجر ،والصبر على الحمى والترغيب في الاحتساب عند موت الولد ،وفي حج الصبي ، والتأنيس لمن وقع عليه الضرر من سب ونحوه ،و ترغيب المرأة في الدعاء بالجهاد والغزو، والترغيب في حب عائشة ، تطيب نفس الزوجة في الإشادة بحسن عشرتها ، كما جاء في الترهيب ، النهي عن إضجار الزوجة ،والنهي عن وصل الشعر، والنهي عن التصوير ،ومنع النياحة والندب ،و الترهيب والاستجواب في التثبت من التهم ،تأكيد بشريته ،الترهيب من تتبع الزوج وتعميق الثقة بالله في نفس المرأة ، كما كانت المقاصد في سياق التكليف المقترن بالتثقيف ،الحث على التثبت وعدم الإسراع في الحكم ، والمسرة بقول القائف ،والترهيب من الحشر وبيان موقف الناس فيه ، والأمر بالصبر الكامل وما يترتب عليه من أجر،والثبات أمام الظلم ،والأمر بتنفيذ أحكام الله في القصاص وما للخيرة والتفاضل من فضل ،والحث على الاغتسال والطهارة والمبالغة في الطهارة ،والالتزام بالحد الواجب في غسل الشعر ونقض الضفيرة ،وتفقيه المرأة فقه الطهارة ،والإذن بخروج المعتدة البائنة للحاجة وترغيبها في الصدقة، وتحريم الاكتحال على الحادة ومباعدة مواطن الشبهات، وامتناع النفقة عن المعتدة البائنة عند خروجها من بيتها ، واشتراط التزويج الكامل لتحليل المطلقة ترهيبا من التهاون في ذلك ،الاستيفاء من مال الزوج بغير إذنه عند المنع ،والتلطف مع الزوجة في البقاء عندها بعد الزواج للمن تعددت أزوجه ،والتحقق في شأن الرضاعة ، والاشتراط في الحج ، والأمر بالصدقة مما يخص المرأة من مال زوجها ،وترهيب النساء من النار ،والحث على التخلق بالرفق، والتحريض على الهبة والتهادي بين الجوار ، وملاطفة النبي أزواجه ،وطمأنة النفس من عادة السغب بتهوين شأن المجاعة .

ثم قمت بدراسة السياق المقالي دراسة تفصيلية فعمدت إلى مفرداته وجمله وتراكيبه ، فبينت خصائص التراكيب وعلاقات الجمل ،ودلالة الأساليب وتنوعها وأثرها في بلاغة الخطاب ، وخصائص التصوير والتحبير البديعي ،فوقفت مع اللفظة المفردة في دلالة التعريف والتنكير والترادف والتفضيل والبنية والصيغ ،والعدد وضمير الشأن واسم الفعل والفعل المبني لغير فاعله ،ووقفت من الأساليب ودلالة التراكيب في النداء والأمر والنهي والاستفهام و التعجب العرض ،وأسلوب الشرط والقصر وأساليب التوكيد والتقديم والتأخير والعدول والإيجاز والحذف والإطناب ، والوصل والفصل ، وأسلوب القص والتوازن والترتيب وحسن التقسيم والتفصيل ، وبلاغة البيان والتصوير من تشبيه واستعار ة وكناية ،والاقتباس والأسلوب الحكيم والتعريض والجناس بأنواعه والمقابلة والطباق ،وأسلوب الجمع والسجع بأنواعه .

ثم أبرزت عوامل الانسجام والسبك "الترابط النظمي والدلالي " التي وردت في الخطاب النبوي للمرأة ،وهي الإحالة بالضمائر والموصولية والربط بالعطف التكرار والتوكيد ، والربط بين السؤال وجوابه ، ومن التماسك ماجاء بالمقابلة والتضاد والطباق والتفضيل والترادف المعنوي .

أما في المرحلة الثانية قمت بتخليص الكليات لاقف على الأساليب العمدة في الخطاب النبوي التي اتسمت بالتكرار والاطراد من جهة والتنوع والشمول من جهة أخرى ، فجاء الخطاب النبوي للمرأة في سياقات التكليف معتمداً على ثلاثة أساليب :هي الأمر والتوكيد والإيجاز في اطراد واضح يقتضيه سياق التكليف

بينما تنوعت الأساليب التي اعتمدت عليها سياقات التثقيف النفسي بغرض الإقناع والتحفيز وكذلك الحال عند اقتران التكليف بالتثقيف النفسي لبيان أهمية التكليف ،فبرز الاعتماد على أسلوب القصر والإطناب ،والتصوير والمجاز .

وختمت كل فصل من الدراسة بمبحث حددت فيه السمات الكلية للخطاب النبوي من خلال استقراء تحليل النصوص في السياق نفسه.

ومن خلال ذلك توصلت الدراسةُ إلى نتائج وافية للإجابة على ما طرحته من تساؤل، حول مشكلة البحث؛ في محاولة لبيان منهاج رسول الله صلى الله عليه و سلم في خطابه المرأة، في مختلف أحوالها، الخاص والعام، في سياق التكليف أو التثقيف.

كيف كان خطابه صلى الله عليه و سلم مراعيا لأحوالها ،محققاً معنى المطابقة ،وما هي أبرز السمات الخطابية والخصائص البلاغية ، التي امتاز بها ذلك الخطاب النبوي في سياقي التكليف والتثقيف النفسي ترغيبا وترهيباً ، التي نحن بحاجة ماسة إلى ترسمها في خطابنا المرأة في عصرنا الحاضر ، واتخاذها نهجاً محتذىً ، تبليغاً لمضامين الخطاب ،واقتداءً بسيد البلغاء عليه أفضلُ صلاة وأتم تسليم.

وتتلخص نتائج البحث فيما يلي :

نتائج البحث :

١. بينت الدراسة أن دراسة السياق المقامي والموقف في الخطاب النبوي للمرأة هو ما يحد السمات البلاغية الأبرز التي يحتاج إليها الخطاب ،وأننا لا نستطيع دراسة السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة بمنأىً عن السياق المقامي رغم شح موارده في هذه الدراسة .
٢. بينت الدراسة أن الخطاب النبوي للمرأة أولى اهتماماً بالغاً باللفظة المفردة في نسقها التركيبي ،ويعد ذلك من برز السمات البلاغية في الخطاب ،فقد جاءت

اللفظة فصيحة جزلة غزيرة ،تراعي الفروق اللغوية الدقيقة بين المعاني والصيغ وهي سمة ظاهرة جلية في مختلف أحوال الخطاب وسياقاته .

٣. بينت الدراسة من خلال النظر إلى سمات الخطاب النبوي للمرأة أن الأصل في سياقات التكليف ،هو إفادة المرأة المخاطبة في الخطاب النبوي فائدة الخبر، أما في سياق التثقيف النفسي فإن الأصل الأغلب هو إفادة المرأة المخاطبة لازم الفائدة ،وكذلك إذا اقترن التكليف بالتثقيف النفسيّ فتقترن الفائدة بلازم الفائدة .

٤. بينت الدراسة أن حاجة المراة المخاطبة إلى التوكيد كسمة من سمات الخطاب النبوي للمرأة تبرز في سياقات التثقيف النفسي وأن سياقات التثقيف النفسي هي في الغالب من الضرب الطلبي.

٥. بينت الدراسة أن أسلوب القصر في الخطاب النبوي للمرأة يختص بسياقات التثقف النفسي ترغيباً و ترهيباً ،وانه قد جاء في أبسط صوره و أوضح طرقه ،بعيداً عن التفصيلات والتفريعات البلاغية ، مما يعني يسر وسهولة إدراك المرأة المخاطبة للغرض البلاغي لإيراد هذا الأسلوب في السياق .

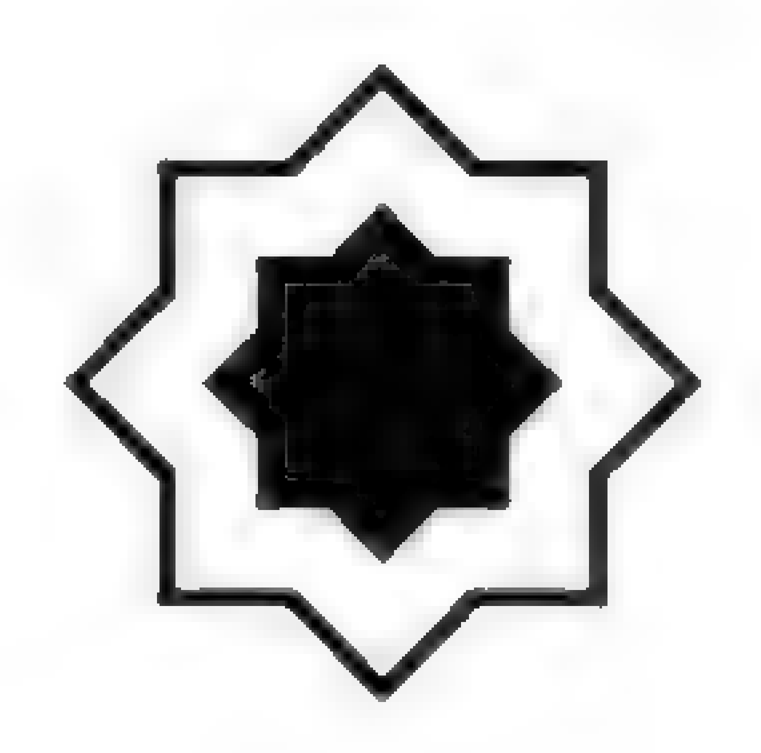
٦. بينت الدراسة أن أسلوب النداء بغرض التنبيه سمة بارزة في خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة ،ووضحت مدى حاجة المرأة المخاطبة إلى هذا الأسلوب البلاغي من أساليب الإنشاء الطلبي في كافة السياقات .

٧. بينت الدراسة من خلال مقارنة السمات أن سياقات التثقيف في الخطاب النبوي للمرأة تحفل بألوان ملونة من التراكيب والصور،وذلك خلافاً لسياقات التكليف التي تميل إلى السهولة والمباشرة والقصد .

٨. وأخيراً بينت الدراسة أن خطاب النبي صلى الله عليه و سلم للمرأة يعد أنموذجاً صالحاً للدراسات اللسانية والبنيوية المعاصرة لما توافر فيه من عناصر الوحدة والتماسك و الانسجام .

التوصيات :

١. إجراء دراسة بلاغية عن السمات البلاغية في الخطاب النبوي للمرأة فيما لم تشمله الدراسة من الأحاديث الصحيحة .
٢. إجراء بحث بلاغي عن "أسلوب التعريض في البيان النبوي" حيث لم يَستوف حقه من الدراسة والبحث
٣. إجراء دراسة بلاغية عن "بلاغة المرأة المخاطبة في الحديث النبوي" .
٤. إجراء دراسة تعني بأثر البيان القرآني في البيان النبوي في الحديثِ عن المرأة والحديثِ إليها تظهر منهج السنة في التبيين وأثر ذلك في منهجية الإفهام عند النبي صَلَّى اللهُ عليْهِ وَعلَى آلِهِ وصَحبه وسلّم
٥. إجراء دراسة تعنى بمنهج الصحابيات في مخاطبة النبي صَلَّى اللهُ عليْهِ وَعلَى آلِهِ وصَحبه وسلّم ، وما تتسم به مخاطبتهم مضمونا وأسلوبا وسياقًا
٦. تقترح الدراسة العمل على دراسة علمية تربوية تهدف إلى ضع منهج مقترح لتوظيف الخطاب النبوي للمرأة في مناهج التعليم العام للطالبات ، لكونه نموذجاً متفرداً في المقومات البلاغية ، زاخراً بالعطايا التربوية .



الفهارس

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

ثانياً : فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أ- الكتب المطبوعة

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل ،تحقيق مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة (د.ط) ١٤٢٦ هـ

٢. الإحسان في تقريب صحيح بن حبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى ٧٣٩ هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة، بيروت - ط١- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن دقيق العيد ، تحقق: محمد حامد الفقي - أحمد محمد شاكر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة(د.ط) ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣م

٤. أحكام القرآن ،لابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ، بيروت ط٣ - ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣

٥. أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري تحقيق. محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان - ط١- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، علي بن محمد الجزري ابن الأثير عز الدين أبو الحسن ، دار ابن حزم ،بيروت - ط ١ -١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

٧. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود شاكر أبو فهر ،مكتبة الخانجي، مصر - ط١ - ١٩٩١م

٨. أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية ، صباح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة ، مصر - شبرا - ط١- ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م

٩. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ،غرضه و إعرابه ،عبد الكريم محمود يوسف ، مطبعة الشام ، الشام - ط١ - ١٤٢٠هـ-٢٠٠١م

١٠. الأسلوبية وتحليل الخطاب منذر عياش ، مركز الإنماء الحضاري ،حلب - سوريا - ط١-٢٠٠٢م

١١. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء ،عمان - ط١- ١٤٢٢هـ ٢٠٠٣م

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني م ٨٥٢ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ

١٣. أضواء على البلاغة النبوية ، إبراهيم طه الجعلي ، مكتبة الرشد ،المملكة العربية السعودية ، الرياض - ط٢ -، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧مـ

١٤. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، لابن عربشاه عصام الدين ،تحقيق وتعليق د.عبد الحميد هنداوي ،دارا الكتب العلمية، بيروت - ط١- ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

١٥. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، عائشة بنت الشاطئ ،. دار المعارف. القاهرة – مصر- ط٣ - ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

١٦. إعجاز القران الكريم والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٥ - ١٤٢٥هـ

١٧. الأعلام - خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت - ط١٥- ٢٠٠٢م

١٨. المقتضب، لابي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت (د.ط) (د.ت)

١٩. الأم ، للإمام محمد بن إدريس للشافعي(المتوفى ٢٠٤هـ) ،باب تفريع حج الصبي والمملوك ،تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب ، مطبعة دار الوفاء ، المنصورة - ط١ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

٢٠. الإيضاح في علوم البلاغة :للخطيب القزويني ،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة المعارف ،المملكة العربية السعودية ، الرياض - ط١- ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م

٢١. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ، محمد بن علي بن ادم الإتيوبي الولوي ، دار ابن الجوزي ،المملكة العربية السعودية ، - ط١ - ١٤٢٦هـ

٢٢. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك ، القاهرة - ط٢- ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

٢٣. البيان المحمدي ، محمد مصطفى الشكعة ،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة - ط١- ١٩٩٥م

٢٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلاء محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ،بيروت - ط ٣- ١٣٩٩هـ

٢٥. الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري(المتوفى٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض - ط١- ١٤٢٤هـ

٢٦. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ،القاهرة - ط٦ - ١٤٢٧هـ

٢٧. التصوير الفني في الحديث ،محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ،بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م٢٠٠٦م

٢٨. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر، تونس ،(د.ط) ١٩٨٤م

٢٩. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق بشار عواد معروف ،عصام فارس الحرستاني ،مؤسسة الرسالة ،بيروت - ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م

٣٠. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي،درا الفكر، بيروت – لبنان - ط١ - ١٤٠١، ١٩٨١م

٣١. تفسير المنار ،للعلامة محمد رشيد رضا ، دار المنار ، القاهرة - ط٢- ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م

٣٢. تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ، لمحمد تقيّ العثماني ،دار القلم، دمشق - ط١ -١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م-

٣٣. التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ

٣٤. الجامع الكبير سنن الترمذي ،محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي ،أبو عيسى (المتوفى ٢٧٩) ،تحقيق بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ـ ط١ـ ١٩٩٨م

٣٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم وسننه وأيامه ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ،مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار طوق النجاة ،بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ

٣٦. الجنى الداني في حروف المعاني ، حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) تحقيق فخر الدين قباوه ، محمد فاضل ،دار الفكر ،بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٢ مـ

٣٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي ،دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان،ط١٢ (د.ت)

٣٨. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ط٢ـ ١٤١٥هـ

٣٩. حاشية السندي على سنن النسائي ،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوط (المتوفى: ٩١١هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ـ ط٢ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

٤٠. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، لعز الدين السيد ، دار اقرأ ، بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ ١٩٩٨م

٤١. خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى ٨٣٧هـ) ، تحقيق: عصام شقيو ، مكتبة الهلال ،بيروت ـ ط١ـ ١٩٨٧م

٤٢. الخصائص ،لابن جني أبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار ،عالم الكتب، بيروت ـ لبنان ـ ط١ـ ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م

٤٣. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ـ ط٨ ـ ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

٤٤. الخصائص الفنية في الأدب النبوي ، محمد سعد الدبل ، مكتبة العبيكان ، الرياض ـ ط٢ـ ١٤١٨هـ ١٩٩٧مـ

٤٥. دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني (المتوفى٤٧١هـ) ، قراء ة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة- مصر - ط٥- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

٤٦. دلالات التراكيب – دراسة بلاغية. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر - ط١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٤٧. دلالة الألفاظ. د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، ط٥- ١٩٨٤م

٤٨. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ،عبد الرحمن السيوطي ،تحقيق: أبو إسحاق الحويني ، دار ابن عفان ، الخبر - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٤٩. رصف المباني في شرح حروف المعاني ،للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (المتوفى٧٠٢) تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق - ط٣ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

٥٠. روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ط٤ ١٤٠٥هـ

٥١. سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى ٤٦٦هـ) ،دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٥٢. سنن ابن ماجة ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى ٢٧٣هـ)تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي و شركاه، مصر (د.ط) (د.ت)

٥٣. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت (د .ط) (د.ت)

٥٤. السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، أشراف شعيب الأرنؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ - ١٤٢١هـ ٢٠٠٢

٥٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث، القاهرة - ط٢٠ - ١٤٠٠هـ ١٩٨٠مـ

٥٦. شرح أحاديث من صحيح البخاري ،دراسة في سمت الكلام الأول، للشيخ د.محمد محمد أبو موسى ،مكتبة وهبة، القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ١-٢٠٠م

٥٧. شرح الرضي لكافية ابن حاجب ، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي ،تحقيق حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،ط١ - ١٤١٤هـ ١٩٩٣م

٥٨. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ،العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي(المتوفى ٧٣١هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض (د.ط) ١٤١٨هـ

٥٩. شرح المفصل في صناعة الإعراب الموسوم بالتخمير ،القاسم بن الحسين الخوارزمي تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت - ط ١ - ١٩٩٨م

٦٠. شرح زاد المستقنع كتاب الطهارة ، للشيخ محمد بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض - ط١ - ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

٦١. شرح سنن أبي داود ، للإمام محمد بن محمود بن أحمد بدر الدين العربي ، تحقيق أبي المنذر خالد إبراهيم المصري ، مكتبة الرشد ، الرياض - ط١ - ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٦٢. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة - ط١- ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤

٦٣. شرح صحيح البخاري ،أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، السعودية ، مكتبة الرشد،الرياض - ط ٢ - ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٦٤. الصاحبي في فقه اللغة وسنن كلام العرب، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق : مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت – لبنان، (د.ط) ١٩٦٤م .

٦٥. صحيح القصص النبوي ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر ، دار النفائس ، الأردن - ط ٧ - ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٦. صحيح مسلم ،للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسأبوري (المتوفى٢٦١ه) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية ،بيروت (د.ط) (د.ت)

٦٧. الصناعتين الكتابة والشعر ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ،تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي و شركاه، مصر – ط١ - ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م .

٦٨. صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ،د. محمود توفيق محمد سعد ،مطبعة الأمانة، مصر - شبرا ،- ط١- ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م

٦٩. الطراز ، حمزة بن يحيى بن علي العلوى، تحقيق عبد الحميد هنداوين ،طبعة المكتبة العصرية ، بيروت - ط١ - ١٤٢٣هـ

٧٠. عقيدة التوحيد ، صالح بن فوزان الفوزان ، دار العاصمة ، الرياض - ط١ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

٧١. علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمنهج علماء الأصول في فهم النص، محمد محمد يونس علي ، دار المدار الإسلامي ، لبنان - بيروت ط١ ٢٠٠٦

٧٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة - ط١- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٣. علم لغة النص نحو أفاق جديدة ، ترجمة سيعد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة - ط١- ٢٠٠٧م

٧٤. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية ،محمد علي بيضون ، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٧٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى ٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دارالجيل ، بيروت - ط٥ - ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٧٦. عون المعبود شرح سنن أبي داوود وهو مختصر غاية المقصود في حل سنن أبي داوود الشيخ أبي عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي (١٣٢٢هـ)، تحقيق،عبد الرحمن محمد عثمان، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان - ط٢- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٧٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر الشافعي العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت - ط٢ -، ١٣٧٩هـ

٧٨. فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب، محمد يحيى أمان، الشيخ علوي السيد عباس، بعناية : بسّام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ،بيروت ـ لبنان ـ ط١ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

٧٩. الفروق اللغوية ،لأبي هلال العسكري ،تحقيق ،محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة ،القاهرة (د.ط) (د.ت)

٨٠. فقه بيان النبوة منهجاً وحركة ، د. محمود توفيق محمد سعد ، مطبعة الأمانة ، شبرا ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ١٩٩٢م

٨١. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلاّمة محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ١٤١٥ هـ

٨٢. القرآن والحديث مقارنة أسلوبية، إبراهيم عوض ، زهراء الشرق ،القاهرة ـ(د.ط) ٢٠٠٠ـ ١٤٢١هـ

٨٣. الكتاب ، سيبويه عمرو بن عثمان بن قَنْبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – ط٣ ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨

٨٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ـ ط١ ـ ،١٤١٨هـ ١٩٩٨م

٨٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م

٨٦. الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي(المتوفى ١٠٩٤هـ) تحقيق عدنان درويش - محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨٧. اللامات ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (المتوفى ٣٣٧هـ) ،تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر – دمشق ـ ط ٢ ـ ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٨٨. لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن منظور (المتوفى ٧١١هـ) دار صادر،بيروت ـ ط٣ـ ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م.

٨٩. لسانيات النص محمد خطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت ـ ط١ـ ١٩٩١م

٩٠. المجازات النبوية ، الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي الحسيني ، تحقيق كريم سيد محمد محمود ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ٢٠٠٧مـ

٩١. مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية (د. ط) ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٩٢. المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى٤٥٨هـ) تحقيق خليل إبراهيم جفال ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ط١ـ ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٩٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٢ ـ ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣

٩٤. مدخل إلى علم لغة النص ، روبرت ديبو غراند - ولفغانغ دريسلر ،إلهام أبو غزالة - علي خليل حمد ،مطبعة دار الكتاب ،مصر ـ ط١ـ ١٤١٤هـ/١٩٩٢م

٩٥. المسالك في شرح موطأ مالك ،لابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله قراءة وتعليق محمد بن الحسين السليماني ، عائشة بنت الحسين السليماني وقدم له ، الشيخ يوسف القرضاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ ط١ـ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧مـ

٩٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤط ،عادي مرشد ، وأخرون ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ط١ ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠١

٩٧. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ،سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(المتوفى٧٩٢هـ) – تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م

٩٨. معاني النحو،فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك ، القاهرة ـ ط٢ـ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

٩٩. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي المؤلف: أ. ي. فنسنك ، مكتبة بريل، ليدن (د.ط) سنه ١٩٣٦

١٠٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت – لبنان ـ ط١ـ ١٤١١هـ.

١٠١. معنى لا إله إلا الله ،ومقتضاها اثارها على الفرد والمجتمع ،و صالح بن فوزان الفوزان ،دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الجزائر ـ ط٢ـ، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

١٠٢. مفتاح العلوم ،أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العالمية ، بيروت ـ لبنان ـ ط ٢ـ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

١٠٣. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد ،الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية ، دمشق ـ ط٢ـ ١٤٢٣هـ.

١٠٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي – تحقيق محيي الدين أديب ،أحمد محمد السيد ، يوسف علي بديوي ، محمود إبراهيم بزال – ، دار ابن كثير، دمشق ـ ط١ ـ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

١٠٥. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ،وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ ط١ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

١٠٦. المنارالمنيف في الصحيح و الضعيف ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية (توفي ٦٩١هـ) تحقيق يحي بن عبد الله الثمالي ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ،دار عالم الفوائد ، جدة ـ ط١ـ ١٤٢٨هـ

١٠٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ ط ٢ ـ ١٣٩٢

١٠٨. النداء في اللغة والقرآن ، أحمد محمد فارس.ـ دار الفكر اللبناني ، لبنان ـ ط١ ، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩مـ

١٠٩. النهاية في غريب الأثر ، مجد الدين أبي السعادات بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، القاهرة ـ ط١ ـ ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م

أ- كتاب الكتروني

١١٠. الحاوي في تفسير القران ،المسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) عبد الرحمن بن محمد القماش ،نسخة مكتبة الشاملة ،٢٠٠٩

ب ـ الرسائل العلمية

١١١. أساليب القصر في صحيح مسلم ودلالاتها البلاغية ،للباحثة نعم هاشم خالد الجماس ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة ، مقدمة لكلية التربية في جامعة الموصل ، في اللغة العربية بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور غانم سعيد حسن ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م

١١٢. الخطاب النبوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية "دراسة تحليلية "للباحثة حنان عبد الرحمن محمد نجار رسالة علمية لنيل درجة الماجستير مقدمة للجامع الإسلامية بغزة ، قسم أصول التربية ـ التربية الإسلامية ، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد خليل أبو دف عام ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩مـ

١١٣. السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)للباحث أحمد حسين حيال ، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير مقدمة لكلية الأداب ،الجامعة المستنصرية ، بإشراف الدكتور محمد عليوي الشمري، عام ٢٠١١

١١٤. معالم التثقيف النفسي في آيات غزوتي بدر وأحد "دراسة بلاغية " للباحث وائل عمر العمري ،رسالة علمية لنيل درجة الماجستير مقدمة لجامعة أم القرى قسم الدراسات العليا بفرع البلاغة بإشراف الدكتور محمود توفيق محمد سعد عام ١٤٣٢هـ ٢٠١١مـ

ج- الدوريات والمجلات

١١٥. في بلاغة الدعاء النبوي ،عبد الرزاق محمد محمود فضل ، مكة الكرمة ،طباعة رابطة العلم الإسلامي ،السنة السادسة عشر، العدد ١٨١ ،١٤١٨هـ

١١٦. مسائل علم المعاني في كتاب "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي ،د.محمد رفعت زنجير ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وادابها، المجلد ١٥، العدد٢٧، جمادي الثانية ١٤٢٤هـ

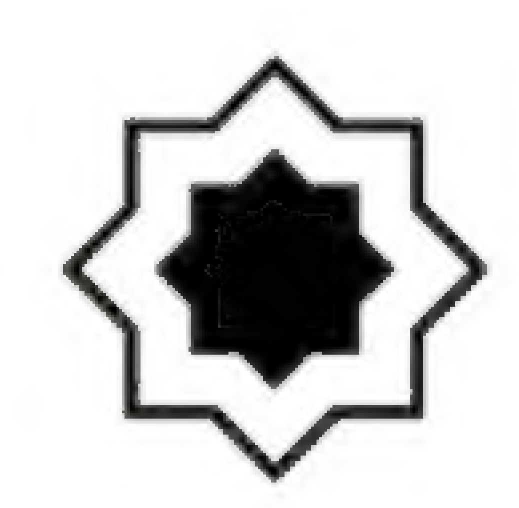
١١٧. مظاهر الاتساق و الانسجام في تحليل الخطاب النبوي (في رقائق صحيح البخاري نموذجاً) عاصم شحادة علي ،مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (٣٦) العدد ٢ ـ ٢٠٠٩م

د- المواقع الشابكة

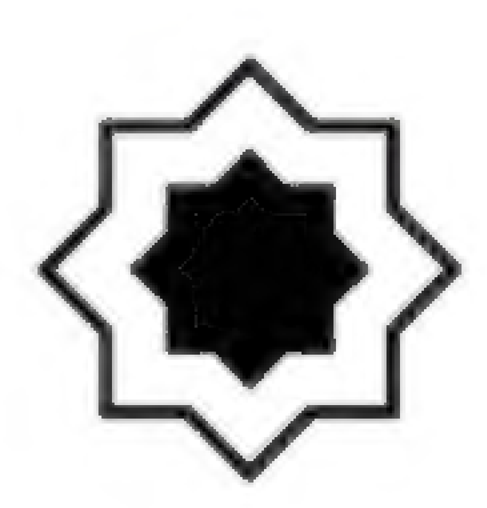
١١٨. الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية " لمحمد كامل عبد الصمد" موقع "
vb.alsheher.com/showthread.php?t=5660

١١٩. دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، بحث منشور.
http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=2393&sid=e07be35bdcee83c2e0a1ffd8726f6360

فهرس الموضوعات



والحمد لله رب العلمين




محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم